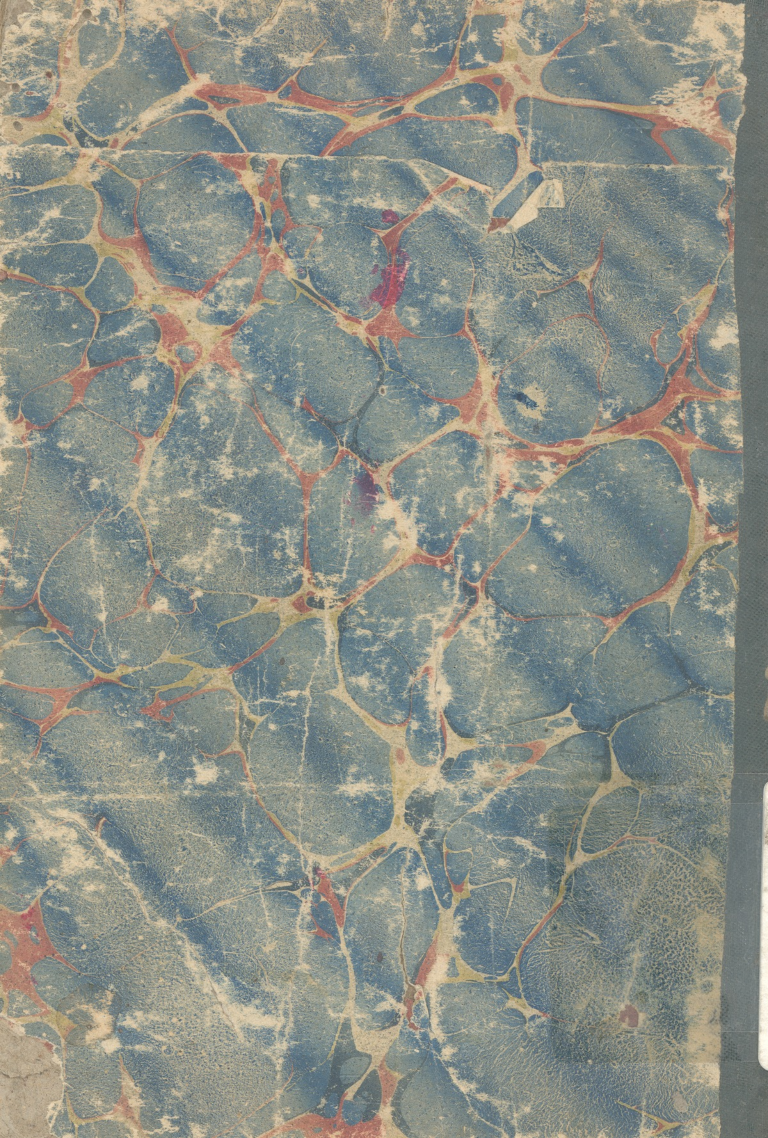


اهداءات ٢٠٠٢

أسرة د/ عبد الرحمن بدوي
جمعية د /عبد الرحمن بدوي للإبداع الثقافي
القاهرة

هذا كتاب المقابسات لابي حيان التوحيدى

توفى ابو حيّان التوّحيدى

سـنة ٤٠٠ ـه

هجـريّه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اللهم اليك نرغب فيما انت اهله ومظنته ومعروف به ونلتمس منك ما انت واجده وقادر عليه ومامول فيه هب لي
بجودك ومجدك روح القلب بنور العقل وسكون البال ببصيرة النفس ورخاء العيش بدرور الرزق وصلاح
الحال بفايض الخير وصواب القصد بثبات العقد وبلوغ الغاية بصحة العزم ونيل المراد بدوام الصبر وبعد الصيت بحسن السيرة
وشايع بمرضي الطريقة وفاش النعمة براتب العز وسلامة العاقبة بحيازة الفوز واكفنا من اللسان فلتته ومن الهوى فتنته
ومن الشره خطرته ومن الراى غلطته ومن الظن خبطته ومن الطبع سورته ومن النقص عدوته ومن الامر روعته ومن
العدو سطوته وجنبنا معاندة الحق ومجانبة الصدق وشراسة الخلق ومذمة الخلق والقحة بالعلم والبهت بالجهل والاستمتاع
باللجاج والاخلاد الى العاجلة والخفوق مع كل ريح واتباع كل ناعق حتى نوحدك بسراير سليمة من الشرك ونقدس لك بالسنة
نقية من الهجر ونتوجه اليك بقلوب صافية من الدغل ونعبدك عبادة بريئة من الريا خالصة باليقين ونستجيب لك في كل سهل
وعسير ونستريح اليك في كل قليل وكثير ونحتمل فيك الاذى من كل صغير وكبير حتى ان ما لم حتامن المال والثروة تخفيف عنا
وما رزقنا من الحكمة تشريف لنا حتى نعتقد انك لم تسد الى احد من خلقك الا ما هو لايق بالالهية والا ما هو اهنأ بالافضل
الانضل من غامر جودك وسابغ نعمتك وحاضر صنعتك انك الله العزيز الحكيم الجواد الكريم الرؤف الرحيم. اطال الله
حياتك واعز قدرك واكرم مثواك وقرن النجح بسعيك وضاعف منائحه قبلك وادام امهالك وذب عنها ما يكدرها
عليك لم يذهب على حظي في البدار الى رسمك والشروع الى طاعتك فيما اشرت اليه وحضضت عليه من تصنيف اشياء
من الفلسفة رويتها لك ونثرتها عليك وخطبت بها رغبتك فيها ونشاطك لاقتنايها واضافنا اشياء اخر تجري معها وتاخذ
في طرايقها وتقوي عمدها وتدل على شرف جوهرها وانا افتحها عن مشايخ العصر الذى ادركته والزمان الذى
لحقتهم فيه ووالله ما تلومت على جمعها في كتاب اهديها اليك في اقرب وقت على ايسر وجه الا العبرات هذه الدنيا واختلاف احوال
اهلها وتقلب ظلالها وافيايها وخبث نجومها وانوايها وقلة يقظة آبايها وابنايها وانحطاط رتب اهلها وفساد حال
المتعلقين بحبلها الحالبين لضرعها النادمين في عواقبها فقد اصبحنا في هذه الدار وكانما هي قاع املس او ترا
اخرس لم يبق من يرضى هديه ويقتبس علمه او يخطب عرفه او يقتفى جوده او يقتدح زنده او يستفاد لفظه او يتوخى
مكانه او يعرف بجده بادب من الاداب عليه او باثر يوجد من الوجوه اليه وما ذاك الا لتغلغل القلوب ودخل الاعراق وخلوقة
الدين وغلبة القحة وارتفاع المراقبة وسقوط الهيبة ورفض السياسة والتبجح بالفحشاء والمنكر ولعمري ما زالت الدنيا على
سجيتها المعروفة وعاداتها المالوفة ولكن اشتدت مونتها وتضاعفت رزيتها اليوم بفقد السايس الصارم وبعدم العابد العالم
وبانقراض اهل الحياء والتكرم وبتصالح الناس على التعادي والتظالم وتنجل وجهه وتقدر اسمه في هذا الخلق غيب لا يعرف ماتاه
ولا يفتح بابه ولا يقع القياس عليه ولا يهتدى الاحساس اليه ومن اجله سقط الاعتراض ووجب التسليم والانقياد ودع هذا
فهو سلم طويل وفضاء عريض بل ما اخرجت حاجتك الى هذه الغاية مع تقاضيك بالتعريض والتصريح والملاحظة بالعداة وبعثهم
وتلطفك بالتشفيع بعد التشفيع الا الظن بانها تزيف على نقدك وتتبهرج بتقليبك ويبدو عوارها لعينك ويتجه عليها وعلى من
من اجلها ما شئت من طعنك ولائمتك وفي السكوت ابقاك الله امان من هذا كله وليس القلم كاللسان ولا الخط كالبيان
ولا ما يذهب مع الانفاس كما يبقى وسمه بين الناس فهذا واشباهه يقص جناح العزم ويغض طرف النشاط ويغطي وجه الهمة

ويكذب رائد الطمع ويلجلج لسان الرأى الى ان قال لى بعض من اثق بخلته واستنيم بمشورته واستقبل مقاصد رأيه ينبغى ان تأتى بمجمل ما اهاب فلان له وتشرفك به وتخف الى مراده وتعلم ان ايتمارك لامره رشد واثرة وجمال وزينة وليس فى فرش فضائل هؤلاء المشائخ ونقل كلامهم عليك مؤنة ولا مشقة فادحة ولا كلفة شديدة الى يبلغ بها ذروة الخاصة لم تقع منها الى حضيض العامة بل ان لم يزد ما تحكيه عنه رونق لفظ وبهاء وصف وتقريب بعيد وايضاح مشكل لم يتخسه حظه من حقيقته التى اليها انتهت المطالبة وعليها وقفت الارادة فخفض عليك وخفف عنك فما بالامر كل هذه الصعوبة ولا بك كل هذا التبرم وقال ايضا قد علم الصغير والكبير ان كل انسان يتنفس برئته وينشق بانفه ويبتاع بساعده ويسبق الى غايته ويعمل على شاكلته ويجرى على قدر علمه ونيته واجتهاده فوهبه هذا قوة ولكن مدخولة واقاوه على نشاطا ولكن ضعيفا فاقبلت على ما عرفتك من حالى بضيق صدرى وفقد انسى واستبداد مذهبى انا الف ما اشرد منها وانظر الى ما انتزعها وارقع بجهدى وطاقتى شملها واحلى بوسعى واستطاعتى عطلها ومن بذل مجهوده فقد حرم عليك ذمه ومن سعى الى مرادك فقد استحق منك ثوابه هذا فى اوائل التعارف وفواتح التناصف وارجو ان لا احيس بين ارادتى اختيارك واشتمالك بالكرم على ان شاء الله عز وجل ؏

مقابسة

سمعت اباسليمان المنطقى يقول بالاعتبار تظهر الاسرار وبتقديم الاختبار يصح الاختيار ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تتلطف لآنيته من وسخ ما جاورها ولابسها ووضر ما خالطها ودنسها لتشرب فيها ولتنظر اليها وتستجمها وتحفظها ولتكون غنيا بها ولا تريدها الا طاهرة نقية مجلوة ومتى لم تجدها كذلك عفتها وكرهتها ونفرت وطرحتها لان طبيعتك لا تساعدك عليها ونفرتك لا يزول منها واباؤك لا يفارقك من اجلها وقشعريرتك لا تذهب من شناعة منظرها وكذلك فاعلم انك لا تصل الى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية ذاتك الا بتنقيتها من درن بدنك وصفائها من كدر جبلتك وصرفها عن جملة هواك وفطامها عن ارضاع شهوتك وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك وردها عن سلوك الطريق الى هلكتك وتلفك وتبورك واضمحلالك فاسعد الناس الانسان بما تسمع وتحس وتعقل فقد اردت لحال نفسه ودعيت الى غاية شريفة وهيئت لدرجة رفيعة وحليت بحلية رائعة وتوجت بكلمة جامعة ونوديت من ناحية قريبة ؏

مقابسة اخرى

هذه مقابسة دارت فى مجلس ابى سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى وعنده ابو زكريا الصيمرى والنوشجانى ابو الفتح والعروضى ابو محمد المقدسى والقومسى وغلام زحل وكل واحد من هؤلاء امام فى شانه وفرد فى فنه سوى طائفة دون هؤلاء فى الرتبة وهم احياء بعد فاستخلصتها بجهدى ورسمتها فى هذا الموضع وقد كادت تضيع فى جملة تعليق كثير ضاع استعضت منه الحسرة والاسى ورب حق العلم وحرمة الادب وذمام الحكمة ان يتحمل كل مشق دونها ويصبر على كل شديد فى اقتنائها وتحصيلها ولا انسب فقرة الى واحد منهم بعينه لأن الكلام بينهم كان يلتف ويلتبس وكانت المباهات والمناسبة يتخاوزان فيه ويتظهران عليه وينالان منه وهذا من ذوى الطبائع المختلفة معروف ومن اصحاب التنافس معتاد ولو استتب القول بين سائل ومسئول لحكيت الحال مقربا ومبعدا ومصوبا ومصعدا ولكن الامر على ما عرفتك فكن عاذرى عند خلل يمرّ ان ابيت ان تكون شاكرى عند صواب تظهر عليه ان شاء الله تعالى ؏ قيل لم خلا علم النجوم من الفائدة والثمرة وليس علم من العلوم كذلك فان الطب ليس على هذا بل الناظر والشادى منه والكامل من اهله يقصد بالطب استدامة الصحة اذا الصحة موجودة وصرف العلة اذا كانت العلة عارضة ؏ وكذلك النحو الذى يقصد به ما هو فوق المعانى وصحة الالفاظ وتوخى الاعراب واعتياد الصواب ومجانبة اللحن على حدود ما فى غرائز العرب وطبائعها وسلائقها

وكذالك الفقه الذى قصد به صاحبه اصابة الحكم واقتضاب الفتيا وايجاب الحق ورفع الخلاف واقماع الخصم وحسم
مواد التنازع ورد اهله الى الرضى والتسليم وكذالك الشعر الذى منتهاه قايم فى نفس صاحبه ثابت
فى قريحته يجيش به صدره ويجود به طبعه ويصح عليه ذوقه من مدح مامول وترقيق غزل وهجو مسيى واستنزال
كريم وتوشية لفظ وتحلية وزن وتقريب مراد واحضار خدعة واستمالة غرير وضرب مثل واختراع معنى وانتزاع
تشبيه مع تصرف فى الاغاريض بين وقيام بالقوافى ظاهر وكذالك الحساب الذى نفعه ظاهر ومحصوله حاضر
وفايدته عامة ونتيجته منجنة وثمرته دانية وعقبته محمودة وجدواه موجود به صحة المعاملة وقامت الدولة و
حوس الملك وجبى المال وامن الغبن وقام الديوان وقوى السلطان وقرب الرعية واستفاضت السيرة واستمرت
القضية هذا الى اسرار فيه عجيبة وغوامض ترجع اليه شريفة وخواص لا توجد لغيره غريبة وكذالك البلاغة
التى قد علم صاحبها وطالبها ما ينتهى اليه ويقف عليه من تمكين لفظ وتزويق غرض وتغطية مكشوف وتعمية
معروف واحضار بينة واظهار بصيرة واختصارات وتقليل باث وتالف شارد وتسكين مارد وهداية متحير
وارشاد متسلع واقامة حجة وارادة برهان واستعادة مزيد وتلطيف قول فى عتب وتسهيل طريق فى
اعتاب وتهنية مسرور وتسلية محزون وتلهية عاشق وتزهيد راغب فى نصح عن غرض وحسم مادة من طمع
وقلب حال عن حال حتى ينضم بها امور منتشرة وتندمل بها صدور منفطرة وتسوى بها احوال متعاندة
ويستدرك بها حسرات فايتة وتخمد نيران ملتهبة وكالصناعات كلها كالهندسة فى شرفها والهيئة
فى علو رتبتها وحدود هذه العلوم بعيدة وفوايدها جمة وليس هذا القدر اتيا على حقايقها ولكنه
مشير الى موضع المسالة والبحث عنها فقد وضح لكل ذى حس مفيد وعقل متايد ورأى صحيح وذكاء
صريح ان هذه العلوم كثيرة المنافع عامة المصالح حاضرة المرافق وان الناس لو خلوا منها وعروا عنها لتبدد
نظامهم وانقطع قوامهم وكانوا نهبا لكل يد يجارى طول الابد وليس علم النجم كذالك فان صاحبه وان
استقصى وبلغ الحد الاقصى فى معرفة الكواكب وتحصيل مسيرها واقترانها ورجوعها ومقابلتها وتربيعها
وتثليثها وتسديسها وضروب احوالها فى مواضعها من بروجها واشكالها ومقاطعها ومطالعها ومشارقها
ومغاربها ومذاهبها حتى اذا حكم اصاب فى اذا اصاب حقق واذا حقق جزم واذا جزم حتم فانه لا يستطيع البتة قلب
غى عن شىء ولا صرف امر الى امر ولا تنفيذ حال قد دنت ولا نفى ملمة قد كتبت ولا دفع سعادة قد اججت واظلت
اعنى انه لا يقدر على ان يجعل الاقامة سفرا ولا الهزيمة ظفرا ولا العقد حلا ولا الابرام نقضا ولا الاياس
رجاء ولا الاخفاق دركا ولا العدو صديقا ولا الولى عدوا ولا البعيد قريبا ولا القريب بعيدا وهذا باب
طويل والحديث فيه ذو شجون وكان العالم به الحاذق فيه المتناهى فى حقايقه بعد هذا التعب والنصب وبعد هذا
الكد والدأب وبعد هذه الكلفة الشديدة والمونة الغليظة مستسلم للمقدار ومستجدى بما ياتى به الليل والنهار
وعادت حاله مع علمه الكبير وبصيرته الناقدة الى حال الجاهل بهذا العلم الذى انقياده كانقياده واعتباره
كاعتباره ولعل توكل الجاهل به احسن من توكل العالم ورجاؤه فى الخير المتمتع والشر المتوقى اقوى وارسخ من
رجاء هذا المدل بزيجه وحسابه وتقويمه واصطرلابه قالوا ولهذا روى الصالحون ان الثورى
لقى ماشاء الله فقال له انت تخاف زحل وانا اخاف رب زحل وانت ترجو المشترى وانا ارجو رب المشترى وانت
تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة فكم بيننا قال وهذا انوشروان وكان من المغفلين
الافاضل روى عنه انه كان لا يزيغ بالنجوم فقيل له فى ذالك فقال صوابه شبيه بالحدس وخطاؤه شديد على
النفس هكذا ترجم وهو كما ترى قال فمتى نغفو هذا الفاضل النحرير الحاذق البصير الى هذا الحد والغاية كان

علمه عاريا من الثمرة خاليا من الفائدة خاليا عن النتيجة لا عائدة ولا مرجوع وان امرّ اوله على ما قررنا وآخره
على ما ذكرنا الحرى بان لا يشتغل الزمان به ولا يوهب العمر له ولا يعار الهم والكدر ولا يعاد عليه بوجه ولا
سبب هذا اذا كانت الاحكام صحيحة ومدركة محققة ومصانة ملحقة ومعروفة محضة ولم يكن
المذهب ما زعم ارباب الكلام والذين يابون تاثير هذه الاجرام العالية في هذه الاجسام السافلة ويتقون
الوسايط والوسايل ويدفعون الفواعل والقوابل تحصّلت حفظك الله المسئلة بعد تشتّت الكلام
فيها وعينها جهدي من اولها الى آخرها بطولها وعرضها ودخلها ومعزاها ولا اشك في اطراف زلت بمن عند
اختلافها واقتباسها وقد تقفت الجواب عنها على وجه انا اجتهد في الاعراب عنها في هذا الموضع بمبلغ وسعي
فاني بين فائتة لا علم لي بها وبين زيادة لا يطمئن متن الكلام الا بها وكلتاهما خطة صعبة لي لا
كلف النفس بالعلم ومحبتها للفائدة لكان الاضراب عنهما اذب عن العرض واصون للقدر وابعد من
استدعاء اللائمة ممن لعله لواني بهذا المقدار لكان عندي عظيم المنة حقيقا بالشكر والمحمدة فاول
ما قيل في ضد هذا الكلام هذه العلوم والمعارف كلها من آثار هذه الاجرام العلوية وسهام الخواطر
السريعة والبطيئة والمتوسطة على اشكال صحيحة دائبة واسباب على الطبيعة جارية ثم رجع الى الجواب فقال
قايل عن هذه المسئلة على هذه التهويل جوابان مختلفان من وجهين مختلفين احدهما هو زجر عن النظر فيه
لئلا يكون هذا الانسان مع ضعف مخيلته واضطراب غريزته وانفتات طينته واثبات مريرته
عن ربه بجانب متكبرا على عباده ظانا بانه مأذن في شانه قائم بجده وقدرته وحوله وقوته وتمويه
وتقليصه وتحبيره وتعريبه فان هذا النمط يحجز الانسان عن الخشوع لخالقه والاذعان لربه ويبعده
عن التسليم لمدبره ويحول بينه وبين طرح الكاهل بين يدي من هو املك له واولى به وأمّا
الجواب الآخر فهو بشرى عظيمة على نعمة جسيمة لمن حصل له هذا العلم وذلك سر لو اطلع عليه وغيب لو وصل
اليه لكان ما يجده الانسان فيه من الروح والراحة والخير في العاجل والآجل يكفيه مونة هذا الخطب
الفادح وينهيه عن تجشم هذا الكد الجادح فاجعل ايها المفكر لشرف هذا العلم بدل غيبك ما يخفى عند خفيه
ويكنو نتدلل لله تقدس اسمه فيما استبان لك محلومه وصح عندك مظنونه ثم قال ـــــ علم ان العلم حق
ولكن الاصابة بعيدة ولا كل صواب معروفا ولا كل محال موصوفا وانما كان العلم حقا والاجتهاد في
طلبه مبلغها والقياس فيه صوابا والسعي دونه محمودا لامتثال هذا العالم السفلي بذلك العالم العلوي واتصال هذه
الاجسام القابلة بتلك الاجرام الفاعلة واستحالة هذه الصور بحركات تلك المتحركات المتشاكلة بالوحدة واذا صح بهذا
الاتصال والتشابك وهذه الحبائك والربط صح التاثير من السفلي بالمواصلات الشعاعية والمدائبات وبالا
حوال المخفية والجلية واذا صح التاثير من المؤثر وقبوله من القابل صح الاعتبار واستتب القياس وصدق الرصد
وثبت الالف واستحكمت العادة وانكشفت الحدود وانثالت العلل وتعاضدت الشواهد وصار الصواب غامرا والخطأ
مغمورا والعلم جوهرا راسخا والظن زايلا فسنسوق الكلام في وجوه مختلفة حتى كاد لا يحصل منه ما يكون
تلو المسئلة والجواب ولم ازل ارقى وانفث واغزل وانكث حتى نظمت هذا الذي يمر بك في هذا المكان على تنافر
كثير وتعاند شديد بين اول وآخر وصدر وعجز وسداه ودخل واقتباس فمن جملة ذلك قوله نحو
ان قيل هل تصح الاحكام او لا تصح لكان من محصول الجواب ان قال قايل الاحكام لا تصح باسرها ولا تبطل من
اصلها وذلك ليست بالصوبيا اذا انعم النظر ونشط للاصغاء وصمد نحو الغاية بغير متابعة الهوى وايثار التعصب
ان الامور الموجودة على ضربين ضرب له الوجود الحق فالامور الموجودة بالحق قد اعطت الباقية نسبة من جهة الوجود

وارتجعت منها حقيقة ذلك الحاكم بالاعتبار الغائص عن هذه الاسرار ان اصاب فبنسبة الوجود الذى لهذا العالم السفلى
من ذلك العالم العلوى وان اخطا فبما فات هذا العالم السفلى من ذلك العالم العلوى والاصابة فى هذه الامور السيالة المستحيلة
عرض الاصابة فى امور الفلك جوهر وقد يكون هناك ما هو كالخطاء ولكن بالعرض لا بالذات كما قد يكون ههنا ما هو
كالصواب والحق ولكن بالعرض لا بالذات فلهذا ما صح بعض الاحكام وبطل بعض الاحكام فيما يكون اياداً لهذا الفصل وشاهدا
قويا ان هذا العالم السفلى مع تبدله فى كل حال واستحالته فى كل طرف ولمح متقبل لذلك العالم العلوى شوقا الى كمال وعشقا
لجمال وطلبا للتشبه وتحققا بكل ما امكن من شكله وهو بحق التقبل يعطى هذا العالم السفلى ما يكون مشابها للعالم العلوى
ومن هذا الباب تقبل الانسان الكامل من البشر من الملك وتقبل الملك من البارى وكذلك تقبل الطبيعة للنفس والنفس للعقل
والعقل للبارى له قال آخر وانما وجب هذا التقبل والتشبه لان وجود هذا العالم وجود متهافت مستحيل لا
صورة له ثابتة ولا شكل دائم ولا هيئة معروفة وكان من هذا الوجه فقيرا الى ما يمده ويشده واما يسخنه وسوسه فهو
موجود ثابت مقابل لذلك العالم الموجود الثابت وانما عرض ما عرض لان احدهما مؤثر والاخر قابل فبحق هذه المرتبة ما وجد
التباين وبحق تلك المرتبة ما وجد التواصل وقال آخر وقد يعقل مع هذا كله المنجم اعتبار حركات كثيرة
من اجرام مختلفة لانه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها وتفصيل احوالها وتحصيل خواصها مع بعد حركة
بعضها وقرب حركة بعضها وبطئها وسرعتها والتفاف صورها والتباس مقاطعها وتداخل اشكالها ومن الحكمة فى هذا
الاغفال ان الله تقدس اسمه يتميز بذلك القدر المفصل والقليل الذى لا يؤبه له والكثير الذى لا يحاول البحث
عنه امر لم يكن فى حساب الخلق ولا فيما عملوا فيه القياس واختلط بالتقدير والتوهم ه قال ولهذا يحكم هذا الحاذق
فى صناعته لهذا الملك وهذا الماهر فى علمه لهذا الملك ثم يلتقيان فتكون الدائرة على احدهما مع شدة الدفاع وصدق المصاع
هذا وقد حكم له بالغلب والظفر قال فى هذا الموضع النوشجانى انما يؤتى احد الحاكمين لا احد الملكين لا من جهة غلط فى الحساب ولا قلة مهارة فى العمل
ولكن يكون فى طالعه ان يصيبه ذلك الحكم ويكون فى طالع ذلك الملك الا يصيب منجمه فى تلك الحرب لمقتضى حاله وحال صاحبه
يحول بينه وبين الصواب ويكون الآخر مع صحة حسابه وحسن ادراكه قد وجب فى طالع نفسه وطالع صاحبه
ضد ذلك فيقع الامر الواجب ويبطل الآخر الذى ليس بواجب وقد كان المنجمان من جهة العلم والحساب اعطيا
الصناعة حقها ووفيا ما عليهما ووقفا موقفا واحدا على غير مزية بينة ولا علة قائمة له قال ابو سليمان ما
احسن هذا وطال ما سكت عن هذه المسئلة فانفصت عن جوابها قالوا ولولا هذه المشيئة المندفنة والغاية المستترة
الواسأة من الله بها لكان لا يعرض لهذا الخطاء مع صحة الحساب ودقة النظر وشدة الغوص وتوخى المطلوب تبع
غلبة الهوى والميل الى المحكوم له وهذه البغية دائرة فى امور هذا الخلق فاضلهم وناقصهم ومتوسطهم وفى دقيقها
وجليلها وصعبها وذلولها ومن كان له من نفسه باعث على التصفح والنظر والتحير والاعتبار وقف على ما اوما
اليه عن كثب وسلم من غير منكر ولا صخب ثم قيل وللحكمة جليلة ضرب الله دون هذه العلل بالاسداد وطوى حقايقها
عن اكثر العباد وذلك ان العالم بما سيكون ويحدث ويستقبل علم حلو للنفس واقع عند العقل فلا احد الا
وهو يتمنى ان يعلم الغيب ويطلع عليه ويدرك ما سوف يكون فى غد ويجد سبيلا اليه ولو دل السبيل الى هذا الفن
لرأيت الناس يهرعون اليه ولا يؤثرون سبيلا آخر عليه لحلاوة هذا العلم عند الروح ولصوقه بالنفس وغرام
كل احد به وفتنة كل انسان فيه فبنعمة من الله لم يصح هذا الباب ولا انكشف من دونه الغطا حتى يرتع كل احد
روضه ويلزم حده ويرغب فيما هو اجدى عليه وانفع له اما عاجلا فقد علمت ان علم ما يكون احب الى جميع الناس
من كل فقه وكلام وادب وهندسة وشعر وحساب وطب لان هذه رتبة الاهية وهى الفاصلة الكبرى فطوى
الله عن الخلق حقايق الغيب ونثر لهم نبذا منه وشيا يسيرا يتعللون به ليكون هذا العلم محروما عليه كسائر العلوم

ولا يكون ما نعا عن غيره له قال ـــــ ولولا هذا التقية التي فضحت الكاملين واعجزت القادرين لكان تعجب الخلق من غرايب
الاحاديث وعجايب الضروب وطرايف الاحوال عبثا وسفها وتوكلهم على الله لهوا ولعبا له ثم قيل وهذا يتوضح بمثال ولنكن
ذالك المثال ملكا في زمانك وبلادك واسع الملك عظيم الشان بعيد الصيت شايع الذكر معروفا بالحكمة مشهورا بالحزامة
متصل اليقظة قد صح عندنا انه يضع الخير في موضعه ويوقع الشر في موضعه عنده جزاء كل سيئة وثواب كل حسنة
قد رتب لبريته واصلح الاولياء له وكذالك نصب لجباية اموال اقوم الناس وكذالك لعمارة الارض انهض الناس بها
وانصحهم فيها وشرف آخر بكتابة سلطنته وآخر بخلافته ووزارته في حضره وسفره اذا نظرت الى ملكه وجدته موزونا
بسداد الراي ومحمود التدبير واوليآؤه حواليه وحاشيته بين يديه وكل يخف الى ما هو منوط به ويستقصي
طاقته فيه ويبذل وسعه دونه والملك يامر وينهي ويصدر ويورد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد
ويبرق ويرعد ويتقدم ويؤخر ويخلع ويهب ويعاقب ويثيب ويفقر ويغني ويحسن ويسيئ وقد علم صغير اوليآئه
وكبيرهم ووضيع رعاياه وشريفهم ونبيه الناس وخاملهم ان الراي الذي يطلق بامر كذا وكذا صدر من
الملك الى كاتبه لانه من جنس المكاتبة وعلايقها وما يدخل في شرايطها وثايقها والراي الآخر صدر الى
صاحب بريده لانه من احكام البريد وفنونه وما يجري في كليته والامر الآخر الغي الى صاحب العونة لانه من جنس
ما هو مرتب له ومنصوب من اجله والحديث الآخر صدر الى القاضي لانه من باب الدين والحكم والقضاء في كل هذا مسلم
اليه ومعصوم لا يفتات عليه في شيئ ولا يستبد بشيئ دونه فالاحوال على هذا كلها جارية على اذلالها وقواعدها ومجاريها
لا يزول منها شيئ الى غير شكله ولا يرتقي الى ما ليس من خليقته وهكذا ما عدى جميع ما عددناه باسمه وحكيناه برسمه فلو
وقف رجل له من الحزم نصيب ومن الفطنة قسط على هذا الملك العظيم وعلى هذا الملك الجسيم وسدد فكره
وحدد وهمه وصرف ذهنه وتصفح حالا حالا وحسب شيئا شيئا وقدر امرا امرا وتامل بابا بابا وتخلل شيئا شيئا
ورفع سجفا سجفا وتقفر وجها وجها لامكنه ان يعلم ما يتم له هذا النظر وييسره هذا القياس ويصدقه هذا الحدس
ويقع عليه هذا الامكان لما يستعمله هذا الملك غدا او بعد غد وما يتقدم بها الى شهر وما يكاد يكون منه الى سنة
وسنين لانه على الاحوال ملاث ويجلوها جلوا ويقايس بينها قياسا ويلتقط من الناس لفظا لفظا ولحظا لحظا ويقول
في بعضها يترك كذا وكذا ويفعل كذا وكذا وهذا يدل على كذا وكذا وانما جرّه هذه الجرأة على هذا الحكم والبت لانه
قد ملك لحظ الملك ولفظه وحركته وسكونه وتعريضه وتصريحه وجده وهزله وسجيته وتجعده واسترساله
وجومه ونشاطه وانقباضه وانبساطه وغضبه ومرضاته ونادره ومعتاده وسفره وحضره وبشره وقطوبه
ثم يلتبس في نفس هذا الملك يوما هاجس ويخطر بالخاطر فيقول ـــــ اريد ان اعمل عملا واوثر اثرا واحدث
حالا لا يقف عليها اوليآئي ولا المطيفون بي ولا المختصون بقربي ولا المتعلقون بحبالي ولا احد من اعدائي والمتبعين
لامري والمحصين لانفاسي والمترقبين لعطاسي ونعاسي ولا ادري كيف اتوجه لاني متى تقدمت في ذالك بشيئ الى
الى كل من يلوذ بي ويطيف بناحيتي كان الامر في ذالك نظير جميع اموري وهذا هو الفساد الذي يلزمني تجنبه ويجب
على التيقظ فيه فيقدح له الفكر الثاقب والذكاء اللاهب انه ينبغي ان يتاهب للصيد ذات يوم ليتقدم بذالك
ويذيعه ويطالب به فياخذ اصحابه وخاصته في اهبة ذالك واعداد الآلة فاذا تكامل ذالك له اصحر للصيد وتشوف
له وتطلب في البيدآء وصمم على بعض ما يلوح له وامعن قبله وركض خلفه جواده وشدد في طلبه بداده ونهى من
معه ان يتبعه حتى اذا وغل في تلك الفجاج الخاوية والمدارج المتنائية وتباعد من متن الجادة وواضح المحجة
صادف انسانا فوقف عليه وحاوره وفاوضه فوجده حصيفا محصلا يتقد فهما ويتقد فهاما وقال له افيك خير
فقال نعم وهل الخير الا في وعندي والا معي الي الى ما بدالك وخلني وذالك فقال ـــــ له ان الواقف عليك

قويّ

وللكلام لك ملك هذا الاقليم فلا تريع واهدأ ولا تقلق فيكفر له عند سماع هذا ويقول السعادة تقتضى لك والجد اطلعك على
فيقول له الملك انى اريد ان اصطفيك لارب فى نفسى وابلغ بك ان بلغت ذالك لى واريد منك ان تكون عينا على
نفسك زكيه وصاحبا لى نصوحا فقم لى بذالك بجهدك ووسعك واطو سرى عن مسامع فوادك فضلا عما خلا
ذالك فاذا ابلغ منه غاية الوثيقة والتوكيد القى اليه بحجرته وبجرته وبعثه على السعى والنصح وتحرى الرضى ووصاه بما
احب واحكم وازاح علته فى جميع ما يتعلق المراد به ولا يتم الا بحضوره ثم ثنى عنان دابته الى وجه عسكره واوليآ
الحرب ثم وتعلل بقية النهار فى قضا وطره من صيده ثم عاد الى سريره فى داره ومقره فى ملكه وليس عند احد من
رهطه وبطانته وغاشيته وحاشيته وخاصته وعامته علم بما قد اسره الى ذلك الكهل الصحراوى وبما دار
فيه والناس على سكناتهم وغفلاتهم حتى اصبحوا ذات يوم عن حادث عظيم وامر جسيم وشان هايل وعارض محير وكل
عند ذلك يقول ما اعجب هذا من فعل هذا متى تهيأ لهذا من ارتصد لهذا من انتصب لهذا وكيف تم هذا صاحب البريد
وليس عنده منه اثر وهذا صاحب المعونة وهو عن الخبر بمعزل وهذا الوزير الاكبر وهو متحير وهذا القاضى وهو متفكر
وهذا حاجبه وهو ذاهل كلهم عن الامر الذى وهم مستدو وهو منه معجب وقد قضى الملك مآربه وادرك
حاجته واصاب طلبته وبلغ غايته وانفرد به ونال اربه كذالك ينظر هذا المنجم الى زحل والمشترى والمريخ
والشمس والزهرة وعطارد والقمر والى البروج وطبايعها والراس والذنب وتقاطعهما والهيلاج والكدخداه والى
جميع ما ادنى هذا وقارب وكان له فيه نتيجة وثمرة فيحسب ويمزج ويرسم ويتقلب عند اشياء كثيرة من سائر الكواكب
التى لها حركات بطيئة واثار مطوية فيبعث بما اغفله واهمله واضرب عنه ولم يتسع له ما يملك عليه حسه وعقله
وفكره ورويته حتى لا يدرى من حيث اتى ولا من اين دهى وكيف امتزج عليه الامر وانسد دونه الطلب وفاته المطلوب و
عزب عنه الراى هذا ولا خطاء فى الحساب ولا تقصير فى الحق وهذا كى يلاذ بالله عز وجل فى الامور ويعلم انه
مالك الدهور ومدبر الخلق وصاحب الدواعى والعوايق والعالم على كل نفس والخاطر عند كل نفس وانه اذا
شآ نفع واذا شآ ضر واذا شآ عافى واذا شآ اسقم واذا شآ اغنى واذا شآ افقر واذا شآ احيا واذا شآ امات
وانه كاشف الكربة والمونس فى الغربة وانه المجلى الغمة وصارف الازمنة ليس فوق يده يد وهو الاحد الصمد على الابد
والسرمد وكنت سمعت الحرانى الصوفى يقول قديما بمكة وكان شام شيئا من الحكمة وعرف نزرا
من حديث الاوايل فقال هذه الامور وان كانت منوطة بهذه العلويات مربوطة بالفلكيات عنها تحدث ومن جهتها
تنبعث فان فى عرضها ما لا يستحق ان ينسب الى شى منها الا على وجه التقريب قال ومثال ذالك ملك له سلطان
واسع ونعمة جمة يقوم كل احد بما هو لايق به ومما هو ناهض فيه فيولى مثلا بيت المال خازنا مليا كافيا شهما يفرق
على يده ويجمع على يده ثم ان هذا الملك قد يضع فى هذه الخزانة شيئا لا علم للخازن به وقد يخرج منها شيئا
لا يقف الخازن عليه ويكون هذا منه دليلا على ملكه واستبداده وعلى تصرفه وقدرته الى هاهنا كان كلام
الحرانى ومثله هذا وان كان نظيرا للمثل الاول فانه شاهد له وجامع معه وقيل ايضا فى عرض الانسان
الذى كان بين اوليك المشايخ ما هو زجر عن تعاطى هذا العلم ومانع عن التحقيق بباب الحكم لما كان علم النجوم
وصاحب الشغف بالاحكام يريد ان يقف على احداث الزمان فى مستقبل الوقت من خير وشر وخصب
وجدب وسعادة ونحس وولاية وعزل ومقام وسفر وغم وفرح وفقر ويسار ومحبة وبغض وعافية
وسقم والفة وشتات وكساد ونفاق واصابة واخفاق وراحة ومشقة وقسوة ورقة وتيسير وتعسير
وتمام وانقطاع والتيام وانصداع وافتراق واجتماع واتصال وانبتات وحياة وممات وهو انسان ناقص
فى الاصل زايد فى الفرع وزيادته فى الفرع لا ترفع نقصانه فى الاصل لان نقصانه بالطبع وكماله بالعرض وهذا

وجدة وعدم ١٢

وهذه الحال المحطوطة بانشيح المزوقة بالطين قد بارى بارئه وجارى مجريه ونازع ربه وتتبع غيبه وتوغل علمه وتخلل حكمه وعارض مالكه حرمه الله فائدة هذا العلم وقصر قوته عن الانتفاع به والاستمتاع من ثمرته واضافه الى من لا يحيط بشونه ولا يجلى بشى فى باب القسر والقهر وجعل غاية سعيه فيه الخيبة ونهاية علمه منه الحيرة وسلط عليه فى مساعيه الظن والحدس والحيلة والزرق والكذب والخل ولو شئت لرويت من ذالك صدرا وهو مثبوت فى الكتب ومنشور فى المجالس ومتداول بين الناس بذالك واشباهه حط رتبته ورده على عقبيه ليعلم انه لا يعلم الا ما علم وانه ليس له ان يتمطى بما علم على ما جهل فان الله لا شريك له فى غيبه ولا وزير له فى ربوبيته وانه يونس بالعلم ليطاع ويعبد ويوحش بالجهل ليفزع اليه ويقصد عز بها وجل الاها وتقدس مشارا اليه وتعالى معتمدا عليه وهذا كما ترى قال العروضى قد يقوى هذا العلم فى بعض الدهر حتى يشغف به ويدان بتعلمه بقوة سماويه وشكل فلكى فيكثر الاستنباط والبحث وتشتد العنايه والفكر فتغلب الاصابه حتى يزول الخطاء وقد يضعف هذا العلم فى بعض الدهر فيكثر الخطاء فيه لشكل اخر يقتضى ذالك وحتى يسقط النظر فيه ويحرم البحث عنه ويكون الدين حاظرا لطلبه والحكم به وقد يعتدل الامر فى دهر اخر حتى يكون الخطاء وزن الصواب والصواب فى قدر الخطاء وتكون الدواعى والصوارف متكافيه ويكون الدين لا يحث على طلبه كل الحث ولا يحظر على طالبه كل الحظر قال فهذا اذا صح تعلق الامر كله بما يتصل بهذا العالم السفلى من ذالك العالم العلوى فاذن الصواب والخطا محمولان على القوى المنبثه والانوار الشايعه والاثار الرايعه والعلل الموجبة والاسباب الموافقه له ورايتا ابا سليمان يرتضى بهذا القول ويقوى هذا الراى ه قال النوشجانى انما القوم اختصروا الكلام وقربوا البغية فان الاطالة مصدة عن الفايدة ومضلة الفطنة والفهم هل تصح الاحكام فقال غلام زحل ليس عن جواب يتسبب على كل جبه فقيل ولم وبين قال لان صحتها وبطلانها متعلقان باثار الفلك وقد يقتضى شكل الفلك فى زمان لا يصح منها شئ وان غيص على دقايقها وبلغ الى اعماقها وقد يزول ذالك الشكل فيجى زمان لا يبطل منها شى فيرنا نتو ببفى استدلال وقد يتحرك هذا الشكل فى وقت اخر الى ان يكثر الصواب فيها ويتقاربان ومتى وقف الامر على هذا الحد لم يثبت على قول قضاء ولا وثق لجواب ه فقال ابو سليمان هذا احسن ما يمكن ان يقال فى هذا الباب وهو الذى من كلام الشيخ ابى محمد قيل بعد هذا كله فاما الجواب الذى هو كالبشرى بغاية هذا العلم وثمرة هذه الحال على ما تقدم من قول من قال من ائمة فهو ما اختم به هذه المقابسة ان شاء الله تعالى وانما اخترت فى الرواية قليلا لان كلام القوم اختلط اختلاطا منع من اداء ما جرى على ذالك كنهه وخاصته بعضه بالطول وبعضه بالتحريف وبعضه بالنقص والغموض وبعضه بالكناية والتعريض ولولا انى خلعت الحياء خلعا وتصديت للوم تصديا فى تحرير هذا الكلام على ما به من اضطراب اللفظ وانتشار المعنى وزيغ التاليف وتراخى الحكاية لكان ذالك كله منسيا فى جملة ما نسى ومغمورا فى غمار ما جهل وفائتا فى عرض ما فات والعلم حرسك الله وحشى والحكمة نفور والبيان حرون والبلاغة ظنون والجهل صاحب والسفه طباع والعى الوف والقلب شعاع وعلى ذالك فقد نسقت فى هذا الكتاب ما ان لم تكن فائدة لغيرى لم يعد ان تكون تذكرة لنفسى وتبصرة لمن يعز ومعزاى الى الله تعالى نشكو ونسال فى ايثار الصدق وتحقيق العقد وتصفية الخلق وما قد حل بنا ونزل بساحتنا من فقد الناصر واسلام المعين فنحن كما قال القايل انتضينا واصطلحنا له قال بعض الحاضرين ان الله تعالى وتقدس اخترع هذا العالم وزينه ورتبه وحسنه وشعه ونظمه وهذبه وقومه واظهر عليه البهجة وابطن فى افنائه الحكمة وحققوا بكل ما طبا العقول بصحته ومعرفته وحشاه بكل ما حاشا النفوس الى تقلبه والتعجب من اعاجيبه وامتع الارواح بمحاسنه واودعها مورا واستخزن فيه اسرارا ثم حرك اوليك عليها حتى استنارتها ولقطتها واجتلتها وعشقتها ووليت عليها لانها عرفت بها ربها وحققتها

والاهها وواضع وضايعها وناصرها وحاشدها وحافظها وكافلها ثم انه تبارك وتقدس مزج بعض ما فيها ببعض وركب بعضه على
بعض وسل بعضه من بعض ونسج بعضه في بعض وامد بعضه من بعض واحال بعضه الى بعض بوسايط من اشخاص
واحساس وطبايع وانفس وعلوم وعقول وتصرف في ملكه بقدرته وحكمته لا معيب الفضل ولا مقلي للاختيار ولا
مردود الحكم ولا مجحود الذات ولا محدود الصفات وهو سبحانه مع هذا كله لم يستفد شيئا ولم ينتفع بشي بل
استفاد منه كل شي بحسب مادته المقاومة وصورته المعاندة ولم يثبت بشي وثبت به كل شي ولم يحظ بشي وحظي
به كل شي فهو الفاعل القادر والجواد الواهب والمنيل المفضل والاول السابق والواحد المطلق فلما كان الباحث
عن العالم العلوي يتصفح سكانه ومعرفة اماكنه واثاره ومواقعه واسراره متعرضا لان يكون متشابها للباري
مناسبا له بهذا الوجه المعروف استحال ان يستفيد بعلمه كما استحال وبطل ان يستفيد خالقه بعلمه لان
نعمة لصق به وحكمة لزمه وحلية بدت منه وصفة عادت عليه وهيئة تعلقت هذه حال اذا فطن لها
واشرف عليها ببصيرة ثاقبة وتحقق حقيقتها وتولى للخبرة بنسبي ما فيها علم اضطرارا عقليا انها اجل واعلا وانفس
واسنى وارفع واوفر واعظم وازكى وادوم وابقى من جميع فوايد ساير العلوم التي حازها الملك العالمون
لان اولئك اعملوا فوايد علومهم فيما حفظ عليهم حد الانسان وخلقته وشهوته واخذوا في اجتلاب نفع ودفع
ضر ونقصت رتبتهم مشاكلته ومناسبته والتشبه بخاصيته والتحلي بحليته وكذلك خبر الله نقصهم في علمهم
بفوايد لولها ومنافع اخروها واوطار قضوها بسببها فاما من اراد معرفة هذه الخفايا والاسرار في هذه الاجرام
والانوار على ما هيئت له وعبيت عليه ونظمت به ورتبت فيه وزينت بمحاسنه فهو حري جدير ان يبرى من
جميع ما وجده صاحب كل علم من المرافق والمنافع على ما اتسع القول به في فاتحة هذه المقابسة وينفرد
بحكم من رتبها على ما هي عليه غير مستفيد بذلك فايدة ولا اجد نفع وهذه لطيفة مني وقف عليها حق
الوقوف وتقبلت حق التقبل كان المدرك لها اجل من كل فلك وان عز لانها بشرية صارت الاهية وجسمية
استحالت روحانية وطينية انقلبت نورية ومركب عاد بسيطا وجزء حال كلا وهذا فن قل ما يهتدى اليه
وينبه عليه ثم اني بعد هذا كله قلت لابي سليمان في خلوة ايها الشيخ تكررت في هذه المسئلة
كلمات جافية تشعر منافية مكروهة لا اراها تسلم ايتسكم قال ماهي قلت مثل قول القائل متشابها للباري ومناسبا
للباري ومثل قوله نعمة لصق به وحكمة لزمه وحلية بدت منه وصفة عادت عليه قلت لعمري
ان تقديس الباري يمحق هذا كله ويذهب به ويطرحه وينفيه ولكن اذا عرف واشار اليه كني
عن ربوبيته وافصح عن الاهيته لم يجد بدا من هذه الكلمات التي هي الطف ما في ملكه واشرف ما في قوته
والمراقي التي هي فوق المرام التي تتراسل بين الخلق في عباراتهم واشاراتهم لكنها مستعارة في حمى التوحيد و
وحرم المعرفة مرفوعة المقادير عما يدنسها ويذيلها ويفسدها ويحيلها على عادة اهل اللسان في الاسماء و
الصفات والحروف والاحداث وانما يوحى الى هذه الغايات بهذه العبارات ايماء لانها تفوت ذرع القول
كما تفوت ذرع العقل وتسبق ظن القدر كما تسبق وهم المستشعر وهذا اضطرار اشترك جميع
اهل اللغات فيه عند اخبارهم عن الهتهم الا من كانت معرفته من جنس معرفة العامة واستبصاره من
قبيل استبصارها وعبارته في طريق عباراتها والعامة لا توحيد لها ولا حقيقة معها ولا مبالاة بها ه ه ه
قلت لابي سليمان في هذا الموضع حصل لنا في هذه المسئلة جوابان احدهما زجر عن النظر
في هذا العلم على ما طال الشرح فيه والآخر على هذه الغاية التي تكاد الروح تطير معها طربا عليها
فهل يجوز ان نعتقد فساد احد الجوابين وهو ما نهى عن التبصر فيه والاخذ بالحظ الاوفر منه ليكون الجواب الاخر

جامعا لوجوب الحق فقال الجواب ان صحيحا من ذلك انهما هنا انفس خبيثة وعقول ردية ومعارف خسيسة
لا يجوز لاربابها ان يستفتحوا باب الحكمة او يتطاولوا الى غرايب الفلسفة فالنهي ورد من اجلهم وهو حق والحال هذه الحال
فاما النفوس التي قوتها الحكمة ومادتها العلم وعدتها الفضايل وعقدتها الحقايق وذخرها الخيرات وعمادتها المكارم وهمتها المعالي
فان النهي لم يتوجه اليها والعيب لم يوقع عليها كيف يكون ذلك وقد بان بما لكون القول فيه ان فايدة هذا العلم اجل فايدة وثمرته
احلى ثمرة ونتيجته اشرف نتيجة فليكن هذا كله كافيا عن سوء الظن وكافيا لك عما وقع القول فيه والحال بين هولاء السادة
المحاجة في الفهم والعلم والبيان والتصفح هذا ابقاك الله آخر ما نقلت به من حكاية هذه المقابسة بين هذه الطائفة
الفاضلة وقد اعتذرت اليك في خلالها مرارا من قصور لا حيلة لي فيه ومن تقصير لم اقصد اختياره اليه وطوي بايثارك
لستر القبيح على اخوانك ونشر الجميل عن اصدقايك جميل والله كافي وكافيك ونعم الوكيل ٥

مقابسة اخرى

جرى عند ابن سعدان يوما كلام في الاخلاق وحضره جماعة منهم عيسى بن ثقيف الرومي ابو المسيح وغير هولاء من مشايخ النصارى
وكانوا متحرمين بالفلسفة ومحبين لاهلها وكان محصول ذلك ان من اراد ان يكتسب نفسه هيئة جميلة وسجية محمودة فتهذيب الاخلاق
وتقويمها وتطهيرها من الادناس التي تعتريها ينقسم امران متباينان احدهما عسر ذلك وآباؤه وتقدم التواني فيظن لذلك ان الامر
الذي يحاوله مجوز عنه وانه غير مقدور عليه فان الوصول اليه محال والآخر استحابته لذلك وانقياده ومطاوعته وامكانه فيظن لذلك ان
العناية تلومها باجتهاده وقصده ورايه وعزمه دانية معرضة سهلة قريبة والمثال على هذا من الشاهد في اخلاق الانسان
موجود من اعتبار امر البدن وذلك ان الانسان اذا قصد نظافة بدنه وتدليك اعضايه وتقليم اظفاره ونفي القذى
عن عينه وتسريح شعره وترجيل جمته وتنقية ارفاغه وازالة الدرن عن مغابنه بيده وبيد غيره والقيم في الحمام وغيره
وقدر على ذلك ووجد السبيل اليه سهلا حتى يخرج من الحمام ناضر البدن نقي الاطراف قد اكتسب صاحبه صباحة
ونظافة وضياء وخفة ظاهرة من ثقل ما كان راكبه وملازمه من الوسخ والدرن فان اراد بعد ذلك ان يحول فطس
انفه قناء وزرقة عينه حورا ولثغ لسانه استرادا اراد المحال وحاول المعجوز عنه وقرف سوء الاختيار وحكم عليه
ببوار السعي وبطلان الاجتهاد ومع هذا فليس له ان ييأس من اصلاح ما هو مستطاع لبأسه من صلاح ما هو غير
مستطاع وليس له ايضا ان يرجو اصلاح ما ليس بمستطاع لاقتداره على صلاح مستطاع فطبيب هذه
المذاكرة في الاخلاق على ان تهذيبها وتطهيرها وردها الى مقاديرها وتسويتها وتعديلها من الصعب العسير والممتنع
المتعذر لكنها مع هذا كله ممكنة من نفسها في اشيا خاصة وفي مواضع معلومة بعض الامكان وضامنة الاستحالة
فيها بعض الضمان فعلى هذا لا ينبغي ان يطمع في اصلاحها كل الطمع ولا يقطع الرجا عن اصلاح الممكن منها كل
القطع وكان في كلامهم حشو كثير حصلت خالصة زبدته ما اعرت هاهنا وذكرته في جملة الناس من اول الدهر
انما يتكلمون في الاخلاق على هذا تدل الكتب السالفة والاشعار المتقدمة والمواعظ القايمة والمزاجر
المترددة ومع ذلك كله من طبع على الجبن لم يجي منه شجاع ومن طبع على الغثوة لم يمكنه ان يغفل ومن وجد في
نفسه شيا ابداه ومن كان في قوته شي اظهره ومن استكن في مزاجه شي لا صل ظالع برايه على الايام والا
ختبار في الاشيا قوة ضعيفة جدا لاثبات لها مع الضرورة التي ترد قاهرة وتوافي مخبرة فان الاختيار
ايضا في الاول من جملة تلك الضرورة في عرض القسمة السماوية ان اذن بدا وظهر وسعى وسفر وان لم يكن اخرى
بطل حكمه ورسمه وارتفع عيبه وفعله وقد شاهدنا من يدعو الى الجود ويحث عليه ويحسنه ويدعو اليه وهو
ابعد الناس من العمل به والقيام بحكمه وقد وجدنا من يلوم التغافل في الحرمة وما يجري معها ويبعث على الغيرة
والصرامة فيها وخوض الدم من اجل عارض في بابها وهو اشد الناس اغفالا لأمرها واظهرهم اختلالا عليها فكلاما يقوله

احدهم ذاتا وما دحا هو غير ما ينبغي ان ياتيه او يتركه مجتنبا وكان ابو سليمان يقول كثيرا من اخلاق الانسان
تخفى عليه وتطوى عنه وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيرته وهو يدرك اخفى من ذلك على صاحبه وجليسه ومعامله وقريبه
وبعيده وكانه في عرض هذه الاحوال عالم جاهل ومستيقظ غافل وجبان شجاع وحليم طايش يرضى عن نفسه في شي
هو المغاظ على غيره من اجله قال وهذا كله دليل على ان المخلوق في وزن الخلق وعلى نساجه يعيش منه ما يعيش من هذا
ويسهل من هذا ما يسهل من ذلك قلت لبعض الثقاف الكلام في هذا الحد ما الخلق قال شعار وقلت فما
المحمود منه قال ما انشاته النفس الفاضلة في المزاج المعتدل قلت فما المذموم منه قال ما توريه
الطبيعة في ذي المزاج متفاوت والكلام في الاخلاق مطرب وكل هذا الكتاب فيها ولهذا ما يجب ان نخطى
وان امكن عدت اليها في اثناء غيرها فالغرض كله تقديرها بالقسطاس وتطهيرها من الادناس التي
عليها جمهور هذا الخلق ه

مقابسة اخرى

سمعت ابن مقداد يقول لا بد في وضع الناموس الالهي الذي يتوجه به افاضة الخير وترتيب السياسة وما يورث
سكون البال ويحسم مواد الشر ويوطد دعايم السنن ويبعث على تشريف النفوس وتزيين الاخلاق ويقرب
الطريق الى السعادة المطلوبة ويواصل اسباب الحكمة ويشوق الارواح الى طلب الحق وايثار العفة ويقدم دوا
على العدل والنصفة والرحمة المكرمة من الاخبار التي تنقسم بين ما هو صدق محض وبين ما هو صدق ممزوج وتكون الالفاظ التي تصحب بها الالفاظ التي يحتج
اليها كثيرة الوجوه سمحة عند التاويل وانما وجب ذلك لان الناس في اصل جبلتهم وبشاكلهم واول نشاتهم قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا
مفترقين واختلفوا مؤتلفين وائتلفوا مختلفين واجسامهم متوقدة وظنونهم جوالة وعقولهم متفاوتة و
واذهانهم عاملة وآراؤهم سايحة وكل منهم منفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظر وفكر واصل وفرع واختيار
والف وعادة وضراوة ونفرة واستحسان واستقباح وتوق ووقفة واقدام وجسارة واعتراف وشهادة وبهت
ومكابرة هذا سوى اعراض كثيرة مختلفة لا اسماء لها عندنا خالصة ولا صفات متميزة ه قال
ومثل هذا كمثل رجل اصلح طعاما كثيرا واسعا مختلفا من كل لون وجنس ومذاق ورايحة ووضع ونضج وحرارة
وبرودة وحلاوة وحموضة ونصب على مايدة واسعة عظيمة لجمع ذوي عدد جم فمتى لم تكن المايدة ذات الوان
مختلفة واطعمة مركبة متباينة في القلة والكثرة والملوحة والحرافة والمرقة المنعقدة لم يقبل كل انسان على ما يفيق
به شهوته الخاصة له ولم تمتد يده اليه بالكون الذي تدعو اليه لان للعين نوعا من الطلب ليس للفم
وللنفس ايضا مثل ذلك اعني النفس المغتذية فهذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والتكرمة والايناس
والمحادثة ه قال فلما كان الناموس الالهي نصيحة عامة لذلك وجب ان يستعان عليها
بكل ما يكون ردءا لها ورفدا معها وفارشا لما انطوى وموضحا لما خفي عنها وداعيا باللطف اليها وضامنا لحسن
الجزاء عنها وهذا قدر كالخالصة مما وقع التفاوض به سقته على ما امكن والحمد لله وحده ط ه

مقابسة اخرى

قلت لابي بكر القومسي وكان كثير الاقتداء بالاوايل باي معنى يكون هذا الزمان اشرف من هذا
الزمان وهذا المكان افضل من هذا المكان وهذا الانسان اشرف من هذا الانسان فقال يشعر بافاضة الزمان
الى سعادة شايعة وعز غامر وبركة فايضة وخصب عام وشريعة مقبولة وخيرات مفعولة ومكارم
موثرة من جهة شكل الفلك بما تقتضيه لبعض ادواره وكذلك المكان اذا قابله اثر من هذه الاجرام الشريفة
والاعمال المنيفة فاما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس فيه جزء اشرف من جزء وكذلك المكان

لانه رديف الزمان ولا سبيل في مثل هذه المسايل الى معرفة الحقايق الا بالالهام لانه التي هي شاملة للعالم غالب عليه من محيطه الى مركزه واما الانسان فلا شرف له ايضا على انسان آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت لان الحد في كل احد واحد فاذن لا اشرف من هذا الوجه فان اعتبر بعد هذا فعل فعل وفعل ذاك من جهة الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب فذاك يقف على الاشرف فالاشرف والاعلا فالاعلا بحسب ما يوجد منطويا في نفسه نافعا لغيره واقعا موقعه الاخص منه ٥

مقابسة اخرى

قلت لابي بكر القومسي وكان كبير الطبقة في الفلسفة وقد لزم يحيى بن عدي زمانا وكتب لنصر الدولة وكان حلو الكتابة مقبول الجملة ما معنى قول بعض الحكماء الالفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت احلى والمعاني تقع في النفس فكلما اتفقت كانت احلى فقال هذا كلام مليح وله قسط من الصواب والحق ان الالفاظ يشملها السمع والسمع حس ومن شان الحس التبدد في نفسه والتبدد بنفسه والمعاني تستفيدها النفس ومن شانها التوحد بها والتوحيد لها ولهذا تبقى الصورة عند النفس قينة وملكة وتبطل عند الحس بطولا وتمحى محوا والحس تابع للطبيعة والنفس منقلبة للعقل وكان الالفاظ على هذا الترتيب والتنسيق من امة الحس والمعاني المعقولة فيها من امة العقل فالاختلاف في الاولى بالواجب والاتفاق في الثاني بالواجب وبالجملة الالفاظ وسايط بين الناطق والسامع فكلما اختلفت مراتبها على عادة اهلها كان وشيها اروع واجهر والمعاني جواهر النفس فكلما ائتلفت حقايقها على شهادة العقل كانت صورتها انصع وابهر واذا وفيت البحث حقه فان اللفظ يجزل تارة ويتوسط تارة بحسب الملابسة التي تحصل له من نور النفس وفيض العقل وشهادة الحق وبواعث النظم وقد يتفق هذا التحويل للانسان بمزاجه الصحيح وطبيعته الجيدة واختياره المحمود وقد يفوته هذا الوجه فيتلافاه بحسن الاقتدا بمن سبق بهذه المعاني اليه فيكون اقتداره حافظا عليه نسبة البيان على شكله المعجب وصورته المعشوقة ومدار البيان على صحة التقسيم وتخير اللفظ ورتبة النظم وتقريب المراد ومعرفة الوصل والفصل وتوخي الزمان والمكان ومجانبة العسف والاستكراه وطلب العفو كيف كان ٥

مقابسة اخرى

قيل لابي سليمان قد جرى كلام في السر وطيه والبوح به ما السبب في ان السر لا ينكتم البتة فقال لان السر لا موجود قد ضرب دونه حجاب واغلق عليه باب فعليه الكتمان والطي والخفا والستر مسحة من القدم وهو مع ذلك موجود العين ثابت الذات محصل الجوهر فباتصال الزمان وامتداد حركة الفلك يتوجه نحو غايته هي كاله فلا بد له اذا من النمو والظهور لان انتهاه اليهما ووقوفه عليهما ولو بقي مكتوما خافيا ابدا لكان والمعدوم سوا وهذا غير سائغ اعني ان يكون الموجود معدوما ولو قبل الوهم هذا القبل ان يكون المعدوم موجودا وهذه مسئلة في الهوامل ولها جواب آخر في الشوامل ولكن هذا القدر مستفاد من الشيخ الفاضل وسر ايضا في كلام ان الحجاب المضروب على هذا السر يرث ويخلق لانه لا يبقى على هيئته الاولى يوم يقع سرا ويحدث مكتوما ثم قال هذا لك الخواطر والسرا على لفظها ودقتها وشدة حقايقها وعموم مشاربها تنمو وتظهر وتقوى وتكثر حتى يعرف فيها الشيء بعد الشيء باللحظ والتلفت وضروب شكل الوجه فكيف ما ابتذل له اللسان ونسجته العبادة وطعن من مكان الى مكان ٥

مقابسة اخرى

سمعت الانطاكي ابا القسم وكان يعرف بالمجتبى يقول الاسباب التي هي مادة الحياة هي وزن الاسباب التي هي جالبة للموت في العلم كان

الموت على هذا اولى بالانسان من الحياة فقال لان الموت طبيعى كل طبيعى لا محيص عنه وانما اطلقت الكلام الاول لانك ترى من يحامى الموت ببنى به يتخلص غيره الى الموت فلو استطيع حصرهذه الابواب ما به يموت من يموت فى عدد ما به يحيى من يحيى ثم قال وهاهنا موت طبيعى معرف به وفى مقابلته حياة طبيعية وهكذا ايضا هاهنا موت عرضى وفى مواجهته حياة عرضية فالموت الطبيعى قد قامت منه الشهادة من الكافة فاما الحياة الطبيعية فحياة العقل بالمعقول والموت بالعرض الجهل الشايع فى الانسان واما الحياة العرضية فحسن لانسان وحركته بسلامة بدنه وسكون اخلاطه وقوة طبيعته وتصرف ساير ما هو مركب من جهته ثم قال من فتح الله بصيرة عقله لحظ هذه الحقايق ترقى فى درجات المعارف وسلاليم الفضايل وانتهى الى افق الروح و الراحة ونجا من هذه المعادن التى هى معادن العطب والتلف ومساقط الافات والهلاك ونجمع فى هذا الفصل كل كلام شريف وكل موعظة حسنة وكان من القادرين على امثاله وممن قد ايده الله بتوفيقه ومعونته

لط

مقابسة اخرى

سأل ابو محمد الاندلسى النحوى عيسى بن على بن عيسى الوزير وانا عنده فقال لم قال صاحب كل علم ليس فى الدنيا اشرف من علمى الذى انظر فيه هكذا تجد الطبيب والمنجم والنحوى والفقيه والمتكلم والمهندس والكاتب والشاعر قال وانا لكانى من النحو اقول هذا وهكذا اجد جميع من سميت قال الشيخ عيسى بن على هذا لان صورة العلم فى كل نفس واحدة وكل احد يجد تلك الصورة بعينها فيمدح العلم بها ويظن ان تلك الصورة انما هى لعلمه وحده وكذلك صاحبه وتلك اطلال سبقك صورة العلم الاول فاما اذا قسمت العلم كما قسمه ابو زيد احمد بن زيد البلخى الفيلسوف فى كتابه المسمى اقسام العلوم وتتبعت مراتبه فانك حينئذ تجد علما فوق علم بالموضوع او بالصورة وعلما دون علم بالفايدة والثمرة وهذا المعنى الذى اشير اليه يصح لك ولو فرضت نفسك عالما كل شى فكنت حينئذ لا يحضرك علم دون علم بل كنت تطلع على جميعه بنوع الوحدة مع اختلاف مراتبه من نواحى مواده وصوره وفوايده وثمره وكنت تجدها كلها واحدة لان حد العلم كان يسبق من كل فن منها على ما هو به من غير خلل عارض ولا فساد واقع قال الاندلسى قد كنا ايها السيد نتراجع هذه المسئلة نحقرها واستهانا لقدرها وفهما هذا الجواب الذى لو رحل اليه من قطر شاسع وغرم عليه مال كثير لكان ذلك دون حقه وما اكثر ما يحقر الشى فيصير صلة لشى لا يحقر لولا ان عمرى يستهلكه النحو لكنت البس لهذا العلم صدار المنكمش واصبغ نفسى صبغة المحققين

ى

مقابسة اخرى

قال ابو زكريا الصيمرى لابى سليمان اذا كان الباري لا يفعل ما يفعل ضرورة ولا اختيارا فعلى اى نحو يكون فعله فانه ان كان كاستنارة المواضع الشمس فهو ضرورى وان كان كفعل احدنا فهو اختيارى وما خلا هذين فغير معقول وما لا يعقل فغير مقبول قال ابو سليمان قد قال كبار الاوايل انه يفعل بنوع اشرف من الاختيار وذلك النوع لا اسم له عندنا لانا انما نعرف الاسماء التى قد عهدنا اعيانها او شبهها والناس اذا عدموا شيئا عدموا اسمه لان اسمه فرع عليه وعينه اصل له واذا ارتفع الفرع هذا ما لا دفاع له ولا امتناع منه وخواص الخواص معدومة الاسماء ونحن نحس بمعانى جمة وفوايد كثيرة لا نستطيع صرفها عن انفسنا وقد التبست بها وقرت فى انفسنا ومع ذلك اذا حاولنا اسماءها عجزنا بلى قد نعتاض من الاسماء الفائتة اشارات بصفات وتشبيهات تقوم لنا من بعد مقام الاسماء الفائتة ولكن لها فينا اعمال ردية وايهامات

عندنا فاسدة ولكن ليس لنا في هذا توجه من الوجود جملة فمن جملة ذلك هذا الذي نحن فيه انه قد صح بالبرهان ان فعل الله تقدس وعلا باضطرار ولان هذا نعت عاجز ولا دافع لهذا القول وليس باختيار ايضا لانه في الاختيار معنى قويا من الانفعال وهذا مسلم عند من الف شيئا من الفلسفة وشدا بعض علم الاوايل فلم يبق بعد هذا الا انه بنحو عال شريف يضيق عنه الاسم مسناه اليه والرسم مدلولا به عليه ولو قال لك رجل لم خبرت عن الله بالتذكير دون التانيث لما كان عندك الا ان تقول هذا ما اقدر عليه وليس عندى لما هو حقه في الخبر عنه اسم يحضر واكثر ما امكنني انى لم انعت به الانثى وهذا لان التذكير والتانيث معنيان يوجدان فينا وبهما اشبهنا من ساير الحيوان وهما منفيان عن الله تعالى من كل وجه وكل هم له ثم قال بعد هذا الذي قدم من القول والذي اختاره في هذا الجواب مع هذا التضييق الواقع قولنا يفعل لا يصح معناه في البارى تعالى البتة بل قولنا يفعل عبارة عن انفعال الاشياء له لان الاشياء له وان الاشياء كلها مشتاقة اليه متوجهة نحوه مستانسة مقتبسة منه وذلك اتصالات وجوده فنحول الاشياء الى ذاته وشوقها الى قربه وبث الوسايط بينها وبينه ثم ضرب مثلا فقال الا ترى ان الطبل يضرب عند الرحيل من قبل الملك فترى كل احد تتحرك حركة لايقة به موقوفة عليه نحو الملك من غير ان يكون تقدم الى واحد منهم بما هو اليه بل هو على سكونه وحاله السابقة فهذا الاحد امر منه لا يصح فتحركوا مشتاقين متشبهين ثم قال وينبغى ان اعلم انه لا فاعل الا و يعتريه نوع من انواع الانفعال في فعله كما انه لا منفعل الا وهو يعتريه نوع من انواع الفعل في انفعاله الا ان في الانفعال خفى جدا والفعل في المنفعل خفى جدا فلهذا لا يطلق على الفاعل الا الاسم الاستعمل له الاول ولذلك لا يطلق على المنفعل الا الاسم الاخص له والاعم لجملته وهذا وان كان الاطلاق والاستعمال على حد ما حقق القول فان المفعول لا سبيل الى انكاره وما عرف الحقيقة لا طريق الى جحوده فقد بان ان قولنا يفعل ولا يفعل وفاعل وغير فاعل كلمات مطلقة على حد المجاز والعادة تم

مقابسة اخرى

سمعت ابا اسحق الصابى الكاتب يقول لابى الخطاب الصابى اعلم ان المذاهب والمقالات والنحل والاراء وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كثيرة في العقل لشى تزيد فيها قول وجعل مبدا الاقوال انتهى منه الى اخر ما يمكن ان يقال فليس من قول الا وقد قيل او يقال وليس من فعل الا وقد فعل او سيفعل وليس من شى الا وقد علم او يعلم وهكذا في الظن والراى وغير ذلك وامثال هذا بين في كل ما ارى نمو ذلك انك لا تشير الى راى ونحلة الا امكنك ان تظن به كل ما ظن ويظن وتقول كما قيل ويقال وانما يضيق محكم احدنا ويفسح مشرب الاخر لان الخاطر يسح مرة ولا يسح مرة والقلب يتسع تارة ولا يتسع تارة واللسان ينطق وقتا ويمسك وقتا قال ابو الخطاب هل للخواطر والالفاظ والاراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهوا والى العناصر بالجملة فقال نعم لها نسبة قوية وعلاقة شديدة ورباط متين الى هذه الامور التى تنظر فيها وتطيف به او تطل عليه ولا سبيل مع ذلك الى اتفاق الناس في حال من الاحوال ولا سبيل من السبل ولو امكن ذلك لوجد الا ترى انه لا سبيل الى ان يكون الناس كلهم طوال القدود او قصارها او ضخام الرؤس او صغارها وفصحاء الالسنة او لكنها او على مذهب واحد او حد ومقابلة واحدة كيف يكون هذا او يظن والطبيعة انما تعطى صورتها لكل شى بحسب قبوله وتهيئه ومواتاته الزند من عطية الطبيعة ولكن على قدر قبوله وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره فاختلاف الصور انما نشا من اختلاف المواد وهذا اصل لا اصل له وعلة لا علة لها لانه لم يفعله فاعل على ذلك بل الصورة من شانها هذا والمادة من شانها ذلك والامر مسيب على سنن ما ترى فعلى هذا كل احد ينتحل ما شاكل مزاجه ونبض عليه عرقه ونزع اليه شوطه وعجن

به طينته وجرى بعد ذلك عليه دأبه وديدنه له

مقابسة اخرى

سمعت الخوارزمي الكاتب يقول لابي اسحاق الصابي بن هيثم بن هلال لم اذا قيل لمصنف او كاتب او خطيب او شاعر في كلام او كلمة وقد اختل شيء منه وبيت قد اختل نظمه ولفظة قلق مصابه هات بدل هذا اللفظ ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معنى آخر تهافت قوته وصعب عليه تكلفه وبعد عجزا ولبثه ذلك رايه ولو رام انشاء قصيدة مفردة وتحبير رسالة مفترضة كان عسرها عليه اقل وكان تهوضه بها اعجل فقال نعم ما وهي يحتاج الى تدبير قد فات اوله من جهة صاحبه الاول ومن كان اولى به وكان كالاب له وذلك شبيه بعالم الغيب وقل من ينفذ في حجب الغيب مع العوائق التي دونه وليس كذلك اذا اخترع هو كلاما وابتدأ فعلا واقتضب حالا لا يستقل حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شيء كان من غيره او يكون تعلقه بيقظة يعطيه تمام ما قد فرغ عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله في كلام معروض عليه لم يحس قط في نفسه ولا عدله شيئا من فكره فقد يعجزه ما لم يتأهب له ولم يرض نفسه عليه وفي الجملة كل مبتدئ شيئا فقوة المبدإ فيه تفضي به الى غاية ذلك الشيء وكل معقب امرا قد بدأ به غيره فانه بتعقيبه يفضي الى حد ما بدا به في تعقيبه ويصير ذلك مبدأ له ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدإ وبين المتعقب ه

مقابسة اخرى

قال يحيى بن عدي قول القائل العلة قبل المعلول لا مدخل للزمان فيه وكذلك قول النحويين الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان وكان نجار في قضايا الدهر والفرق بين الزمان والدهر بين ولعله يجيء في موضع من هذا الكتاب ه قال له البديهي فقولنا الاب قبل الابن اين هو من الزمان قال من جهة لا مدخل للزمان بينهما وذلك ان الغرض فيهما ان هذا علة هذا ومن جهة يدخل لانه يصير موذنا بان هذا كان في الزمان قبل هذا في الزمان واما قول النحويين ان الاسم قبل الفعل فمعقول ان رتبته مقدم عليه والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ومتى وجد الفعل وجد الحرف فمرتبة الوجود واحدة في الجميع ومراتب الاعيان مختلفة في الجميع ه ثم قال وينبغي ان يصفو اللحظ الذي يجرد في نحو الاشياء الاول التي هي كثيرة بالاسماء والنعوت عند الاستعمال وواحدة بالحقايق والذات فان هذا النظر اذا صفى وتم كفى موونة عظيمة وحاز امرا عزيزا ه

مقابسة اخرى

قال يحيى بن عدي في درس البديهي عليه سنة احدى وستين وثلثمائة وانا حاضر ما مبدأ الجوهر الصورة والمادة ومبدأ الكم النقطة والوحدة ومبدأ الكيف السكون والحركة قال وهذه المبادي هي اوايل العالم العلوي والسفلي والعقلي والحسي وصارا بفصاحة بهذا التخليص يبحث العقل واستنباط النفس وشهادة الحال وحقيقة المطلوب ان حاول محاول زيادة على هذا لم يستطع وان رام رايم نقصانا منه لم يقدر لان انتظامه بالعلة الاولى وتمامه من اجلها ودوامه بدوامها والحركة والسكون والنقطة والوحدة والمادة والصورة لم تختلف في اعيانها بل القوابل التي هي بها وبحسبها انقسمت النعوت عليها واشتركت العبارات عنها ومتى امكن تسديد اللحظ الى الغاية والى النهاية المتناهية لم يوجد الا الحق الذي هو هو لا لشيء هو به بل كل شيء هو به وهو له وهو من اجله ثم قال النقطة في الجوهر صورة والصورة هي في الكم نقطة

يج

يد

والوحدة في جميعها مستولية شاملة محتوية غالبة فاليها يجب ان يرجى الراجي وعنها يجب ان يحجى الحاجي فليس فوقها منته
ولا دونها مبتغى قال العروضي اذا كانت الوحدة مستولية كما بان من القول فما بال الكثرة ادنى الينا
واسبق الى نواظرنا واغنى عن طلب الدليل فيها فقال لانا بها وهي بنا فمن هذه الجهة وجب ان نشتد لعنايتنا في
تحصيلها وتقليبها حتى تظهر الوحدة في الثاني كما ظهرت الكثرة في الاول وهو الذي يسمى سعادة واليها وقع
التوجه وعليها اقتصر السعي له ودخل ابو العلا صاعد فانقطع الكلام وفات ان يبلغ اقصى ما عنده له

مقابسة اخرى

يه

قلت لوهب بن يعيش الرقي لم صارت الكيفية تسرى من الكيف الى الاول والثاني مثال ذلك الرائحة
التي للتفاح فانها تسرى الى الدماغ وليس كذلك الكمية من ذي الكم مثال ذلك تفاحتان وتلك عند
زيد لا تسرى كميتها الى عمرو فقال الكمية اقرب الى الجوهر واشد توحدا به وادل على المواصلة والتشبث والوحدة
وليس كذلك الكيفية بحسب الكثرة مخالفا لمقتضى الكيفية بحسب الوحدة الا ترى ان الكيفية تابعة لما ترى
اي الجسن واسبق من الطبيعة الا ترى ان الكمية تابعة لما ترى اي العقل وتتصل بالنفس

مقابسة اخرى

يو

لم صار الانسان اذا زور كلاما للمجلس يحضره وخصم يناظره وصاحب يعاتبه لا يكون باداً به في حال ما يباغتم
المراد ويتجي عن الغرض ويتوخى غاية ما في النفس فقال لانه في الحال الثانية يصير اسيرا في يد ما
قدمه ووثمه فهو يحتاج في تلك الحال الى قوة حافظة وقوة مؤدية وربما خاناه او خانه احدهما وليس
كذلك اذا ارتجل كلاما وافترع معنى فانه يكون مطلق العنان في ضروب التصرف وافانين التزويق
غير موقوف على شيء متقدم ولا متق شيئا موقعا يخاف فجأته على خلاف تقديره في وهمه ووضعه في نفسه
بخلو من الحال وسلامة البال يفضيان به الى آخر ما في نفسه لان الواسطة الحائلة ساقطة والحجب مخروقة
والاولية مغيبة والوحدة مساعدة لا تسرع ايدك الله الى الطعن والعيب في هذه المواضع التي نزلت
قليلا ولا يبلغ ظنك بها فان الجميع اخذ عن هؤلاء الجلة الاعلام حسب ما كانت المذاكرة والمقابسة تمتدان
بهم ويقران عليهم وكان الغرض كله ان يستفاد كل ما تشغلوا به وتنافسوا فيه فان شاركتني على ذلك فا
الحكمة فوضى بيننا والحق مشاع عندنا والغاية حاصلة لنا فان انجبت بحدثك وفطنتك لم تخرج من جميع جهة
العدل الى الظلم لكن تبعد عن الخلق الجميل وعما يليق بالرجل الاصيل واساس التلافي والاجتماع والتصافي
والاستماع والمفاوضة بين الناس بكل ما ينطق بالتودد والايناس على الكرم والتفضيل والرعاية والحيا
والابقا والاغضا لا على الفراسة والعناد ولا على ما يجمل بذوي الحكمة والفضل والحفاظ والله يبلغ بك ويحسن على
اقتباس الحكمة عونك ويفرغ عينا بمكانك ويهد بنا جميعا للمؤلف عنده والكائنة فيه بمنه واحسانه على انك اذا
استعفعت هذا الكتاب كله وتلته وعرفت غرائبه وعجائبه علمت انك ظالم اذا عتبت واني مظلوم في
بدلك اذا استزرت ووالله لقد تعبت في تحصيل ما قالوه وخاطرت الان بروايته ما يقابس ولو تمت مقامي
لما اخطأ بك حالي ولا خلوت من عمري من بعض ما تجني به علي كان الله لك واخذ بيدك وادام الصنع الجميل لك

مقابسة اخرى

سئل ابن سوار وكان ابن السمح بباب الطاق هل ما فيه الناس من السيرة وما هم عليه من الاعتقاد
حق كله او اكثره حق او كله باطل او اكثره فقال المسئلة هائلة والجواب هين قيل انه ما افادك الله
فان ركنية العلم لا تنزح وان اختلفت عليها الدلآء وكثر على حافاتها الواردة فقال صدقتم واعلموا انه اذا

لحظ استيلاء الطبيعة عليهم وعلينا ثانيها فيهم في الرأي المعتقد والسيرة المؤثرة فاكثر ذلك باطل لان سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريب والغريب ذليل وان لحظ حكم العقل وما يجب به وما يليق بجوهره ويحسن مضافا اليه فاكثر ذلك حق كان الملحوظ رأيا وسيرة وعادة او خليقة وعلى حسب هاتين القبيلتين يكون القضاء ويقع الحكم والحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه ولا يستحيل باطلا بقلة منتحليه وكذلك الباطل ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جملة الناس وافاضلهم انه اولى بالتقديم و الايثار واحق بالتعظيم والاختيار لانه يكون مقوما بالبحث مجلوا بالفكر مصقولا على الزمان تلمسكل يد وتجليكل عين وتعيار شاهد على صورته الواحدة دليلا قويا وشاهدا زكيا على حقيقته لانه يبرأ حينئذ من هوى زيمري من تعصب ناصره ويبقى بصورته الخاصة ويجري مجرى السكينة التي لا تحتاج الى علاج المعالج وتمويه المموه وانتقاد المنتقد وتنفيق المنفق وحيلة المحتال

مقابسة اخرى

سألت ابا زكريا الصيمري عن الانسان يقول حدثتني نفسي بكذا وكذا وحدثت نفسي بكذا وكذا هل فاني اجد الانسان ونفسه كجارين متلاصقين يتلاقيان فيتحدثان ويجتمعان فيتحاضران وهذا يدل على بينونة بين الانسان ونفسه فقال الانسان انما هو انسان بالنفس وللنفس ما هو انسان والانسان له صورة بحسب قبوله من النفس والنفس نفس بحسب ملابستها للبدن في تصريفها له وتدبيرها فيه فاذا قال الانسان حدثتني نفسي او حدثت نفسي فانما ذلك لشعوره بشرف نفسه بقدر ربما استفاد من صورتها الخاصة به واستنارة العقل عليه هذا ان كان الحديث مواتيا للحق اخذا بقسطه منه وان يكن الاخرى دخل الفساد من ناحية المادة والخلط والمزاج والقابل الا ترى انك لا تقول حدثني عقلي بكذا وكذا ولا حدثت عقلي بكذا وكذا لان افق العقل اعلا وعالمه ارفع واثره الطف وانقى ونسبه اشرف واسنى والانسان متقوم بالنفس حتى اذا لحظها بعينه التي له منها ساغ له ان يحدثها ويحدث عنها ويحقق بنا ها وحالها وهي العقل بوجه آخر والعقل هي بوجه آخر ولكن العبارة عن هذه الخفيات قاصرة وان كانت النفس بها مستنيرة فعلى هذا الانسان يحدث نفسه بما يغلب منها وتحدثه نفسه بما يغلب عليها منه وهو هي وهي هو ولكن بنوع ونوع وحال وحال واسم واسم وملخوص وملخوص وتقريب وتقريب وهذه معان اختلست من مذاكرات هذه المشائخ فلم يمكن ان تورد تامة مستقصاة لان الكتب التي توضح هذه الحقائق موجودة ومن يشرح مشكلها ويفهم مستغلقها حاضر فليكن التعويل في بلوغ غايات هذه المواضع على العلماء والكتب والقرائح

مقابسة اخرى

خرج ابو سليمان بنا ببغداد الى الصحراء بعض ايام الربيع قصدا للتفرج والمؤانسة وصحبه وكان معنا ايضا صبي دون البلوغ جهم الوجه بغيض المحيا شتيم المنظر ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنما ندياً عن جرم ترف وصوت شجي ونغمة رخيمة واطراف حلو وكان معنا جماعة من طراق العلة فلما تنفس الوقت اخذ الصبي في فنه وبلغ اقصى ما عنده فترنح اصحابنا وتهادوا وطربوا فقلت لصاحب لي ذكي اما ترى ما يعمل بنا شجو هذا الصوت وبذ هذا الحلق وطيب هذا اللحن وتفنن هذا النغم فقال لو كان لهذا من يخرجه ويعنى به ويأخذه بالطرائق المؤلفة والالحان المختلفة لكان يظهر آية ويصير فتنة فانه عجيب الطبع بديع الفن غالب الذي والشرف فقال ابو سليمان حدثوني بما انكم فيه عن الطبيعة لم احتاجت الى الصناعة وقد علمنا ان الصناعة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب

منها على سقوطها دونها وهذا راى صحيح وقول مشروح وانا حكيتها وتتبعت رسمها وقصصت اثرها لا نحطاط رتبتها عنها وقد زعمت ان هذا الحدث لم تكفه الطبيعة ولم تغنيه وانها تعيير وانها قد احتاجت الى الصناعة حتى يكون الكمال مستفادًا وماخوذًا من جهتها والغاية مبلوغة بمعونتها واصدارها فقلنا له ما ندرى ما اهل المسئلة فقال وفكروا فعدنا له وقلنا انا قد ثلجنا ولو مننت بالبيان ونشطت لنشر الفايدة كان ذلك محبوبًا فى بيض ايادیك وغرر فضائلك فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة فى هذا المكان لان الصناعة هاهنا تستملى من النفس والعقل وتملى على الطبيعة وقد صح ان الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وتقبل اثارها وتمتثل امرها وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب باملائها وترسم بالقائها والموسيقى حاصل للنفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف فالموسيقار اذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة وقريحة مواتية والة منقادة افرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوسًا مونقًا وتاليفًا معجبًا واعطاها صورة معشوقة وحلية مرموقة وقوته فى ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة فمن هاهنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة لانها وصلت الى كمالها من ناحية النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحادثة التى من شانها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها استكمالا بما تاخذ وكمالا لما تعطى فقال له البخارى وكان من تلامذته ما شكرنا على هذه الصلات السنية وما حمدنا الله على ما يهب لك منك من هذه الفوائد الدائمة فقال هذا بكم اقتبست وبحجركم قدحت والى ضوء ناركم عشوت وانا صفى ضمير الصديق للصديق واضاء الحق بينهما واشتمل الخير عليهما وصار كل واحد منهما ردأ لصاحبه وعونًا على قصده وسببًا قويًا فى نيل ارادته ودرك بغيته ولا عجب من هذا فالنفوس تتفادح والعقول تتلاقح والالسنة تتفاتح واسرار هذا الانسان الذى هو العالم الصغير فى هذا العالم الكبير كثيرة جمة واسعة منبثة وانما يحتاج الناظر فى هذا النمط الى عناية بنفسه فى طلب سعادته ورعاية لحاله فى السلوك الى غايته غير عائج على زهرة العيش ونضرة الحس ولذة الوقت فانه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ويجنى تلك الثمرات ويجد تلك السكاين مرتفعًا عن هذه الاقذاء والقاذورات واول هذا الامر واخره بالله ومن الله اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد وحبب الى انفسنا طرائق الرشاد وكن لنا دليلا الى نجاتنا كفيلا بمنك وجودك الذين ما خلا منهما شئ من خلقك العلوى والسفلى ولا فاتنا شيئا من صنعك الجلى والخفى يا من الكل به واحد وهو فى الكل موجود هذا ما خلص من هذا الاجتماع وهو ظاهر الشرف اتيت به على ما لقيته فى تبركى واستحسانه وقبوله وكن معينًا لى على طلب نظيره والتعاقب على الخير والتناصر على البر سيرة الفاضلين وعادة اهل التقى والدين

٢٠

مقابسة اخرى

قلت لنا المجوسى وكان ذا حظ وافر من الحكمة لابى الحسن محمد بن يوسف العامرى وكان من اعلام عصره ايها الشيخ انى اجد النظر فى حال النفس بعد الموت مبنيا على الظن والتوهم وذلك ان الانسان كما يستحيل منه ان يعلم حاله قبل كونه ووجوده كذلك يستحيل ان يعلم حاله بعد كونه لانه يصير شيئا علمه ومستنبط مراده عدمًا والعدم لا يقتبس منه علم شئ بوجه ولا يستفاد منه معرفة حال لا فيما يتعلق بالحق ولا فيما يتعلق بالباطل فقال فى الجواب ليس النظر فى حال النفس بعد الموت مبنيًا على الظن وان كان شبيها به ولن يجب ان يثبت القضا فى هذا المعنى بالظن للمشابهة بينه وبين غيره لان الفصل حاضر والفرق ظاهر وذلك ان الانسان لم يجهل حاله قط فيما سلف لان الطريق الى تبيين ذلك وتحصيله مسلوك والشاهد

والشاهد على ثمرة المطلوب قائم والتقريب يدل على ذلك في هذا الوقت وان كان البرهان في الصناعة موجوداً
اذا اخذت على ترتيبها الخاص بها في معرفة المنطق الذي هو آلة في استقراء الطبيعة التي هي مراقي في معرفة
النفس التي هي طلبة كل ناظر في علم ومتحقق بنحلة كان الانسان لا خو سيرته في هذا العالم فلما صمدت النفس
لها حركت الطبيعة على تأليفها وتوزيع الحالات المختلفة فيها واعطتها النفس بوساطة الطبيعة صورة
خصتها بها ودبرت اخلاطها وهيئات مزاجها فظهر الانسان في الثاني بشكل غير الشكل الذي كان للاجزاء التي
مردها في اخر البحث الى الهيولى بالقول المجمل والكلام في هذا ذو شعب وذوائب ثم ان الانسان في معارفه التي يتبرج في درجاتها
يجد لنفسه قنية ليست كسائر القنيات وهيئة ليست كجميع الهيئات اعني الحكمة التي هي علم الحق والعمل
بالحق فيجول [illegible] باحثا عن حقيقة ذلك حائراً الى ان يبلغ بفرط العناية وجودة الفحص و
حسن [illegible] العقل [illegible] الذي يتضح له بان النفس ليست تابعة للمزاج ولا حادثة بالاخلاط بل هي
مس[illegible] ومقومة للاخلاط [illegible] كالة الطبيعة التي هي ظل من ظلالها ادقواها وان النفس ليس لها
استع[illegible] ولا تنتهي منه [illegible] كالصنة لا شوب فيها وقائمة بجوهرها غنية بنفسها عما يفسدها
ويحللها ويحوها [illegible] تؤثر فيها [illegible] كونه ذلك وهي لا تنفعل البتة ولا رداءة فيها البتة فبهذا
واشباهه ينفتح للانسان [illegible] النفس يمكن ان تطلب علم حالها بعد مفارقة البدن بالامر الطبيعي
والسبب الضروري فقد [illegible] انكشف ان البحث عن ذلك ليس بحثاً عن عدم مطلق بل هو بحث عن
احوال منزلة مشهورة مرتبة محدودة بل هو بحث عما يتصور غايته ويطمأن اليه تارة بالبرهان المنطقي
وتارة بالدليل العقلي وتارة بالايماء الحسي والامر الالهي وقال ——— ايضاً في مثل هذا الموضع
ما يجب ايراده وان طال الفصل واسأم ذكره ان الحسيات معابر الى العقليات ولا بد لنا ما دمنا
باحثين عن حقائق العقل ولا نقدر ان نخلص الى عالمه دفعة واحدة من سبيل نسلكها ومثل نستعملها
وشواهد نستنبطها ونثق بها ولو امكننا القول الى عرصات القول وبلاده كان التفاتنا
الى الحواس فضلا الا اننا متى اخذنا الامثلة من الحواس فليس يجب ان نتسبب بها الى التسبب
ونطالب بها المعقولات كل الطالب بل الذي يحكم به الحق ويقتضيه الحزم ان ناخذ الامثلة من الحس
فاذا وصلنا الى العقل حينئذ فارقناها اغتناء عنها مستريحين منها ومن حرجها واضطرابها ولما
كنا بالحس في اصل الطبيعة لم ننفك منه ولما كنا بالعقل في اول الجوهر لم نجهل فصله فلهذا ما اشتغلنا
بالحس ولم نقض به ووصلنا الى العقل ولم نميز عليه وهذا اقتضاه قول عرض في جملة كلام وذلك
انه في كل محسوس ظل من المعقول وليس في كل معقول ظل من الحس ومتى وجدنا شيئاً في الحس له اثر
عند العقل به يقع التشبيه واليه كان التشوق وبه حدث المقدار والانسان متى لم يخلع آثار الحس
خلعاً لم يتحل لبوس العق[illegible] وانما شق الاقرار بمعرفة حال النفس بعد الموت لان الحس لم يساعد
في تسليم ذلك لشهاد[illegible] وان كان العقل قد استوضح ذلك بالامثلة المضروبة في اقامة
البينة عليها وفي الجملة هذه المسألة عذراء ضيقة وعجماء مشكلة ولكن العقل الذي هو خليفة الله
في هذا العالم يجول في هذه المضايق ويدفع هذه الموانع والعوائق ولولا هذه الغاية المرموقة
والحالة المعشوقة بهذه الاوائل المشروحة والابواب المفتوحة لكان اليأس يزهق الارواح ويتلف
الانفس ولكان العالم بكل ما فيه من العجائب والآثار والشواهد لشيء لا حقيقة له ولا حكمة
فيه وانه شبيه بالعبث واللعب وليس له محصول ولا فيه شيء معقول ولا حاجة بعد هذا

٢١

البيان الذي غرد حاديه وطرب سامعه في هذا المكان الا قلة الصبر على النظر وسوء العناية في طلب
الحق وايثار الراحة بالراحة وقطع ايام العمر بالتمني وتوجيه التهمة الى الحق وتسليط الجدل على
الاستبصار والاعتماد على البهت والوقاحة والآفات الحق معرض لك بل بارك عليك بل نازل
عندك بل حاضر عندك بل متحلل بك موجود فيك وانما يؤتى من جفائك في الطلب في سوء العناية
في التحري لا من توارى الحق عنك ولا من اشتباهه عليك وليس مع الجفا والعنف وصول الى الحق
ولا مع الرفق يأس من الحق الحق اسبق اليك منك واعطف عليك وارأف بك منك واظهر
فيك منك فيه وكان وفيًّا بهذا الباب فيما عليه وسقط عني شيء كثير مع هذا كله وفيما حصل
تعلل وعلى الله التمام

مقابسة اخرى

سمعت ابا سليمان يقول فضيحة حسيب لا ادب له افظع واشنع من فضيحة اديب لا حسب له
فقال ــــ ابن الوراق النحوي ولم ذاك فقال لأن هذا عدم ما يقوم نفسه ويكمل ذاته وذاك
فقد ما يقوم اصله ويستر قديمه والنفس ارفع من الاصل لان الاصل راجع الى الولادة والنفس
دالة على النقص والزيادة نعم وعلى الشقا والسعادة وقد يحسن الانسان بنفسه الجيدة سقوط
ابويه فتيلا في تكسب الخير وايثار الجميل وشدو الادب وقصد العلم كل ذلك سلف له كما يحسن
الانسان لشرف ابويه فيتكل على ما سبق لاوليته ولا يشغل زمانه العزيز في تحلية نفسه بحلى آبائه
واجداده واخواله واعمامه ليكون ذلك زينة له في حياته وذكرا للعقب من بعده فلا جرم احرى من
صاحبه كثيرا ثم قال ــــ سمعت بباب الطاق في هذه الايام وانسان من انكاد السوق يقول
لآخر من ضربا به شرفك ميت وشري حي وشرفك اخرس وشري ناطق وشرفك اعمى وشري بصير
قيل له ماذا اراد بهذا قال اراد انه بنفسه على هذه الفضائل الشريفة والحال المتمناة وانت
بنفسك على اضدادها لا تحيى ولا تنطق ولا تنظر لم تنفعك ارومتك البيضاء ولم تضرني جرثومتي
السوداء ومتى نابك امر تحدث بشرف غيرك فكنت بمنزلة الخصي المدل بحر غيره وهذا ما لا
يجدي عليه عند البضاع

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان اني اجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق
بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب به فقال ــــ النحو منطق عربي
والمنطق نحو عقلي وجل نظر المنطيقي في المعاني وان كان لا يجوز له الاخلال بالالفاظ التي
هي لها كالحلل والعارض وجل نظر النحوي في الالفاظ وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني
التي هي لها كالحقائق والجواهر الا ترى ان المنطقي يقول يعجبه وهو يفعل والنحوي فيما اخلا
اللفظ ونظاير هذا المثال شوايع ذوايع في عرض الفنين والمظيرين اعني المنطق والنحو وكما
ان التقصير في تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط فذلك التقصير في تحرير المعنى ضار ونقص
وانحطاط وحد الافهام والتفهم معروف وحد البلاغة والخطابة موصوف والحاجة الى
الافهام والتفهم على عادة اهل اللغة اشد من الحاجة الى الخطابة والبلاغة لانها متقدمة
بالطبع والطبع اقرب الينا والعقل ابعد عنا والبديهة منوطة بالحس وان كانت معلقة من

جهة الحسن وليس ان يكتفي بالافهام كيف كان وعلى اي وجه وقع فان الدينار قد يكون ردئ ذهب وقد يكون ردئ طبع وقد يكون فاسد السكة وقد يكون جيد الذهب عجيب الطبع حسن السكة فالناقد الذي عليه المدار واليه العيار يبهرجه مرة برداءة هذا ومرة برداءة هذا ويقبله مرة بحسن هذا ومرة بحسن هذا والافهام افهامان ردئ وجيد فالاول لسفلة الناس لان ذلك غايتهم وقبيه برتبتهم في نقصهم والثاني لساير الناس لان ذلك جامع للمصالح والمنافع فاما البلاغة فانها زايدة على الافهام الجيدة بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحلية الرايعة وتخير اللفظ واختصار الزينة بالرقة والجزالة والمتانة وهذا الفن لخاصة النفس لان القصد فيه الاطراب بعد الافهام والتواصل الى غاية ما في القلوب لذوي الفضل بتقويم البيان قلت لم ا النحو فقال على ما يحضر في الساعة من رسمه على غير تصفية حده وتنقيحه انه نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده او تفرقه وتعلل منه او تفرقه وتخليه او تاباه وتذهب عنه وتستغني بغيره قلت فالمنطق قال آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما هو يقال هو حق او باطل فيما يعتقد بين ما يقال هو خير او شر فيما يفعل وبين ما يقال هو صدق او كذب فيما يطلق باللسان وبين ما يقال هو حسن او قبيح بالفعل قلت فهل يعين احدهما صاحبه قال نعم واي معونة اذا اجتمع المنطقي العقلي والمنطقي الحسي فهو الغاية والكمال قال ويجب ان تعلم ان فوائد النحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الاول قاصرة عن عادة غيرهم بالقصد الثاني والمنطق مقصور على عادة جميع اهل العقل من اي جيل كانوا وباي لغة ابانوا الا انه يتعذر راسما عند قوم وتوجد عند قوم فحينئذ الحال في التقصير يتورك على تعذر الاسماء او على وصفها على الخلاف اما بالتواطؤ والاصطلاح واما بالطبع والاسماح قال وبالجملة النحو يرتب اللفظ ترتيبا يؤدي الى الحق المعروف او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى ترتيبا يؤدي الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة والشهادة في المنطق ماخوذة من العقل والشهادة في النحو ماخوذة من العرف ودليل النحو طباعي ودليل المنطقي عقلي والنحو مقصور والمنطق مبسوط والنحو يتبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو مستمر على الايتلاف والحاجة الى النحو اكثر من الحاجة الى المنطق كما ان الحاجة الى الكلام في الجملة اكثر من الحاجة الى البلاغة لان ذلك اول وهذا ثان والنحو اول مباحث الانسان والمنطق اخر مطالبه وكل انسان منطقي بالطبع الاول ولكن يذهب عن استنباط ما عنده بالاهمال وليس كل انسان نحويا في الاصل والخطأ في النحو سمي لحنا والخطأ في المنطق يسمى لحالة والنحو تحقيق المعنى باللفظ والمنطق تحقيق المعنى بالعقل وقد يزول اللفظ الى اللفظ والمعنى بحاله لا يزول ولا يحول فاما المعنى فانه متى زال الى معنى امر تغير المعقول ورجع الى غير ما عهد في الاول والنحو يدخل المنطق ولكن مرتبا له والمنطق يدخل النحو ولكن محققا له وقد يفهم بعض الاغراض وان عري لفظه من النحو ولا يفهم شيء منها اذا عري من العقل فالعقل اشد انتظاما للمنطق والنحو اشد التحاما بالطبع والنحو شكل سمعي والمنطق شكل عقلي وشهادة النحو طباعية وشهادة المنطق عقلية وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم اكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم فالمنطق وزن لعيار العقل والنحو

النحو

كميل بمباع اللفظ ولهذا قيل في النحو الشذوذ والنادر ورديء المنطق ما جرى مجراهما فهذا ما استدرك
من قوله وهو باب مفتوح يمكن ان يقال فيه من هذا الجنس ما يكون شاهدا لما قال والسلام

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان كنا امس في مجلس ابي علي القومسي فجرى كلام في الظرف فقال له الاندلسي ايها الشيخ
لم صار الظرف المخصوص بالزمان اكثر من الظرف المخصوص بالمكان فسكت هنيهة ثم قال لا ادري
وليس هذا من النحو النحو في هذا ان تعرف ان الظرف ظرفان ظرف زمان وظرف مكان وتحصي اسماء هذا
وتميزها من اسماء هذا وتقف على المواضع المخصوصة بها والاعراب اللازم لها وبها فقال
ابو سليمان صدق ابو علي فلقد ظلمه الاندلسي من اين يلزم ذلك وليس عليه في صناعته ان يبحث
عنه لان مبادي كل صناعة ماخوذة من ناس آخرين قوامين عالمين قلت فلو افدتنا فيه
شيئا فقال الظرف الزماني الطف من ظرف المكان والمكاني اكثف من ظرف الزمان وكان المكان
من قبيل الحس والزمان من قبيل النفس وكان الزمان من حد المحيط والمكان من حد المركز فوجب
لهذا ان يكون تصرف الالطف اكثر من تصرف الاكثف وبحسب تصرفه يكون اسماء احواله في تصرفه
اكثر والزمان منسوب الى حركات الفلك فجوهره شريف والمكان من جوهر المحيط فجوهره محطوط
والفلك اقرب من الامور العلية فكذلك مرسومه الذي هو الزمان قال ومما يشهد ان الزمان
الطف انك تقول زمان حاضر وزمان ماض وزمان مستقبل هذا بالنظر الاول وقد احس
به كل الناس وهو يزيد بالمنطق على هذه القسمة زيادة بينة ومن اجل تصرف الزمان في الوجوه
الكثيرة استخرج يحيى بن عدي المنطقي من قول القائل القائم غير القاعد وجوها تزيد على عشرين
الف وجه بالازمان ورسالته في ذلك حاضرة ثم قال ومما يزيد لطافة الزمان وضوحا ان الزمان
الواحد يجري اكثر من واحد الى ما لا آخر لها والمكان الواحد متى شغل بالواحد عجز عن الثاني ثم قال واي
نظر اشرف من نظر الفيلسوف الذي يرتقي من السفل فيجول في الوسايط ويبلغ الى العلو وربما انحدر [من العلو]
فخرق بمدة الحجب كلها مبينا عنها وعن جملتها وتفصيلها بمعرفة موزونة من العقل وروية
مؤيدة بالبصيرة وحقايق بالعدل موزونة وتصفح بالغا الى الحد الاقصى بلا طرف ولا ترقب
ولا شك ولا مرية بل علم ثابت ومعرفة راسخة وبيان جلي وشاهد قائم وبرهان موجود
وللمشغوف بالحكمة في هذه المواضع مواد ومسرح ومرمى ومفتح وذلك لان الالهية عالية
وعلايقها متشاكلة متناسبة ومواجهها متقاربة متواصلة كشفا لغطاها بالنظر والفحص
بان منها ما بهر كشعاع الشمس وكان نضر الله وجهه اذا سلك هذا الوادي سال عزفاه
ولم يدرك طرفاه وكان يخرج من باب الى باب ومن صنف الى صنف استراحة من طول
جمامه وانسا بمن يفهم عنه بعض مرامه وذلك انه كان مهجورا مطرحا وطول سكونه و
يتضاعف ادبه فاذا حرك ادنى تحريك انفتح وانفرج وترك التقية الموحشة والمداراة
الثقيلة وكان ربما انشد بعد هذا الشوط الطويل والنفس المديد قول الشاعر

لو كنت اقدر ان اقولا لشفيت من قلبي غليلا
لكن لساني صارم مليت مضاربه فلولا

مقابسة اخرى

سألني ابو سليمان يوماً عن الطبيعة وقال كيف هو عند اهل النحو واللغة أهي فعيلة بمعنى فاعلة أو
بمعنى مفعولة قلت لما اكره ان ارتجل الجواب عنها لعلي ارفع فيه الى الاعتذار منه وانا اسئل
شيخنا ابا سعيد السيرافي غداً ان شاء الله هو اليوم عالم العالم وشيخ الدنيا ومقنع
اهل الارض فقال انه كذلك اجعله منك على بال وتلطف في تحصيل ما عنده اجمع في
هذه المسئلة فسألت ابا سعيد عنها فقال هذا من قبيل الاسماء المحضة لا
من قبيل الاسماء المشوبة فلا يقال لذلك انه فعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر ولا يقال انه
فعيل بمعنى مفعول كذبيح ولكن يقال هو فعل في اصله كجبير واثير ومع هذا فمعنى الفعل
به اقرب من معنى الفعل منه والفعيل اسرار ووجوه وقد كان بعض الناس زل فيه عند بعض
الامراء واذا لم يكن بد من اعتباره على طريقة هذا السائل فلان يكون بمعنى مفعول اولى وذلك انا نقول
طباعه كذا وكذا وطبيعته اي ما طبع عليه وبمعنى فعل والمفعول فيه ابين واخواته يدللن على
ذلك اعني الضريبة والسليقة والسجية والغريزة والنحيزة قال وهذا كلام
كاف في الحرف فاستزدته فاندفع فيّ باشياء لك نثرها ها هنا كالواجب وان لم تكن
محتاجاً اليه من كل وجه ولكن الكلام له صورة لا تملك وغاية لا تدرك واذا عادها زدته
بفائدة لعلها تشاكل نفس ما نحن فيه وتسهل له وتحدث عليه فقد برئنا من العنف
واللوم والافراط في التوبيخ ان شاء الله ثم قال واعلم ان للافعال مراتب مختلفة و
مواضع متباينة فالظاهر منها مرتبة ضرب وما ماثله فانه نافر اي مبعد ولست اعني بما ماثله
ما كان مثلاً شيئاً بل ما زاد عليه ايضاً ولكن بعد ان تكون له اثر منفصل من فاعله ثم ما عدا
هذا ايضاً مراتب اعلاها ما يلزم كقولك خلا وعلا وكرم وظرف وعلم وسلم وثبت ورتب
ثم قال ما زاد ايضاً مثاله هذا احكم كقولك تدحرج واحرنجم والانسان له في كل شيء من هذه
الاشياء شكل يباين شكله الآخر بما من المباينة بشعرة ويسهو عنه اخرى ومجموع الافعال
فعل يحدث بك من غيرك مثل ما يحدث لغيرك منه مثاله ضرب وضُرِبَ يحدث بك منك
مثاله حسن وسمع وضرب يحدث فيك مثاله نحل ووجل ونسي وفي نوع ما يحدث بك
ما يجوز ان يومر به وان ينهى عنه مثاله اشجع ولا تجبن واعلم ولا تجهل وها هنا ضرب تحدث
انت فيه او تحدث به مثاله كن وجد واعدم واذا حققت النظر كانت المطاوعة اغلب على
جميع هذه الضروب الا ما تميز عنها ولم يلتبس بها الى ها هنا حصل ما اتصل بما كنا فيه
وكرهت اختزاله عنه واعود فاتمم صدراً بدأت به في هذه المقابسة بعجزه ثم فبادرت
بالجواب الى ابي سليمان وقصصته قراءة عليه فقال هذا حسن مقبول ويدل ان ما سمعته
من هذا الشيخ غيض من فيض وشرارة من حريق ثم قال وانما يصح قوله هذا اذا لخص
المعنى الذي خصت الطبيعة به من قبولها من النفس وانقيادها لتصريفها وانفعالها
بتفعيلها فان الطبيعة كالهدف لما على النفس وكالشيء الشاحي فاه المنتظر لما يلقى اليه
ويرسم له لا يتعدى حكمه ولا يعصو امره ولا يخالف نهجه وهذا شأن النفس مع العقل
ولكن اعلا من هذا لان الفيض الاول والجود الاول لا واسطة له ولا شوب ولا عارض عليه
ولا كره فيه ولا اختلاف ولا تزاحم ولا اختلاط ولا تدافع ولا اعتراض بل على نوع الخلوص

ومايزيد على ما يقع في النفوس من التنزيل والتدريج والوشج يفيض ذلك كله في الطبيعة بصباباتها وسفاناتها وبقوافيها ومعانيها وتظهر عند ذلك الاشكال المختلفة في الاشخاص وتبدو اقواه بوسايط السماع والاحساس فاما اذا وفّى حقها فيما يقبل منها ما دونها وينقادها ويأتمر لامرها ويجري على رسمها ويظهر تشكلها في الاجزاء المتشابهة المختلفة العناصر المختلطة والمتميزة والمواد المستعدة والابنية والاشتات الملايمة والمتباينة فانها فحدا الفاعلة التي تطبع وتنقش وتصلح وتجمع وتؤلف وتنقض وتخفر وتبيح وتندر وتستخرج وهذه الرتبة حصلت لها من تقبلها للنفس لانها اعطتها صورها وكانت فاعلة لها ولانها قبلت منها فكانت منفعلة لها فلها المرتبتان والحدان بنظرٍ ونظرٍ ووجهٍ ووجهٍ قال واذا وقف على هاتين الحالتين الاولى بموجب اللسان العربي والثاني بقضية الاعتبار النظري لم يبق في الطبيعة من هذا النسق ما يفتقر الى ايضاحه والابانة عنه لان التصفح قد اتى على كل ما كان في القوة من هذين الوجهين فاما حدها الذي هو لها بالتحقيق هو ما قال ارسطوطاليس انه مبدء الحركة والسكون وايضاح هذا بيّن في الكتب الموضوعة فيه وفي اشكاله وانما قويت العناية في شرح هذا القول على قدر ما بدا من المسئلة والجواب تابعت حاطك الله من هذه المقابسات لئلا لانها متولجة في بابها اعني هاني حديث النحو واللغة والمنطق والنظر وبهذا تبيّن لك ان البحث عن المنطق قد يرمي بك الى جانب النحو والبحث عن النحو يرمي بك الى جانب المنطق ولولا ان الكمال غير مستطاع لكان يجب ان يكون المنطقي نحويًّا والنحوي منطقيًّا خاصة والنحو واللغة عربية والمنطق مترجم بها ومفهوم عنها والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نقل وشرح بعد شرح

مقابسة اخرى

قال سمعتُ شيخنا ابا سليمان يقول معارف الناس بالقول المجمل على التقريب تنقسم اصولها الى الظن والوهم والحدس والعقل واليقين والشك والغالب السابق والالهام والايجاس والخاطر والسانح واللايح ثم ان هذه كلها تتجاوز مرة وتتلابس مرة وتتراءى مرة وتتوارى ولن يخلص مطلب من المطالب ولا مذهب من المذاهب من شوب مثلها على قدر القلة والكثرة والضعف والقوة واللين والشدة على حسب المزاج والهيئة والخلط والطبيعة والمنشأ والعادة وعلى ما يجب للانسان من استبداده وتقليده ولو خلص مظنونه من موهومه وتميز محسوسه من معقوله وانفصل معلومه من مجهوله وبان ملتمسه من هواه لكان لا يدخل الظن في العلم ولا يدب الحجر في العقد ولا يتفشى العقل في الحس ولا يكدر الحق بالباطل ولا يصفو الباطل بالحق لتوضحت الاشياء باعيانها ونقيت من ادرانها وزال شك الناظر في اثنائها ووقع على حقايقها وانبائها وعاد ثلج الصدر باليقين معمور النفس بالسكون غنيا عن تاليف القياس والبرهان وتصنيف فنون القول والبيان ولكن الانسان مضروب بالظن والحدس ومصنوع بالعقل والحس ومردود بين النقص والزيادة ومعرض في كل وقت للشقاوة والسعادة لا فكاك له من جميع ذلك ما دام في مسكه الطبيعي وعقله الجزئي وجهله الكلي اللهم الا ان يلبسه الله لباس الرحمة ويغشيه غشاء العصمة فحينئذٍ ان

قال قال الصواب وان فعل فعل الواجب وان اعتقد الحق وان همّ همّ بالخير وان نوى نوى
الجميل وان حثّ حثّ على الصلاح وان زجر زجر عن الفساد وان لحظ لحظ العلو وان غضّ
غضّ عن السفل فقال له بعض الحاضرين فكانه يفارق الطبيعة البشرية ويتسلخ من العوائق
العنصرية فقال يفارقها من وجه ولا يفارقها من وجه بان يميت هواجسها اماتة
ويسكّن موانحها تسكينا ويخمد لواهبها اخمادًا ويقتدر على بلوغ هذه الغاية اقتدارًا ولا
يفارقها بان يبقى انسانا الا طبيعة له ولا مزاج ولا بشرية هذا ما لا يجب ولا يكون وقد ربما
امكن من ذلك قدرًا يحجا وزكل امينة ويشرف على حال سنية وهذه هي حال الفلاسفة
الكبار وحال البررة الاخيار وحال من قد خصّه بالزلفى واناف على الذروة العليا
واندفع في هذا وما شاكله يقوى بدروسه ونموه وكان كاملا بهذا الفن لا يؤتى فيه من عي
ومسّ ولا من نقص ولبس وقام جلساؤه عنه في هذه العشية وكانما قد نهلوا من الخمرة
الصرف والشراب العتيق وكان كلامه اكثر من هذا ولكن الى هاهنا بلغ حفظي وتبعي
وسيمرّ عنه ما يشفي القوم ولا يورث السأم ان شاء الله تعالى

مقابسة اخرى

٢٦

سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول رايت ثابت بن قرة الحراني في المنام قاعدًا على سرير في وسط دجلتنا
هذه وحوله ناس كثير كان كل واحد منهم من قطروهم على خلق مختلفة وهو يعظهم وينسبهم في خلال
وعظه وكلامه وحصلت عنه نكتة شريفة ذهبت مني في اليقظة وسالني ذلك هذا
وكنت سرح تفكري كثيرًا الى الظفر به والوقوع عليه فلا يعود بطائل فلما كان بعد دهر وبعد
اختلاف احوال ذكرت انه قال خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافية التي
هي خير لك من اهلك وولدك ومالك ورتبتك اعلم ان اليقظة التي هي لنا بالحس هو
النوم والحلم الذي لنا بالفعل هو اليقظة ولغلبة الحس علينا قد اتفقنا ان الامر بخلاف هذا
ولا فغلب العقل مكان الحس يتصدع لك الحق في هذا الحلم فاذا وضح هذا فبالواجب ان ينبغي
ان ينقص من الحس وان ظننا ان اليقظة من ناحية ويلتبس بالعقل وان ظننا ان الحلم من ناحيته
وكان ابو اسحق يقول وهذه النكتة مفروشها ولكن بقي ان تفهم منتفعا بها وتسمع على وجه
التقبل لها الا على معنى الاعتراض لها الفلسفة هي لطايف العقل فكل من لطف وصل
اليها ولطف الانسان في طلبها هو تانيه عند التفهم وصبره عند الطلب وشانه على السيرة
التي ندب اليها المشفقون الناصحون فان النفس تزكو اعند ذلك والصدر ينشرح والخاطر
يتوالى فلا يبقى حينئذ باب الا انفتح ولا مشكل الا وضح

مقابسة اخرى

٢٧

سئل ابو سليمان هل يجوز ان يقال الانسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال قال
اما على التحقيق فلا وذلك ان الانسان قد يكون ذا ثوب وذا مال وقد لا يكون ويستحيل
ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو نفس الا على السعة والمجاز قيل له فهل تقول ان النفس
ذات انسان قال لا الا انها غنية عن الاضافة الا ترى انه لا يقال ان الثوب ذو انسان وان
اليد ذات انسان كما يقال ذو ثوب والانسان ذو يد لانه لا حاجة بالثوب الى الانسان

وانما الحاجة بالانسان الى الثوب والبدن ثم قال ـــــ واعلم انه ينبغى ان يفهم من قولنا الانسان
ذو نفس انه بالنفس انسان لان الانسان عرف بالنفس انه انسان ومما يزيدك بيانا انك
اذا قلت ذو نفس فقد اضمرت فى الانسان نفسا فى الاول ثم ميزته بعد بقولك ذو نفس
وهذا رجوع فيما اعطيت الا ترى انك اذا قلت الانسان ذو ثوب لم يتضمن الثوب فى
الانسان بل تميزه منه حتى يكون اشارتك الى هذا غير اشارتك الى هذا فقد انكشف ان الانسان
لا يقال هو ذو نفس الا على سعة وتجوز ومما يزيدك ايضا استبانة ان معنى الملك يستحيل
فى هذا الكلام وقولك الانسان ذو ثوب ايضاح للملك والملك غير المملوك وليس الانسان
مع النفس فانه لا يملك النفس بل النفس تملكه الا ترى انها تصرفه وتكلفه وتستعمله وتستكمله
فاين معنى الملك الذى يقتضيه اللفظ فى جميع نظاير هذا القول والسلام

مقابسة اخرى

قيل لابى سليمان هل هاهنا غير المعقول المحسوس فقال الترتيب فى القسمة الصحيحة يضاعف هذا
ويزيد عليه وذلك ان لنا اشياء كثيرة فى هذا الباب اولها محسوس ثم محسوس معقول ثم معقول محسوس
لا معقول محسوس فاما المحسوس لبحت فللبهيمة وما يجرى فى حكمها واما المعقول المحض فللفلك باسره
(المعقول) واما المحسوس المعقول مما تخيله الانسان الذى لم يصف بعد واما
المحسوس فما يدركه النظر بالبحث وكلما امعن هذا بلغ الى عالم الاجرام الناطقة الحية التى
قد غنيت عن الحس بفضل ما لها من الفيض الدائم قيل له فماذا يبلغ قال قد قلنا مرارا بان
تستنير نفسه بالمعارف الصحيحة وتعتدل سيرته على الطريقة العقلية وتطهر اخلاقه
من الاوساخ الطينية وتنفذ قوته فى الامور العالية قيل له فلم استغنى فى نهاية
المعقول عن الحس ولم يستغن فى نهاية الحس عن العقل فقال ـــــ لان المعقول فى نهايته
حتى والحس يحتاج الى ما ارتفع اليه ولا بد من حس يبين به الخلق فى العموم ولا بد من عقل
يوصل به البارى على الخصوص والحس زايد ولكنه يرود لمن هو اعلا منه والعقل مستزيد
لكنه يستزيد ممن هو دونه فوردت العلة فى الاصل والفرع اصل الوجود وفرع العدم
مزاجه وانتهت الحال تامة الى ما لا يعرفه الجاهل عمى ولا يدركه استحسارا ولا يناله المتوقف
كسلا والسلام

مقابسة اخرى

سمعت النوشجانى يقول وقد وضح بالعبرة الصحيحة والتصفح الشافى والنظر البليغ ان الفاعل
الاول هو علة كل ما يرا ويوجد ويعقل ويحس لا قصد له فى افعاله ولا غرض ولا مراد
ولا اختيار ولا روية ولا توخى ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة ولا مزاولة ولا
محاولة فقال ـــــ له بعض الحاضرين لو ايدت هذا القول ببرهان ساطع او بدليل
مقنع كنت قد شيدت ما اسست وقويت ما بنيت فقال ان هذه كلها دخلت
افعالنا للعجز والفسولة والخطا منا وضعفنا وفاقتنا وتحولنا وتبدلنا وسيلا
وجبرت مكاسرنا بها وتمت نواقصنا بمواصلتها وانسدت مفاقرنا
باستعمالها فاما البارى الحق الذى هو واهب كل كامل كماله وجابر كل نقص نقصه

فهو علي عن الاعراض والعلل والسالك قال ـــــ له السائل فكيف اتفقنا على انه منعوت
بالحكمة وافعاله على ما تمت وكيف يبان عن هذا ويتحقق حتى يخلص من خوابي اللحظ والقلوب و
وسائر اللفظ من الالسنة فقال ـــــ لعمري ان في ايضاحه لصعوبة وعسرا وان كان العقل قد تقدم
بما قدمته وعلى صعوبة ذلك فاني اؤلف على التقريب قولا عسى ان يكون للسامع فيه رضى ومقنع
ان لم يكن فيه مرأى ومسمع ثم ابتدأ فقال ـــــ قد وجدنا في افعالنا ما يندر في بعض الزمان من غير
قصد مفروض ولا مراد متوجه ويشتمل مع ذلك على النظم والاتقان والصواب والاحكام والموا
والسلامة حتى نتعجب من انفسنا غاية التعجب ونتهادى الحديث به وليس منا احد الا وهو
يجد هذا لنفسه من فعلا اعني النادر والخارج عن قصد متقدم وعزم مستحكم ورأي مثبت
ومقدمة مرتبة وحتى يظن كثير منا ان ذلك انقلب بلا مؤامرة وانبجس بلا فكرة وانبعث بلا
روية وتم بلا قصد وحدث بلا تقدمة وعرض بلا علة وكانه كالشيء البائن بنفسه القائم بذاته
وعند اتفاق الامر على السلامة وانتظامه يكثر شكرنا لله عز وجل وحمدنا اياه فنرى انه كان صنعا
منه لنا ولطفا منه بنا ويدا سبقت بالحسنى الينا ونعمة من الله تعالى توالت علينا وقد تتصل
ببعض افعالنا واعمالنا ايضا بالقصد والغريزة والرأي والهمة والروية وساير مقدمات العقل
واوائله ودواعيه وتوابعه ومع ذلك تزل عن شرح النظام وتعدل عن طريق التمام وتحيد عن
سنن الغاية وتزول عن بلوغ الحد والنهاية فالاول النادر منها منهاج لنا ان نعلم ان الفاعل الاول
احكم فعله ذلك الحكم بلا اجل منه ايضا كثيرا وانما ضربنا هذا المثل تمثيلا وان الذي كان منا
في لقيه بعد القنية والفرط بعد الفرط هو الذي يكون منه على الديمومة والسرمدية على هيئة
اشرف مما يعتاد ويستانف والثاني النادر منه ايضا طريقها لنا الى ان نعلم نقصنا في كمالنا وعجزنا في قدرتنا
لان القدرة تخص والروية تتقدم والغرض ينتصب والفعل يمكن والتحصيل يقع ومع ذلك لا يتم
الفعل ولا يتجه المقصود وفي النادر الاول يتم ذلك كله وليس هناك داع قوي ولا ضعيف ولا شيء
من موجباته واه ولا حصيف وبين هذين النادرين محجة الافعال بالاستطاعة والقدرة والقوة
والتمكين والدواعي لا يدفعها دافع ولا يمنع من الاعتراف بذلك ممتنع فقد شهد العقل في مراتب هذه
الافعال بين ما نادر في الطرفين وبين ما استمر بينهما بان الفاعل الاول يفعل ما يفعل بغير قصد
ولا روية ولا اختيار ولا غرض بشهادة ما بدر من الانسان في وقت دون وقت ولو تمت افعال
الانسان ابدا بلا قصد ولا روية ولا غرض ولا ارادة وصار هذا النادر منه مالوفا كانت هذه
القوى فيه فضلا او عبثا ولو كانت ايضا تتم ابدا بها ومعها وعندها ومن اجلها كان مضافا اليها
ومحمولا عليها غير موقظ في عرضها على اسرارها ولا مدعو الى البحث عنها ولا منبه على اعتبارها و
استتارها فاعار الله هذا الانسان هذه القوى اعارة والبسه هذه الجلابيب الباسا وعرفه
فيها تصريفا فان يبرها شيء فلان المحوج حاش هذا الانسان الى الاذعان والطاعة قلت ـــــ
له وقد بلغ بهذا الموضع بعد انبهار وجهد ولم بدر من الانسان ما بدر في الاول قال لان فيه جنبة
الاهية وجزءا ربانيا يتسق به ما يتسق ومن اجله يتفق ما يتفق قلت ـــــ فلم بدر منه
النادر الثاني قال لان هيولاه عالية وطينته سائلة وصورته التي هو بها ما هو ممتزجة ولا بد
للهيولى من الانفعال الذي هو من شانها كما لا بد للصورة من الفعل الذي هو من شانها وكل متقدم

منها فله اثر منها ظاهر الى ان يغلب سلطان الصورة فيبطل حكم الانفعال او يغلب سلطان الهيولى فيبطل حكم الكمال والتبجح بين هذين هو الذي يسلك الى الغاية التي يسعد بها والى النهاية التي يشقى بها ونحن نسئل الله عصمة تقي ونعمة تزيد وتنمي قد زال بقاك الله عن سمعي وبصري وصدري كثير ممن كان صلة لهذه الجملة والبقية كما تراها ويصالحها العقل بالتحية والترحيب فيتلقاها بالبشاشة والبشر وليس يوصل الى اعماق الفلسفة وعويص الحكمة الالهية الا بالاشارة والايماء والرمز والايماض

مقابسة اخرى

قيل لابي زكريا الصيمري بباب الطاق في الوراقين وابو سليمان حاضر بلغنا انك لا تقول ان البارى شيء وهذا مذهب كالشنعة ان لم يكن كالمحال والمعروف غيره عند كافة الناس فقال قولنا شيء ليس باسم ولا فعل ولا حرف ولا نعت ولا مصدر ولا ظرف ولا حال ولست اجد نصا بايقربه ولا منزعا ينزع اليه وانما صار له مفهوم بحسب اتصاله بغيره وانضمامه الى ما يتم به كقولك هذا شيئي اذا اضفت الى نفسك وهذا شيئك اذا اضفت الى مخاطبك وهذا شيئ فلان على هذه الوتيرة المعترف بها واما قولك شيء على نكرته واصله وتجرده فليس يجلب فائدة ولا يحدث ثمرة ولا يوجب علما والنفس لا تاخذ منه معنى والفهم لا يخلو منه جملة والحس ينفر عنه ضربة واحدة فاما ان عرفته بالالف واللام فقلت الشيئ فانه لا يكون له ايضا ثمرة حتى يتصل المعرفة المجتلبة اليه بغيره وتنكشف اللهم الا ان يكون بينك وبين صاحبك عهد بشيئ من الاشياء فحينئذ ذلك العهد يشير الى عين ذلك الشيئ الذي في نفسك ويذكر عهدك وعهده بك ثم قال فان قلت مستزيدا لم لا يكون للاسماء قيل لانه لا ينبغي ان توحد شيئ من الاشياء ثم يولى اسما بانه زيد او نعت بانه بيل او حال بانه قائم وخاصة بانه ضاحك وساير ما يتبع هذه الاوايل مما لا يحصى كثرة وهو مشهور عند كل احد فان سميت ما لم يوجد فذلك لانك اعرته اسم آخر موجودا فان قلت فلم لا يكون نعتا قيل لك لانه قبل ان ينعت يكون شيئا وانما النعت يقرره ويميزه ويحليه ويوضح عنه فان قلت ومن اين كان هذا هكذا قيل لاشتمال قولك الشيئ واحتوائه الا ترى انك تطلقه على المعدوم على تفاوت درجاته كما تطلقه على الموجود على تباين طبقاته وتعينه ما في الحس تعيينا كما تشير به اليها في العقل اشارة وتستعمله فيما تفرضه فرضا من غير حقيقة كما تستعملها فيما هو موجود وله حقيقة فلو قوعه على كل ما عدم ووجد ويعدم ويوجد ما وجب ان لا يطلق على من كان يعلو على كل شيئ وهو منبعث بكل شيئ ومعطي كل شيئ ما هو به من جسم وجوهر ومحسوس ومعقول ومفروض ومعلوم ومشهود وموهوم وبايد وثابت وكنت سمعت الشيخ علي بن عيسى الرماني النحوي الصالح يقول الشيئ مصدر شاء يشاء شيئا كقولك جاء جيا والمشية كالمجيئة وانما اعمل على ما ترى لتعلق ما نجد حسا وعقلا وظنا ووهما فالمشيئة والشيئ بهذا المعنى بعض خصايص الاسم وخرج به عن اصل المصدر ولهذا اشباه وقال ابو سليمان في هذا المجلس زايدا في الفايدة لا ينبغي ان يطلق على البارى موجود قلنا ولم قال لان الموجود مقتض للواجد لا محالة والواجد في صيغته مقتض

للموجود لامحالة فالرباط قائم والتعلق بيّن والله تعالى يجل عن هذه الرتبة لانه لا واجد له ولو
كان له واجد لكانت مرتبة الواجد فوق مرتبة الموجود بدلالة سائر الاسماء والصفات قلنا
له قد قيل معبود ومحمود وموجود وما ضارع ذلك فقال اما اذا تجوزت في الكلام وتفسّحت
في العادة فكل هذا على باح واحد وانما الخصوصية للذين دققوا في التوحيد من هذه الجهة
الغامضة والاشارات اللطيفة على ان الذين اباحوا هذه الاسماء اعاروه اياها لانهم
نقلوها عن غيرها ونعتوه بها وذلك غاية طاقتهم ومبلغ علمهم ونهاية جهدهم ثم قال ـــــ
ان اطلق الموجود على انه اسم فقط جاز لان الموجود في الاول انما اقتضى الواجد وصار
مضمنا به لانه التبس بالصفة فاما اذا جرد اللفظ من معنى النعت واستعمل على مدرجة
الاسماء لم يكن كبير تقصير الامر وجه واحد وهو ان هذا الاسم بعينه هو صفة في مكان
اخر فالشركة حاصلة ضرورة والتوحيد مباين للشركة كانت الشركة مجازا او اشارة او
تثبيتا وحقيقة وهذا كما تسمع ومما ازيدك استبصارا او تعجبا منه واستغرابا
له وهو نمط ما سمعته من صنف من اصناف الناس فان ترك فاستفده وان سقط
عليك فدعه لاهله فلست الغيار على هذا الخلق

مقابسة اخرى

سمعت مقدادا يقول لو انتهى غرض من تقدس وعلا في الانسان مع هيئة المعروفة وحليته المألوفة
الى ان يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ولا معاد ولا منقلب لما كان ذلك قادحا في الهيئة
ولا متحيفا الطرف من اطراف حكمته ولا معاندا لما يليق بربوبيته فكيف وقد نصب لعلاماته
واحكام الشواهد والبينات واقام البرهان والايات على تحقيق المعاد وحصول السعادة
والشقا بحسب الصور الموجودة لواحد واحد ثم قال ـــــ لو سئلنا العقلا باسرهم او
سئلنا اعقلهم فقلنا ما تقول في بدنك اذا بطل باسره ولم يبق منه شئ الا العين التي
من شانها ان تبصر الاشياء فان جوابه لا يعدو ان يكون اذا لم يكن بد من فناء جميع البدن
باجزائه فلان العين وهي اشرف ما فيه او السمع وهو في الشرف خير من ان لا يبقى شئ ويبيد كله
ويضمحل جميعه قال فيقال ـــــ له فكذلك النفس في بقائها بعد ان يصرح عنها قشورها و
تفارق مختارة لبوسها قال ـــــ وانما ضربت هذا المثل وعرضت هذا التشبيه
لانه قال لي قائل الانسان لا يبقى فاذا لم يبق الانسان فاية فايدة فيما يبقى منه اوله او هو قال
وهذا لو ضرب المثل بمن له ولد اغنى لو قيل له لا سبيل الى بقائك بذاتك لانك لا تحتمل
ذلك بعنصرك ولكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك وفاضل عنك لاثر بقاء
ولده من بعده ايثارا احسنا طيبا لنفسه به فانه يرى ان ولده منه وهو هو لانه يرامصاص
وخلاصته وبصاصته وسلالته ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه الا بالشخص والشخص فقط
ثم قال ـــــ موضحا لما اتصل بصدر كلامه اعلم ان الانسان لا يبقى انسانا الان الانسان
بما هو انسان يجده المنطقي فاذا اصفا ما كان به كدرا وانبسط الى ما كان عنه مركبا وانتهى
عما كان به محدودا وارتقى مما كان به هابطا محطوطا وخلع الصورة الملابسة للحس والغشاء
اللاصق به من ظاهره فانه حينئذ يكون الباقي الذي كان مرة انسانا الان الانسان اسم

للجد المعروف اعني الحي الناطق المايت فاذا ارتفع الجدار تفع وحقت الحقيقة التي كانت النفس
موجودة بها حاصلة الا ترى ان الانسان اذا قدم فكره في حالة خالية الايام الماضية قبل ان حوى
حده وملك صورته واقتنى به خاصته ونوعه وفصله وجنسه وعرضه ثم انه كان على حال اخرى
ولم يكن يجب من ذلك ان لا يكون في الثاني على هذه الجملة فكذلك انكان الان على ما هو عليه
ثم تحول عنه الى ما ليس الان عليه ليس ينبغي ان يكون منكرا مردودا مستعجبا منه مجحودا لان
الذات باقية كما كانت في الاول وانما تخللت حجبا وقطعت طرقا واستعملت اشكالا
واظهرت احوالا واستكملت استكمالا ونالت شرفا وعلوا وجلالا

مقابسة اخرى

٣٢

سمعت عبيد الكاتب يقول لابي محمد العروضي وكان ابو محمد يتفلسف ولزم يحيى بن عدي دهرا
انا قليل الرؤيا وقد سائني هذا وقد خلت اني من عمي القلب فقال ابو محمد هذا يكون
من امرين مختلفي المرتبتين احد الامرين كدر النفس بالجهل وظلمتها بالغباوة وانمحاء
صورتها بصدء الدهر وقلة اقتناء المعارف وشدة انجرادها من الغير وهذه حال
دهماء العوام واما الاخر فهو ان تعلو النفس في مراتب المعارف وترتقي رياض العلم فيصير
حالها في الحلم قسيمة حالها في اليقظة الى الكهانة حتى اذا احدس قرطس واذا ظن طن واذا وهم
هجم واذا اعتبر عبر وربما تحولت الى ما يرفد العقل فقط باستخراج الدقايق وتاليف المقدمات
واستنباط النتايج والوصول الى سواد الحق وبحبوحة الصواب وربما صارت الحال مصادفة
للحقايق بزوال الوسايط اي من غير اعمال اداة واحضار الة قال وهذه كلها من درجات
النفس تارة من ناحيتها بالبحث والتفتيش والنظر والتغليب وتارة بالوحي والالهام و
الالقاء والسنوح والموافقة والمصادفة وما جرى في نظاير هذه المعاني والتبرع بما يكون
شطرا لها وهذه حال تقع اولا في مزاج مهيئا وترتيب معدل وطينة حرة ثم يظهر ثانيا
بتهذيب النفس وتطهير الاخلاق وتصفية الاعمال وقمع الشهوات وكل من كان قسطه
من الحال الفلكية اوفر كان مضاره في الحال البشرية اظهر وهذا باب طويل الذيل وفيما
وقع النص عليه ووصلت الاشارة اليه بلاغ لمن اثر رشده وقصد حظه وبذل سعيه
واتم غايته وفقنا الله لما يحب واستعملنا فيما يرضي انه قريب مجيب

مقابسة اخرى

٣٣

سئل ابو محمد العروضي مرة عن الحركة والسكون ايهما اقدم فقال اما عند الحس فالحركة
اقدم واما عند العقل فالسكون اقدم وبعد فالسكون عدم الحركة وكل حس فقوامه
بالحركة وكل عقل فصورته بالسكون ونظامه بالهدو وخاصته بالطمانينة واثره بالقرار
وقوته بالنفس وكانه من فيض العلة الاولى وجوده لان هذا النعت لكل ما دونه فالاستعاده
له بالواجب والحقيقة والسكون عند العقل عدم الحس والحركة عند الحس تاثير العقل و
اطال اطالة شذ ربها عني اكثر قوله وسمعت ابا سليمان يقول ما هو نديد لهذا
القول وجار معه فان سكون العقل في نوع الحركة وحركة الحس في نوع السكون لان حركة الحس
الى الاضمحلال والنكول وسكون العقل الى الكمال والمحصول وقال انما الحركة

التي نعتقد لها ضدا اعني السكون هي الحركة التي للفساد وبلاد الحس فاما الحركة لنوع السكون فلا
ضد لها بوجه لان العقل كل بمعنى واحد وواحد بمعنى كل وله هذا باشتمال العلة الاولى عليه
واقتباسه منها وقد وضح ان السكون عدم قال فكيف يكون هاهنا وجود قيل له في هذا المكان
فالعالم ساكن او متحرك فقال لو كان متحركا الحركة المعروفة لقلق وارجحن ومال وهفا
ولو كان ساكنا لبقي ذلك على حال ولكنه متحرك حركة استدارة فلذلك ما يظن به سكون
وساكن لسكون قابل للفيض فلذلك يظن به الحركة فالتشوق حركة ولكن عقلية والدوام
على التشوق سكون ما ولكن عقلي فكل ما قد فاض عن العلة الاولى ويقبله المعلول
الثاني وهو موجود على مراتبه المتباينة ودرجاته المختلفة بين الطرف الادنى الى الطرف الاقصى
ومع ذلك فقد وقف الجميع تجاه كل متصفح وقبالة كل باحث فليس يذهب من جميع ذلك
شيء الا بسوء الاختيار وقلة الاقتداء بالافاضل الاخيار حفظك الله ولو انتفعنا
ببعض هذه الفقر الكريمة سعدنا ونلنا منيتنا فسل ربك ذلك بالتضرع اليه و
الخضوع بين يديه مع العبادة الدائمة والبحث اللطيف والتودة المعتادة والاحسان
الى البرية فانك تعطى بغيتك وتبلغ غايتك وتنال سعادتك ان شاء الله تعالى

مقابسة اخرى

٣٤ سمعت البديهي يقول وكان صحب عيسى بن عدى دهرا وهو حملني بدعوته اللطيفة الى المجلس
من البين ان الموجود على ضربين موجود بالحس وموجود بالعقل ولكل واحد من هذين الموجودين
وجود بحسب ما هو به موجود. اما حسي واما عقلي فعلى هذا النفس لها عدم في احد الموجودين
وهو الحسي ولها وجود في القسم الاخر وهو العقلي وقد كان الدليل على هذه الحال حاضرا في هذا
العالم وذلك انها كانت تنقله وتستنبطه وتعقل وتستنبط وتنظم المقدمات وتدل
على نتائجها بعد المعلومات وتعلو الى غاية الغايات وليس للحس معها شركة ولا له عندها معونة
ومادة فكيف لا تكون النفس التي هي عنوان كتابتها وصريح كنايتها وفاضل عنايتها بعد
مفارقة القشور والحواجز والحيطان والحواجب والغواشي والملابس عن الحس اغنى وبجوهرها
اعلا وبخاصتها اسنى وهذه الاشياء عنها ابعد وعن شرها اهبط وهل هذه الشهادة
الا عادلة وهذه البينة الا مقبولة وهذا الحكم الا مرضي وهذا المثال الا ابين ثم قال
ولطائف الحكمة لا يصل اليها الحس الجافي والغليظ القدم والجلف العبام والهبلاجة
الملفوف وانما هي تعرض لمن صح ذهنه واتسع فكره ودق بحثه ورق تصفحه واستقامت
عادته واستنار عقله وعلت همته وخمد شره وغلب خيره واصل رايه وجاد تمييزه
وعذب بيانه وقرب اتفاقه قيل له هذا عزيز جدا واتباع هذا الفن يتمطى ويحاذ
كل غاية ويتخطى ومحصولي من ذلك ما سمعته الان فسر نفعنا الله به وحلانا
بازينه واسعدنا بقبوله

مقابسة اخرى

٣٥ سمعت ابا اسحق النصيبي المتكلم وكان من غلمان جعل يقول ما اعجب امر اهل الجنة قيل وكيف
قال لانهم يبقون ابدا هنالك لا عمل لهم الا الاكل والشرب والنكاح اما تضيق صدورهم

اما يكلون اما يربون بانفسهم عن هذه الحال الخسيسة التي هي مشاكلة لحال البهيمة اما يانفون
اما يضجرون واخذ في هذا وشبهه بيوح مستعظما وكان يقول بتكافؤ الادلة ويحيب عن اكثر
الناس ويفاتح فيه ابن الجليل ويناقله عليه ولعمري ان من طلب طمانينة النفس ويقين القلب ونعمة البال
بطريقة اصحاب الجدل واهل البلا احدّ به هذا البلا واحاط به هذا الشقا والكلام كله جدل ودفاع
وحيلة وايهام وتشبيه وتمويه وترقيق وتزويق ومخلة وتورية وقشر بلا لب وارض بلا ريع و
طريق بلا منار واسناد بلا متن وورق بلا ثمر والمبتدئ فيه سفيه والمتوسط شاك والحاذق
فيهم متهم وفي الجملة افته عظيمة وفايدته قليلة نعم فاعدت على ابن سليمان قوله بنصّه
وحكيت له شمايله فيه فقال في الجواب انما غلب عليه هذا التعجب من جهة الحس لا من جهة شيء اخر
وهذا كلما فرض بالحس او لحظ بالحس لانه قد صح ان شان الحس ان يورث الملال والكلال ويجد
على الضجر والانقطاع وعلى السآمة والارتداع وهذا منه في ذوي الاحساس ظاهر معروف
وقائم موجود وليس كذلك الامر في المعاد اذا فرض من جهة العقل لان العقل لا يعتريه الملل ولا
يصيبه الكلفة ولا يمسه اللغوب ولا يناله الصمت ولا يتحيفه الضجر وهكذا حكمه في الشاهد
الحاضر والعيان الظاهر لولا عقله النصيبي ونظر ابيه الم يعلم انه كان في هذه الدار على شوبها
وفسادها وكدرها وشرورها كان العقل لا يكل معقوله ابدا ولا ينقضي منه ابدا البتة و لا
يطلب الراحة عنه بوجه بل كان العقل اذا وجد معقوله وتوحّد به صار هذا ذا احياء لا يوجد
بينهما بين بحال فكيف اذا كان المنقلب الى عالمه الصرف الذي لا حيلولة ولا تغير له وهو الوجود
المحض والامر الصرف والشيء الذي كلما عرفته بالصفة بعد الصفة كان عنها اعلا وكلما اوضحته
بالعبارة كان عنها اخفى واطال هذا الفصل وعلقت من جميعه قدر ما تقرره في هذا المكان
ولعلك تجد به ما اكون منصورا فيه عندك غير ملوم على اساتك وفي الجملة القول في حصول
النفس بعد خلع الجسد الذي خص به الانسان صعب ولولا امثلة توضح ايضا حا يثق به الانسان
مرة بعد مرة لكان باب معرفة حالها قد ارتج والطريق قد سد وقد بين هذا كله بالبرهان المنطقي
في مواضعه المعروفة ان كانت الثقة تقع كذلك فاما هذا المقدار فانه جرى في عرض مقابسة
هولاء المشايخ بينهم بالحديث والاسترسال فليكن العذر فيه مقبولا عندك بحسب الحال
التي قلبت ظهرها لبطنها لك مرة بعد اخرى فهذا الولوع مني بالاعتذار احساس بالتقصير
اما من جهتي فلسوء الرواية واما من جهتك فلقلة الدراية فانا اسئل الله رب العالمين
ان يفرغني لبلوغ غاية هذا الامر بقية عمري فانها فيما اخال قليلة وما يرجو المرء بعد الانتهاء
الى خمسين حجة قد اضاع اكثرها وقصر في باقيها اذا اراد الله نجاة عبد تولاه بلطف
من عنده

٣٦

مقابسة اخرى

سمعت النوشجاني يقول الباري الحق الاول والاحد مُنبجَس الاشيا كلها ومنبعها عنه تفيض
فيضا فيه وتغيض غيضا لا على حد اللفظ الذي يرسم في عن فصلا وفي في وصلا بل
على حد العقل الذي يقضي بالشيء على الشيء من غير اثبات بينونة ولا تاسيس كينونة
فان الاشكال والحدود من الاقوال والاعراض منفية في ساحة الالهية لكنها رسوم

محركة للنفوس تحريكا وكلمات مقربات من الحق تقريبا تبلغ بالسامع اليه ما وراء ذلك كله تبليغا وكلما
كانت هذه الرسوم اتم واحسن والكلمات ابهى وابين كان التحريك الطف والادراك اشرف
ولهذا ما يضرب عن بيان الى بيان ويؤثر كلاما على كلام ومثال هذا التحريك ما ضرب من الاشكال
والخطوط والصور والنقوش ثم قال الوحدة سارية في جميعها ومحيطة بكلها ومشتملة عليها
باسرها فصارت على هذه الاشياء بالوحدة تتشاكل وتتكامل وبالكثرة تتخالف وتتفاضل
فالمعنى بالتصفح المولع بالتعرف قد يلوح له تارة كالمركز من المحيط وتارة كالمحيط من المركز
وتارة كالمدرة في انحراعى هذه الفقر ملائما بينها فاذا نظر له فاذا الخط الاول فكانه صادر مع الصواب
واذا الخط الثاني فكانه وارد مع الموارد واذا الخط المحشو بين الطرفين فكانه كلا هذا وكل ذلك من اجل
الاحاطة الشايعة والاشتمال الاول ما انقسم المطلوب عند الطالب بين المحيط والمركز
انقساما مفروضا لا محقوقا فالنسبة على هذا واحدة والوصلة ثابتة ولكن القوابل مختلفة و
الوجوه والامكنة متباينة النواحي والازمنة فعلى هذا تختلف الفروع والراجعة الى الاصل
المبدئ للفرع وهذا كلام غامض من وجه ومن رجع الى فطنة ربانية وقريحة صافية لحظ
من هذا اكثر مما ضمنت العبارة واتت عليه الاشارة

مقابسة اخرى

٣٧ قال ارسطوطاليس فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي ابو علي الانسانية افق
والانسان متحرك الى افقه بالطبع ودائر على مركزه الا انه مرسوق بطبيعته ملحوظ باخلاق بهيمية
ومن رفع عصاه عن نفسه والقى حبله وسيب هواه في مرعاه ولم يضبط نفسه عما تدعو اليه
بطبعه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الردية فقد خرج عن افقه وصار الى اذل من البهيمة
لسوء ايثاره هذه اخر ما ترجم من هذا الفصل وهو كما ترى وعظ بحكمة وايقاظ برافة وتعليم بنصيحة
وارشاد ببيان لو روى هذا الحسن البصري ومنصور بن عمار وضربائهما ما زاد على ذلك وقد اتفقت
ان الاوائل كلها على اصلاح السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما اتم واجدى والاعراض
عن كل ما شغل البال واثار الشهوة لتبلغ النفس غايتها وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس
في هذا العالم ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام

مقابسة اخرى

قلت لابي علي هذا ما معنى قول القائل العقل يحرم كيت وكيت العقل نطق بكيت وكيت فقال معنى
ذالك استحسانه الحسن واستقباحه للقبيح والاستحسان تحسين لك والاستقباح تقبيح
عليك والتحسين اطلاق والتقبيح حظر وانما كان هذا من العقل هداية لذي الطبيعة لانه بري
مع الاول والطبيعة هي معنا من لدن خلقنا فاذا استحكم سوء ادب ذي الطبيعة وطال
انهماكه حتى يصير كانه بعض هذه البهائم في الجهل وبعض هذه السباع في التنزي والوثوب
وكان في الاصل محدودا بالنطق ظهر من قوته بالعقل ما حفظ حياته عليه ونشر فضله
وشحذ جوهره ونير امره واظهر مكنونه وذلك كله تنبيه العقل وتحريكه وتحسينه
وتقبيحه فمن استجاب كف غرام طبيعته وامات هايج شهوته بالتدريج والترتيب
ليكون ممن اصغائه الى نصح العقل وهدايته اتم ويكون استضاءته بنوره اشمل واعم

فلهذا كان للعقل تحريم وتحليل وحظر واباحة ومنع واجازة وكف وحث واطلاق وتقييد وحبس وبعث لا على ما يظنه من لا خبرة له بالحقائق ولا استحابه عند داعي الرشد

مقابسة اخرى

٣٩

قيل لابي سليمان كيف يفعل العاقل اللبيب والحازم الاريب ما يندم عنه وكيف يقدم على ما يعقبه تبعة ويأتي ما يأباه بعقله ويكرهه بذهنه ويعافه بمروته وينكره بعادته ويمنع منه غيره بنصيحته هذا مع اختياره الذي هو اليه واستطاعته التي هي حاصلة لديه مع عقله الذي هو كاللجام والزمام والقاضي والامام فقال الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والحزامة والعزيمة والراي والروية والشهامة والصريمة والتحصيل واليقظة وكلما كان في قبيلها وجاريا في حلبتها ومشاكلا لها ونازعا اليها وداخلا في حومتها ليست هي للانسان على طريق الملك يصرفها كيف يشاء ويقلبها كيف يريد بل هي له من جهة التمليك فلو كانت على جهة الملك ما زل زلة ولا ضل ضلة ولا ندم ندامة ولا ذعته ولا التزم مولة موجعة ولا زحم زحمة موحشة ولا نكص على عقبيه متحيرا ولا بقي منكسعا مبهورا ومتى كانت عنده على وجه التمليك من مالكها بقيت منها بقايا عند مالكها متى شاء تمام فعله امده منها بما يتم له فعله لئلا يظن ظان ان ذلك لا يستقل له بنفسه وكماله بقدرته واستغنائه عن مملكته بل يتم له شيء ليرتاح له ويشكر مقيضه بانقطاع شيء اخر ليفزع اليه ويلوذ به بمسئلته ويتبرأ من حوله وقوته ومن علمه وبصيرته ومن جلده ونجدته ومن انفته ويلوذ بمن هو اولى به ويستمد ممن هو املك له ويستامر الى من هو اقدر عليه ويلقي مقاليده كلها اليه ويطرح كاهله بين يديه وهذا بيان في موجب الربوبية ومقتضى العبودية لا ينكره الا من لا يبالي الله في اي واد هلك وباي ريح انتثر وفي اي بحر غرق وفي اي غثاء طاح قلت له هذا كلام على الصالحين واهل الديانة من اصحاب الشرائع قال يا بني لا تعجب من هذا فالانبياء والاصفياء ومن دونهم يدندنون حول خلوص النفس في العاجلة وخلاصها في الاجلة والقول فان اشتبه والاشارة وان غمضت فالمراد بين والمطلوب متيقن وهل الحكمة الا مولدة الديانة وهل الديانة الا متممة للحكمة وهل الفلسفة الا صورة النفس وهل الديانة الا سيرة النفس وكنت قد حدثتني عن شيخكم الحضرمي الصوفي انه قال النقاب كثيرة والعروس واحدة فقد ارتفع التناقض وسقط التنافي وانما قطعت هذا الامر في طلب الحياة الدائمة التي لا شوب فيها من الم ولا عارض من اذى ولا خوف من انقطاع

مقابسة اخرى

٤٠

قال ابو بكر الصيمري لجماعة عنده ونحن في طاق الحراني في الوراقين وقد ذهب به القول في كل عروض جذبه الى كل باب العلم حياة الحي في حياته والجهل موت الحي في حياته فاذا كان الجاهل ميتا في حياته فماذا ترى يكون بعد مماته واذا كان العلم حياة الحي في حياته فلا شك انه يكون حياة له بعد وفاته ثم قال العلم الالهية في السر لانه بساط العمل الصالح والحق المعتقد والخلق الطاهر والطاعة الحسنة والراحة في العاقبة ومن عري من العلم ولزم العمل كخابط عشوا ما يفوته اكثر مما يجده وما يفسده اكثر مما يصلحه ومن لزم العلم وخلا من العمل كان كلابس ثوبي زور والعلم فنون واشرفه معرفة الحق الاول والعلم قوام المعقول والعمل قوام المحسوس

ولولا الحس لاستغنى عن العمل لان العمل انما هو رياضة النفسين اللتين تعاندان النفس الناطقة اعني الشهوية والغضبية فاما العلم فهو كله في تقديس المعقول بالعقل والتشوق اليه وطلب الاتصال به والغرق في تعرّه والوصول الى وحدته والعمل مقوم للقوى التي تربع كثيرا بالزيادة والنقصان وبالجمود والهيجان والعلم مبلغ الى الغاية التي لا مطلوب وراها والعمل مهيّئ لك نحو المسلك الى سعادتك والعلم مشرف بك على سعادتك والعمل موصل والعلم وصول والعمل حق عليك لا بد من ادائه والعلم حق لا بد لك من اقتضائه والعمل العلم كله نور ولنوره ما اضاءك وسطع عليك واسفر بك وجلا عن حقيقتك وتحلى بعقيدتك ونحى قشورك عنك وابرز لبك منك وصقلك وزينك وابهجك ونورك واهدك لذلك حدك واحلك دار امنك وقرارك وصار الصق بك من شعارك ودثارك هناك تبقى ولا تبلى وتغنى ولا تضنى هناك الواصل والموصول والعالم والمعلوم والعاقل والمعقول في فضاء الوحدة ومغاني القدس وخطة الراحة ومراد الطمانينة والجدة والثقة والسكينة وعرصة الالهية لا تفرقة ولا تمييز ولا كثرة ولا اختلاط ولا تمازج ولا اختلاف حال تجل عن امارات الحال وامر يلطف عن رسوم الامر على هذا سكنت العبرات وطالت الزفرات اتظن ان الرقي في سلاليم المعرفة والتناهي في غايات التوحيد هيّن سهل وقريب ممكن هيهات ذلك كذلك ولكن لواحد بعد واحد يختص به الواحد في عالم بعد عالم وفي دور بعد دور وكان كلامه اطول من هذا واشفى وهذا حاصل منه والله اسئل تقبله والوفاء به والقيام عليه

مقابسة اخرى

٤١

قال ابو الحسن العامري ان المحض من ارباب الحكمة يدرك بفكره ما لا يدركه الحاذق ببصره من غيرهم وذلك ان الحس محطوط عن سماء العقل والعقل مرفوع عن ارض الحس فمجال الحس في كل ما ظهر بجسمه وعرضه ومجال العقل في كل ما بطن بذاته وجوهره والحس ضيق الفضاء قلق الجوهر سيال العين مستحيل الصورة مبتذل الاسم متحول النعت والعقل فسيح الجو واسع الارجاء هادي الجوهر قار العين واحد الصور ثابت الجسم متناسب الحلية صحيح الصفة والفكر من خصايص النفس الناطقة والنطق في النفس يصفح العقل بنور ذاته والحس رايد النفس بالوقوع على خصايصه وكما قد صح ان الحس كثير الاحالة والاستحالة فكذلك قد وضح ان العقل ثابت على ماله في كل حالة والحس يفيدك ما يفيد في عرض الالة التي اصلها المادة والعقل يفيدك ما يفيد على هيئة محضة لانه نور قبيله السنا نزيه عاقلا يتحول من معقول الى معقول وينتقل من رأي الى رأي وينصرف من معتقد الى معتقد هذا هذا الا ان السبيل ان الذي ادعى في الحس ندب اليه وعمل فيه وما هكذا يرى من اعتقد معتقدا بشهادة الحس فانه اثبت رايا وارسخ يقينا واظهر سكونا وعلى هذا الحس يفيد العلم الذي تسكن معه النفس والعقل يفيد العلم الذي كانه مظنون فقال هذا كلام من لم يرتض بحكمة القدماء ولم يرتق عما عليه العامة والضعفاء

الاحساس حفظك ا · ومن جهته وليس لها حكم على شيء

من حواله الا من جهة النطق النفسي والذي يوضح هذا ان البهائم كلها ذوات احساس قوية وليس لها قضايا منها ولا نتايج بها الا انها خادمة للقوة القاضية بالحق الدالة على

الصحة المفضية الى المقدمات المستخرجة للقرات واما اوضح لك هذا القول لانك ظننت او يعتقد
كثير من الناس الذين يظنون بانفسهم انهم خاصة من ناحية الحق بل ليس الامر كذلك لامر يعتقد
اشياء ممزوجة مشوبة مختلطة كدرة فيها احلام العقل وسماء دره ومحابله يأخذونها من اشياء
الامور وصفحات الاحوال وظواهر الاشياء ولذلك ما يزولون عنها بشرعة ويستوحشون
منها عند كل شبهة وليس كذلك الفلسفة فانها علم العلوم وصناعة الصناعات لا تعطيك
في موضع الشك اليقين ولا موضع الظن العلم وكلها تعطيك في كل شيء ما هو خاصته و
حقيقته ان شكا فشكا وان يقينا فيقينا وسنصل هذه المقابسة في الكتاب ما يكون
بيانا وشاهدا بصحته ولو ان هذه الاوراق اشتملت على نكتة ما فيها فقط لكان ذلك
لا يكون انه كاف في معناه موف على اقصاه لان بحر هذا العلم عميق وقيمته غالية ولكنا وصلنا
نكتة بنكتة ومقابسة بمقابسة تكثيرا للعائد وتفريحا للنفس واستدعاء للنشاط ودلالة
على مواضع السعة والغزارة ولا تصل منها الا وهو يوفي على كتاب ضخم اذا حويت على كل ما فيه
وكل ما يتعلق به ويصرف فيه وشبهه فاذا عتبت علي ابقاك الله في بعض التقصير فقارب واقصد
فلم اضمن لك خلوص ما اقوله عن بعض الشوائب وانما عزوت ذلك كله الى هؤلاء الاعلام
الذين كانوا مذكورين في الوقت من غير ان استبددت بشيء عليهم الا بما لا بال به ليحسن
ظنك ويقل تعبك بها في تهجينهم والله يعينك بلطفه ويواصلك بتوفيقه انه قريب مجيب

مقابسة اخرى

٤٢

قيل لابي الخير حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا ضرورة هي ام استدلال فان المتكلمين في هذا
اختلفوا اختلافا شديدا وتنابذوا عليه تنابذا بعيدا ونحب ان يحصل لنا جواب يفسر على حد الاختصار
مع البيان فقال هي ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس لما كان كل مطلوب
من العلم اما ان يطلب بالعقل في المعقول او بالحس في المحسوس قال وهذا هو الشاهد والغائب وساغ
ان يظن مرة ان معرفة الله اكتساب واستدلال لان الحس يتصفح ويستقوي بموازرة العقل
ومظاهرته وتحصيله وان يظن تارة اخرى انها ضرورة ان العقل السليم من الآفة البريء من
العاهة يبعث على الاعتراف بالله تقدس اسمه ويحظر على صاحبه جحده وانكاره والتشكك فيه
لكن ضرورة لا ثقة بالعقل لان ضرورة العقل ليست كضرورة الحس فانها جذب واختيار
وحمل واكراه فاما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا لانه يعظ ويلاطف وينصح ويحقق وكان
بعض اصحابنا في الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا زعم ان مثال الحس في هذا كامرأة حسناء
متبرجة ذات وقاحة وخلاعة تدخلت الى شاب طرير له شطر جمالها وعليه مسحة من حسنها
تخدعه بحديثها وتراوده عن نفسه لنفسها وتتبدى له بمحاسنها وتطمعه في الامتكان بها
وتستعجله في حاجتها وتحثه على قضاء اللذة والوطر منها فاما مثال العقل فكانه
شيخ هم قاعد على بعد ليس به نهضة للزحوف اليه والحيلولة بينه وبين ما نزل به من صنائع
الوقحة الفاضحة الا انه مع ذلك مليح يتوب وينادي بصوت يحرك رأسه ويبسط يده ويعظ
ويلطف ويعد ويخوف ويضمن ويرفق ويشفق ويحنو ناهيا عن تأثير هذا الشيخ المهم
المحطم من تأثير هذه الخالبة الغالبة المحتالة المغتالة هذا مع قلة اصغاء الشاب

الى الشيخ وسيلا نه مع هذا واراد بهذا المثل الفرق بين العقل فيما يدعوك اليه تسعد والحس فيما كلك
عليه لتشقى هذا فى جميع ما يزاوله ويحاوله ويهم به ويتوجه نحوه فعلى هذا فان الله تعالى تقدس معروف
عند العقل بالاضطرار لا ريب عنده فى وجوده ومستدل عليه عند الحس لانه يستحيل كثيرا ولا
يثبت اصلا لانه استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار تحقق من الكليات وكلى الطريقين
قد وضح بهذا الاعتبار وكفى مؤنة الخبط والاكثار وهكذا كل شئ يطلب اصله وفصله بالنظر
الفلسفى والبحث المنطقى والاقتراء الالهى فاما ما ينظر منه فى الجدال فلا يرث الانسان
منه الا الشك والمرية والحسبان والظنة والاختلاف والفرقة والحمية والعصبية وهناك
للهوى ولادة وحضانة وللباطل استيلاء وجولة وللحيرة ركود واقامة اخذ الله بايدينا
وكفانا الهوى الذى يوذينا وصنع لنا بالذى هو اولى به منا والسلام

مقابسة اخرى

٤٣

قال العامرى الطبيب اخو المنجم ونظيره وشبيه الحال به وذاك ان الطبيب قد رسم بانه
حفظ الصحة بالتدبير المحمود وازالة العلة بالراى الصحيح فكان علم الطب اشرف من موضوعه
وموضوع علم النجوم اشرف من كماله والصناعة محتملة للحيلة والرزق كما انها راجعة الى الصحة
والحذق وقد يتفق فى رزق الرزاق صواب كبير كما يعرض فى حذق الحاذق خطاء يسير و
للحيرة بين هذين الاتفاقين مجال وللمعترض عليها مقال وفصل الحال بين الرجلين صعب و
الخطب مشكل وليس للمصيب بالرزق ان يجعل ذلك قاعدة واساسا ولا للمخطى ان يقطع
منه يأسا قال وقفت هذه الصناعة هذا الموقف وتدرجت هذا التدرج لان الله
تقدس كما اراد بالعافية والبرء والسلامة والنجاة انعاما وامتنانا كذلك اراد بالعلة والمرض
والبأس اختبارا وامتحانا ثم اشاع اليه العلم بالطب تعليلا للطبيب بسبب رزقه منه و
تعليلا للمريض بسبب تخفيفه عنه فكلا الرجلين اعنى المعافى والعليل الى غاية مضروبة على سبب
محسوبة وغير محسوبة ولو عافى الله تبارك وتعالى بالطب بدا لاتخذ الناس الطبيب ربا ولو لم
ينفع بالطب احدا لهجر الناس الطب هجرا بل جعله علالة مدة مع احصاء ايام العافية وسبب العافية
مرة مع التنبيه على موقع النعمة ولذع البلية قال وما هذا مرده ومرجعه الى علم الدار وما
اسست عليه ودبر اهلها به وصرف سكانها فيه فمن لم ينفتح بصره لم يرما فوقه ولا ما تحته
ولا ما عن يمينه ولا ما عن يساره كذلك للغيب سبحا لم يطلع على سر هذا الشاهد ومكنون
هذا الجلى وباطن هذا الظاهر ومعقول هذا الذى تم عليه الحس وخفى هذا الذى وقع عليه
الحدس قال والمرض والعافية فى الابدان بمنزلة الغنا والفقر فى الاحوال والغنا والفقر
فى الاحوال بمنزلة العلم والجهل فى القلوب والعلم والجهل فى القلوب بمنزلة العمى والبصر
فى العيون والعمى والبصر فى العيون بمنزلة الشك واليقين فى الصدور والشك واليقين
فى الصدور بمنزلة الغش والنصح فى المعاملات والغش والنصح فى المعاملات بمنزلة الطاعة
والمعصية فى الاعمال والطاعة والمعصية فى الاعمال بمنزلة الحق والباطل فى المذاهب والحق
والباطل فى المذاهب بمنزلة الخير والشر فى الافعال والخير والشر فى الافعال بمنزلة الكراهة
والمحبة فى الطباع والكراهة والمحبة فى الطباع بمنزلة الهجر والوصل فى العشرة والهجر

والوصل فى العشرة بمنزلة الرداءة والجودة فى الاشياء والرداءة والجودة فى الاشياء بمنزلة الصلاح
والفساد فى الامور والصلاح والفساد فى الامور بمنزلة الضعة والرفعة فى المراتب والضعة والرفعة
فى المراتب بمنزلة القبيح والحسن فى الصورة والقبيح والحسن فى الصورة بمنزلة العى والفصاحة
فى الالسنة والعى والفصاحة فى الالسنة بمنزلة الاعوجاج والاستقامة فى الاعضاء والاعوجاج
والاستقامة فى الاعضاء بمنزلة الحياة والموت فى الاجساد والحياة والموت فى الاجساد بمنزلة
الشقاء والسعادة فى العواقب فما احوج هذا الانسان بعد تمام هذه الامور اداءته ومحله
وطرفه الى يقظة بها يكيس فى معاشه ومنها يقتبس لمعاده ويقتنى ما يحمد ريعه وجدواه ويجتنب
ما يصير سببا لشقائه فى عقباه فباب الخير مفتوح وداعى الرشاد ملح وخاطر الحزم معترض و
وصايا الاولين والاخرين قائمة ومناجحهم موجودة والخوف عارض والامن مظنون والسلامة متمناة
فماذا ينتظر المرء اللبيب بنفسه بعد هذه الايات المتلوة والاعلام المنصوبة والحالات المتقلبة
والنعم المتقلبة والاعمار القصيرة والامال الكاذبة اما يتعظ اما يعلم انه من جنسه ومحمول
على تدبيره وانه لا انفكاك له مما لا بد من حلوله به من انحلال تركيبه واستحالة عنصره وانتقاله
الى حال بسيطة ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا بلى يعلم ولكن علما مدخولا ويعقل ولكن عقلا كليلا
ويحس ولكن حسا عليلا كما قال الاول شعر اشكو الى الله جهلا قد منيت به بل ليس جهلا
ولكن علم مفتون واعلم ان الغرض كله فى هذا الكتاب وجميع ما بثثت عن هؤلاء الشيوخ
انما هو فى ايقاظ النفس وتاييد العقل واصلاح السيرة واعتياد الحسنة ومجانبة السيئة
فاستصحب الغرض بالنية الجميلة فلعلك تؤهل للفلاح والسعادة عند توديع هذه
الجملة المشبكة وانحلال هذه الحبائل المنعقدة

مقابسة اخرى

رايت فضلاء من الفلاسفة وهم الذين قد نوهت باسمائهم مرارا يكثرون الخوض فى معنى
الامكان ويتداولون المسئلة والجواب فيه وقد اقتبست منهم ما رسمته فى هذا الكتاب على طريقة
قريبة والفاظ معهودة فشركنى فى تقبل الفائدة ان كنت طالب فائدة ولا تستبق الاستحسان
والاستقباح والتخطئة والتصويب قبل التفهم والتصفح والتقليب والتنقير فهاهنا مسئلة صعبة
فمن ذلك قول القائل زعم ان لا طبيعة للممكن وانما هو موقوف على فرض الفارض ووهم
الواهم ووضع الواضع وظن الظان وليس كالواجب الذى هو ثابت على وتيرة واحدة وحلية
محدوده معلومة والحد قائم الطبيعة ولا كالممتنع الذى هو ايضا على هيئة واحدة لا يرتقى
صعدا ولا يتمايل سفلا والبرهان على ذلك ان الواجب لا يستحيل ممتنعا البتة لا بزمان ولا
فى مكان وانه كذلك بذاته لا بشئ اخر وكذلك الممتنع لا يستحيل واجبا على مثل حكم الواجب
لا فى زمان ولا فى مكان بل لا ينحط الواجب الى الامكان ولا معقولا ولا موهوما ولا مفروضا
ولا مظنونا وكذلك لا يسمو الممتنع الى الامكان فى حال من حالاته على ما سلف البيان عنه
وقال اخر من هؤلاء الجلة مما يؤيد هذه المصادرة ويحققها ويوضح مشكلا ان كان
عرض منها انك اذا قلبت هذه الالفاظ الثلثة وفحصت عن عناصرها ورتبت معنى كل
اسم منها من جهة وزنه ومرتبته وصنعته وخلقته وجدت وجوهها المختلفة دالة على

معانيها المختلفة وذلك انك اذا قلت هذا واجب في هذا الوزن وزن فاعل من جهة اللفظ وانما قلت من جهة اللفظ قال لان الفاعل من جهة المعنى مقتض لمفعول والواجب مثبت لنفسه عما يكون هو به مفعولا وعما يكون هو له فاعلا والفاعل من المضاف وكذلك المفعول ليس الكلام فيهما وانما اعترض من ناحية وزن الاسم وتبرا من كل صفة موهومة هذا التبرء ولقيامه بنفسه واستغنائه بجوهره وكماله بذاته واعطى المؤنة الاولى والحد الاعلى والممتنع اذا قلبت معنا من ناحية وزنه وجدت فيه معنى من معاني الانفعال ونظايره في البنية تشهد بذلك وهذا نظر يستهلك نظر النحوي ويوفي عليه لابد فوقه في الشرف وان كانت قوة النحو مقتضية وشهادته مستعارة له فكانه قد استضاف فعلا ما الى نفسه كما استضاف محتمل ومشتبه وملتبس ومقتصد وتقريره هذا لطيف الى التقريب دون ما طال واستد وكما استوفى الواجب الصورة بالكمال استيفاء وجود انتفى الممتنع من الصورة في كل حال انتفاء عدم فليس في الواجب من اجزاء العدم شيئ ولا في الممتنع من اجزاء الموجود شيئ وبالاضطرار لفظنا باخر الممتنع ثم ان الامكان بعد هذا كله استعار من الواجب شبها واقتطع منه ظلا واستعار ايضا من الممتنع شبها واسترق منه ظلا وذلك هو عدم ما نصادم من اجل الاستعارة والاستراق ينقسم الى مراتب ثلاث الى الاكثر والاقل والاوسط فقال بعض من حضر هذه المقابسة العجب انه اخذ الشبه من اثنين وانقسم الى ثلاثة فقال له قائل في الجواب انه اذا اخذ الشبه من الواجب في الاغلب لقوة الواجب في صحة نفسه وثبات جوهره وصفاء عينه وفي الاقل اخذ من الممتنع وقوة الممتنع بازاء قوة الواجب وضعا وتمثيلا وقد تقاسمت القوتان الطرفين على تماديهما الا ترى ان الكثرة من الموجود والقلة من العدم اعني ان صورة الوجود في الكثرة اظهر منها في العدم والوجود باسره في الوجود والعدم في الامتناع ونفي ما هو هما اعني ما ائتلف من الشبه الماخوذ من الواجب والشبه من الممتنع لانه اذا وفي ما قد استعاره من الشبه من الطرفين دفي ايضا ما له بالتوسط واختلاف ابنية هذه الكلمات دليل بين وحجة واضحة على تفاوت ما بينهما من الحقائق فاذن الامكان قد خلا من طبيعة يستقل بها وعري من صورة بنسبتها وعاد وحكمه حكم المركبات في الحس والمفروضات بالوهم قال ومما يزيد ما يمضي من القول وضوحا ان الواجب لا يقف على ايجاب موجب في وجوبه والممتنع لا يقف على منع مانع في امتناعه فان عرض في نفسك الواجب فاعلم انه قد اقتضى شيئا ولكنه الموجب واستوفاه ولم ينفصل عنه ما يقتضي شيئا اخر ولا بقي ايضا منه ما تقتضيه شيئ اخر وهكذا المانع في قياد ذلك قد اقتضى الممنوع واستوفاه ولم ينفصل منه ما يقتضي شيئا اخر ولا بقي منه ايضا ما يقتضيه شيئ اخر وخرج حكم الممكن من الحكم الذي للموجب والحكم الذي للممتنع لان الممكن كانه طالب لمكانه والداعي لنفسه فيكون مكانا وهذا كله لتقاعده في قصار وقلة استقراره في بابه لانه عادم لحده وطبيعته وانما يغلب عليه تارة ما يغيره الواجب من نفسه وصورته فيصير للامكان القريب من الوجوب وتارة يغلب عليه ما يستعيره من الممتنع فيصير للامكان القريب في الوسط لا يظفر به رفع الجانب ولا انحراف لما

لما كان الواجب عن الحقيقة عن الكثرة والقلة والانقسام والعلة وعن استعارة صورة عوض له صورة فصار الممكن المنقسم الى الكثرة والقلة والوسط لان الكثرة والقلة قدران واذا بطل ما يكون ذا قدر بطل القدر وهما جرى بين هولاء الافاضل في هذا الفصل ما يدخل في حاشية هذا الكلام الذى قد اعجزني عن اداء علومهم بالقسطاس المستقيم سوء التالى فيما يحقق المراد ويحط ثقل الهمّ فو اخرزان الواجب واجب ان يكون واجبا والممكن واجب ان يكون ممكنا والممتنع واجب ان يكون ممتنعا فالوجوب صورة الجميع لانه نعت للعلة الاولى واما الامكان والامتناع فانه ليشار اليهما بعد الاعتراف بالوجوب الذى قد نفذ سلطانه فيهما وملكت سمته جملتها واحتوت صفته عليهما والواجب لطبيعته لم ينقسم لان الوحدة تامة فيه محيطة به موجودة له خالصة عليه ولو انقسم لانتقلت الوحدة الى الكثرة وتشعبت عما هي عليه في الحقيقة وكذلك الممتنع لانه يكون في الطرف الاخر يعطي صورة الانتفاء من نفسه توفيرا للحد الاول ولا ضير ان يختصر هذه الجملة مثلا لا يكون كالوحي الى الحق لئلا يطيح ما طال القول فيه وتتابع البحث عنه واجب ان يكون الفاعل قبل المفعول وممتنع ان يكون المفعول قبل الفاعل ويمكن ان فاعلا معا في مكان او منفعلان معا في زمان وممكن ان يكون فاعلان معا ولا منفعلان بل يكون كل واحد منهما منفردا عن فاعل آخر وكل منفعل منفصلا عن منفعل آخر فهذا كما ترا ومثال آخر واجب ان يكون الفلك محيطا بالارض وممتنع ان يكون المركز محيطا بالفلك وممكن ان يركب الامير غدا فلو كان الامكان حد غير معترف مما قد تقدم القول فيه لكان لا يقف على الوضع والفرض والوهم والوهم والظن والتخيل الا ترا انك لو نسبت هذا الامكان الى الفلك لم يصح اعني انه يستحيل ان يقال ممكن عند الفلك وعند الله ان يركب زيد غدا وفي الاول جاز عندنا ذلك لانا قلناه تقديرا وتظنينا ووضعا وتوهما ولا فرض عند الفلك ولا ظن ولا تقدير ولا توهم ايضا عند الله تقدس اسمه وتعالى جده وقال اخر من جلة القوم ليس لشئ وجود ولا وجوب الا البارى الحق ولا حقيقة اذن لشئ الا له لانه هو الواجب وكلما عداه فانما هو واجب به وممتنع وبه ممكن والوجود الحق له فكل وجود يوسم للممكن او للممتنع فانما هو بالاستعارة والتقريب والتحلية والتشبيه فاذا انسلخ كلما عدى العلة الاولى من الوجوب ومن الوجود الاعلى قدر ما يبلغه الفيض ويصل اليه الجود ويخلص ما هو بالحقيقة وبالتحقيق هو فيه هذا مبلغ حاصلي من قول هولاء المشائخ وهم الذين نشرت لك حديثهم وذكرت اسماءهم وذكرت على مقاماتهم مرارا في هذا الكتاب وجل النظر في هذه المسئلة على ما انفرشت من الفلسفة الداخلة اعني الالهية المحضة فلهذا ما تفادى من زيادة لعلها تحط قدر المغزى الذى سلف القول فيه وسقنا المعنى عليه والسلام

مقابسة اخرى

٤٥

ذكرت طبيبا شاهدته بجند نيسابور لشئ من العلم لما اذكر تلك المذاكرة وتلك المسئلة وتلك الفائدة الاسنح شخص ذلك الشخص وكان يكنى ابا الطيب لعيني وتمثل في وهمي وحتى كاني اراه قريبا معي وحاضرا عندي وطال تعجبي من ذلك فرايت ابا سليمان في المنام فسالته عن الحالة التى قد شغلتني بالتعجب منها والامر الذى توالى على من اجله فقال لي في الجواب

قولا منقطعا التام من جملته في اليقظة ما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع قال اما تعلم ان المبدأ
الاول العلة الاولى الاصل والعلة مفتقرا اليه بالطبع والضرورة ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه
مرية ولا شبهة قلت بلى قال فالثاني مشعر ابدا بالاول والاول مشعر بنفسه والثاني
مشعور به ايضا ولكن الاول والاول مع هذا هو الثاني والثاني هو الاول ولكن
اختلفت الرسوم ولم تختلف الحقايق الى ها هنا يخلص لي ما تبينته وهو ظاهر كما به
قال لما كان من صدور المذاكرة من جهته وتمت بمطاولته وحصلت الفايدة بوساطته
اشتاقت النفس وتلبست بصورته وجدنا منها للمبدأ ونزاعا نحو الاول واستشعارا
للسكون معه لانها تعشق بالذات ابدا الاول ويعشق كل اول للشبه القائمة فيه والشبه
الموجودة به من الاول بالاطلاق نكل مريد من كل ضرب طبيعي وارادي وفكري و
وخلقي وصناعي والحق يحييها ويؤنسها ويشفي وحشيها ويعللها ويستعمل بذلك
شوقها الى الاول الحق الذي هو اول بالاطلاق واستكمالها ذلك الشوق وهو استدامتها
بحالها وثباتها على صورتها وطريقها على ما حصل لها والكلام في الاول والمبدأ في كل ما
ضرب فيه بسهم وانتهى اليه بوجه لا يمل ولا يمل ولا يشبع منه ولولا ان بضاعتي
في هذا الفن مزجاة وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان ابين
مرأى واجلا مسمعا وعلى كل حال فقد كتبت ما امكن التصرف فيه والتشغل به والزيادة
تشوق لك تقتضي بجزيل القول على تقدير السؤال والجواب والتمثيل والايضاح فان نفس
الله الخناق قليلا وازاح هما لازما وجمع شملا منقطعا اتيت على ذلك متوسعا
او اطمت عليه متلافيا ان شاء الله تم

مقابسة اخرى

قال النوشجاني يوما في جملة كلام اقتضيه في اقسام الموجود اذ كل صنف من اصناف الموجود
في حكمها المعدوم لخساسته ونقصه ولهافته وفساد طبيعته وغموض ضيائه وقبح صورته
وانحاء هجنته وخمود شعاعه وفقد تمامه وتقطع نظامه واستيلاء رذيلته وبطلان
فضيلته فلا ينكر ان يكون في مقابلة صنف اخر من المعدوم في حكم الموجود بصحة
صورته ونفاسة جوهره وكمال فضيلته وظاهر عفته وبخترته وطهاء همته وغلبة
عدالته ونقاء سنخه وصفاء سوسه وطهارة عينه وظاهر زيلته ونوام نضرته
وتناسب جملته وتفصيله وساير ما لا يحيط القول به قال والاشارة في هذين
الفصلين بينة مكشوفة ومتى لم تقف عليها من تلقاء نفسك بضياء عقلك وذكاء
قريحتك وصل اليهما من جهة ارباب الحكمة واعلام الفلسفة فانك متى جربت
هذه الاعراض وتخللت هذه المعارف وثبت على سمة العدل تكنفتك
الخيرات عاجلا والسعادات اجلا فتكون حينئذ موجودا وان عدمت وباقيا
وان فنيت وحاصلا وان فقدت وثابتا وان نفيت مغبوطا وان رجمت وحيا
وان مت وظاهرا وان بطنت وجليلا وان خفيت وواضحا وان اشكلت وشاهدا
وان غبت وقادرا وان عجزت ومعروفا وان انكرت وعالما وان جهلت هنالك

نفذ

تصل الى غنا بلا قنية وتنطق بلا عبارة وتفعل بلا آلة وتصيب بلا مشورة وتعقل
بلا مقدمة وتبقى بلا آفة وتلتذ بلا استحالة وتنال بلا كدح وتحيا بلا اذية وتسعد بلا
شوم الهيئة ودنتها من البشرية وربوبية وصلت اليها من العبودية ومملكة استوليت
عليها بالانسية وحال جلت عن رقم قلم تزويق حبر واستقصاء بيان وتحيل وهم
ثم قال ـــــ وقدم الكلام فيما تقدم عن حال الانسان فى وجوده الثانى عن السعادة التى
حصلت له والجبور الذى ظفر به قال ـــ وانما تلطف هذا القول عليك لانك تنظر الى هذا
الانسان من قبل وهو فى اسار الحس وحد الجسم وقشور البدن وتحلل التركيب وتصرف
الطبيعة وسيلان الطين وذوبان العنصر هذا مع سوء الاختيار وفساد العقيدة وقلة
ايثار العفة والنجدة والاخذ بالرخصة بعد الرخصة فى مساعدة الشهوة وتسلط الارادة
المردية المهلكة ومتى يكون لهذا مرجوع وثمرة وفائدة ولعمرى لو قدس نفسه وباين
هواه واختار الحق معتقدا واثر الخير مجتهدا ونال من ضرورات الطبيعة مقتصدا لانتعشت روحه واستنار عقله
وذكت بصيرته وصفت قريحته وصدق ظنه ووضح حدسه واصابت فراسته وكان التوفيق قائده والسعادة غايته والغبطة
حليته والبقاء حليفه والابد نغته وما اسهل هذا الوصف على ما اقول وعليك بالسماع وما
اصعبه علينا جميعا بالعقل وكيف لا يكون ذلك صعبا والانسان منوط بالطبيعة من طرف
ومضاف الى العقل من طرف فالطبيعة تفزع الى ما هو فساده واهلاكه وبالعقل يختار ما هو
صلاحه وكماله لكن اختياره ضعيف فيه لانه عال فى افق العقل الذى هو موجب الواجب
ومحسن المحسن وارادته الطبيعية قوية فيه لانها ناشية منه وكامنة فيه ومترددة عليه
والنقص على الجمهور فى كل حال واصر وان العجب كل العجب ممن يكمل فى دار النقص ويصح فى عرضة
العلل او يسلم فى خطة البلوى او يلتذ الصاب والعلقم ويغفل عن غايلتهما وينعم وكان بعض
الالهيين يقول الاحسان من الانسان زلة والجميل منه فلتة والعدل منه غريب والعفة
فيه عرض ضعيف ومما يزيدك ثقة بما يصرف من القول به نقص هذا الانسان الذى
قد اكتنفه الفساد من كل جهة وملكه الجهل بكل حال انا وجدنا فى هذه الايام من نظر الى
وادٍ اغن بالكلا قد استحلست الارض به خضرة وندى وحسنا فخف حين حالف
عينه فى طرافه وبلغ به العجب الى ان قال ليتنى كنت بقرة فكنت اكل من هذا كله اكلا ذريعا
وهكذا من اعلاه الى سفله ومن اسفله الى اعلاه وكان يقول هذا وهو على شكل ظريف
لا سبيل للعلم الى تصويره وعلى اداء على وجهه وحقيقته واللسان ايضا لا ياتى على خواصه
ومعانيه وهو متحسر فى قوله على هيئة مجنون لغلبة الارادة الطبيعية وقوة الحركة الحيوانية
وموت العقل الانسانى وبطلان الشرف الجوهرى فلما فشا عنه هذا الحديث وكثر قال
له بعض الفقهاء معنفا ولائما ومنبها له على خساسته يا هذا هل رايت قط من تمنى
وهو انسان ان يكون بقرة بسبب مكان معشب وكلام كثير فقال له مجيبا وهو
وادع النفس رخى البال حاضر الفكر ساكن الطباع ايها الشيخ لو رايت بعينك ما رايته
لتمنيت ان تكون كما تمنيت وهذا يدل على ان الذى اثار شهوته فى ذلك المكان لم
يكن جوعا قد توالى ولا لهفة قد غلبت بل كان نذالة النفس ولؤم الطباع وسقوط

الجوهر وغباوة الروح وقلة العقل هل ترى حفظك الله بعد هذا بين هذا حديثه وجملته و
تفصيله ان ينتعش من صرعته او يستبصر في شانه او يهتدي لسعادته او يلتفت الى معاد ه
وهل بين هذا وبين الحمار الذي هو حيوان نهاق فرق بل قد سمعت ممن قال ان الحمار خير
من هذا بكثير لان الحمار لازم لحدّه غير منحرف الى ما ليس في قوته وهذا قد بطل حدّه بارادته وجمع
النقص كله لنفسه بقبيح شهوته وفساد امنيته على انى شاهدت قبل هذا انسانًا متماسكا
وكان له حظ من التجربة بالسن العالية والسفر البعيد وكان متميزًا بمذاهب الصوفية
يقول يوما وقد ابصر حمارا يمشي ليتني كنت هذا الحمار فعجبت منه فضل عجب وانكشف
لى انه انما تمنى ذلك ليكون ناجيا من قلائده ومؤونة ماهو بعرضه وصدده عاجلا وما هو ماخوذ
به ومخوف منه ومعدّ له آجلا فكان عذره هذا عندى اخرج من كل الجهل وادخل في محض الوهم
وانما هجس هذا في ضميره وجاش على لسانه واتضح بذكره والتشدد فيه لانه كان جاهلا بالجوهر
الذي هو اشرف من الانسان بحده الخالص من كل شوب فنزل عن تلك الربوة العالية والذروة
الشماء اعني الجواهر العلوية الابدية وتمنى ان يكون حيوانا هو اخس من الانسان عند كل انسان
ليحتاج في تسليم هذا ومعرفته الى مقدمتين ونتيجة بل العلم به اول والتسليم له ضرورة لا
لشئ الا ليتخلص من عوارض الدنيا وكلف الحياة وضرورات الطبيعة ومطالب الحواس
ولو ادرك قوته شيئا وعقله وحكم به لصمد نحوه وطلب الانتساب اليه والاشراف
عليه والنظام فيه والتمام به والبقاء معه ولم يعد ناكصا على عقبيه متمنيا الا ان
يكون على هيئة شئ هو الان بنفسه اشرف نفسا واكمل صورة واقوم فعلا واكمل وزنا
وابقى شخصا واكرم جوهرا او اصل هذا الفصل بحديث اخر دفعنا اليه في هذه
الايام لتكون هذه المقابسة مستوفاة ولعلك لا تخلوا فيه ايضا من فائدة تكون رفدًا
لما سبق وايقاظا لنفسك في المستقبل ترى الانسان يبصر فيها بل هى عيونه التى يرى فيها
بل هى نجومه التى يستثمرها ونواضحه التى اذا قيل منها عرف كيف المعرّس والمسرى وكيف
الصبح اذا بدا وانجلى البصر بين يديه كلما دب ودرج ونشأ شاهدنا في هذه الايام متنجما من
اهل العلم ساءت حاله وضاق رزقه واشتد نفور الناس عنه ومقت معارفه له فلما
توالى هذا عليه دخل يوما منزله ومدّ حبلا الى سقف البيت واختنق به وكانت نفسه في ذلك
فلما عرفنا حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه وتصرفنا فقال بعض الحاضرين لله دره
لقد عمل عمل الرجال نعم ما اتاه واختاره هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة لقد خلص
نفسه من شقا كان طال به وحال كان ممقوتا فيه مهجورًا من اجله معه فاقة شديدة واضاقة
متصلة ووجه كلما امّه اعرض عنه وباب كلما قصد دونه اغلق عليه وصديق اذا ساله
اعتل عليه فقيل لهذا العاذر ان كان قد تخلص من هذا الذى وصفت على انه لم يوقع نفسه
في شقاء اخر اعظم مما كان فيه واهول وادوم واعظم وابقى ولعمري نعم ما عمل الله
ابوه ما احسن ما اهتدى اليه وقوى عليه وينبغى لكل عاقل يلقى الى ما دفع اليه يقتدى
به ويصير الى رايه واختياره وان كان قد سمع بلسان الشريعة اى شريعة شئت النقلية
والحديثة النهى عن هذا واشباهه فقد اتى بما عجل الله به العادة واجرله عليه عذا

النار سبحان الله اما كان يسمع من كل عاقل ولبيب وعالم واديب ومن كل من يرجع الى مسكة
ويعرف ادنى فضيلة دع من يرجع الى قوله وينتهى الى صواب امره ويتهادى فنون سيرته وحاله
النهى عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه بكثير فكيف لم يتهم نفسه ولم يتعقب رايه ولم يشاور
نصيحا له اهذا كله بسبب حال لو انها كانت تنكشف عنه بما يتمنى بعد انحسارها الى كبير ممن
ينسى معه تاسى وقد علم ان ادنى ما فى هذا الفعل المكروه بالعقل الفاحش بالسماع المتشبع
منه بالطبع ما يجب عليه من التوقى بسبب ما قد انتشر بالشرايع واجمع عليه الاول والآخر
من كل جيل وطرف فى النهى عنه واستسقاط ما اقدم عليه لانه امر متى ركب بالظن والتوهم
اللذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ثم استبان له فى الثانى عوار ما اثره
وخطأ ما عمل به فاته التلافى ولم يمكنه الاستدراك ولا الرجوع فلو لم يكن فى هذه الا
ما يوجب عليه الشغل والاستبصار من اجل ما قاله العقل او ورد به الانبياء بالعقل
والوحى لوجب ان لا يلقى بيده الى التهلكة ولا يختار ما يهجنه عليه اهل الروية والبديهة
واصحاب الديانة والمروة ولا ينفصل لعادة القائمة ولا يخالف الاراء الحصيفة ولا يستبد
براى الطبيعة فكيف وقد قضى العقل قضاء جزما واوجب النظر ايجابا حتما انه لا يجب
ان يفرق الانسان بين هذه الاجزاء الملتحمة والاعضاء الملتئمة وليس هو رابطها ولا هو
على الحقيقة مالكها بل هو ساكن فى هذا الهيكل لمن اسكنه وجعل عليه اجرة السكنى بعمارة
المسكن وحفظه وتنقيته واصلاحه وتصريفه على ما يعينه على طلب السعادة فى العاجل
والآجل ويكون سعيه مقصورا على التزود الى مبواء صدق ولا بد له من المصير اليه
والمقام فيه على امر شامل وخير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة وحبور مستصحب
حيث لا آفة ولا حاجة ولا اذى ولا حسرة ولا اسف ولا كمد ولا فوت ولا تعذر وهذا
مع السيرة المرضية وايثار الاخلاق السنية ومع اعتقاد الحق وبث الصدق والاحسان
الى جميع الخلق فاما اذا كانت الحال على خلاف هذا فالشقاء الذى يتردد فيه وينعقد به
ويرفع اليه يكون فى وزن ذلك ومقابله نسئل الله الذى بيده ملكوت كل شئ ان
يهدينا للتى هى ارشد فى العاجلة واسعد فى العاقبة فانا ان خلونا من صنعة اللطيف
وبره المالوف هلكنا وخسرنا انفسنا وعدنا فى الثانى شر معاد مع طول حسرة وشدة
اسف اللهم فارحم ضعفنا واشملنا باحسانك وتوفيقك حتى نتوجه اليك قاصدين
ونفوض امرنا الى تدبيرك راضين ونتوكل عليك منيبين ونصير الى جوارك مشتاقين
مخلصين يا رب العالمين قد تضمنت هذه المقابسة فنونا من القول وما اظن انى
اسلم فيها عليك لشدة نظرك وتقليبك ومع ذلك فهى غير خالية من بعض الفايدة وانا
اسئلك ان تقبلها على تخيلها وتهب بعضها بعضا لتكون آخذا بحكم المروة جاريا على
هدى ذوى الفضل فى حسن الاغماض عن شئ لعله يختل منه بعض الاختلال ولا بيا امن الصواب
كل المنال وانت تفعل ذلك ايجابا بالحق اخيك وذهابا مع احسن اخلاقك التى هى فيك

مقابسة اخرى

قيل لابى سليمان باى شئ تعرف ان فى العقل مع شرفه وعلو مكانه انفعالا فقال باستحسان

واستقباحه لان هذين انفعالين ولكنهما انفعالان على طريق الاستحالة وكانه يزيد على نفسه او يقتبس من الذي هو اعلا منه وثبت فيما دونه ويسيغ عليه فهذا يوسم بالانفعال على جهة التقريب لان مرتبة هذا الانفعال فوق مرتبة كل فعل مما هو دون العقل ومما يزيد في انتباهك لهذا المعنى واستنامتك اليه ان هذا الانفعال هو الانفعال الاول الذي ليس فوقه انفعال البتة وله الحق الاولية نسبة الى الفاعل الاول الذي لا فاعل فوقه البتة وكلما هبط الانفعال في المنفعل بعد المنفعل حسن وبَعُد عن ذلك الشرف الذي كان بالنسبة الاولى كالفعل الذي كلما هبط ايضا في الفاعل بعد الفاعل يحسن ويبعد من شرف الفاعل الاول بالاطلاق الذي هو علة كل ما هو علة له فانت اذا اعتبرت فاعلا بعد فاعل حتى تنتهي من عندك الى الدرجة القصوى مررت باقسام الفاعلين ومراتبهم ايضا كذلك اذا اعتبرت ايضا منفعلا بعد منفعل حتى تنتهي من هناك الى ناحيتك الدنيا مررت باقسام المنفعلين ومراتبهم وهذه امور بيّنة اتم بيان وثابتة على اكمل جهة وافضل رتبة لا يتخللها خلل بوجه ولا سبب الا ما يخيّل منها الحس الكذوب الذي لا يوثق بقضاياه ولا يسكن الى حكمه فاما التصفح العقلي فقد اتى على هذه كلها بما اهدى الى النفس السكون ونفى عن حقايقها الظنون والسلام

مقابسة اخرى

٤٨

قلت لابي سليمان ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ما هو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة على مكايلة اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس ويحكم به العيان او على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والعادة والمنشا وساير الاعراض الذي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء ادب كثير نعم ومع قلة تألّه وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بجملة والفلسفة ادام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدل على انها بحث عن جميع ما في العالم مما ظهر للعين وبطن للعقل ومركب بينهما وما يميل الى حد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف يقتفر معه جناية التقليد مع احكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوايل ذلك موجودة حسا وعيانا وكانت محققة عقلا وبيانا ومع اخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة ذكرها وتعدادها ولا تبلغ اقصى ما لها من حقها في شرفها ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لاعجب كثيرا من قول اصحابنا اذا ضمّنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ارباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر وصح وظهر كان ساير الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس او سكوت اما يتكلم يا قوم الفقيه

والنحوى والطبيب والمهندس والمنطقى والمنجم والطبيعى والالهى والحديثى والصوفى قال
وكان يلهج بهذا وكان يعلم ان القوم قد احدثوا لانفسهم اصولاً وجعلوا ما يدعونه محمولاً
عليها ومساواً لا من عرضها وان كانت المغالطات تجرى عليهم ومن جهتهم يقصدهم مرة وبغير قصد
اخرى قال وكان يصل هذا كثيرا بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس بعلم انك
لو لقيت فى البادية شيخا بدويا فخما لم يتحضر بالاجاور اعجميا ولم يفارق رعية
الابل وانتياب المناهل وهو قيم هيئته التى لا يشق غباره فيها احد منا وان كلف
فقلت له هل عندك علم لقال لا هذا وهو سيّد المثل ويقرض الشعر ويسجع السجع
البديع ويأتى بما اذا سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه ادبا ودوّاه وجعله حجة
وكان يقول هذه الاداب والعلوم هى قشور الحكمة وما تنتشر منها على غايات الزمان لان
القياس المقصود فى هذه المواضع والدليل المدعى فى هذه الابواب معهما ظل يسير من البرهان
المنطقى والوحى الالهى والاقناع الفلسفى وقد بيّن هذا الباب ارسطوطاليس فى الكتاب الخامس
وهو الجدل كل ما فى الامكان من التعليق به والاحتجاج منه مع التمويه والمغالطة بل كثير
من المتكلمين لا يصلون الى غايات ما كتنفه ويهم وحذر منه وابان عنه وان انضوا
مطيهم وابلوا جهدهم سوى ما اتى عليه قبل هذا الكتاب وبعده مما هو شفاء الصدور
وقرة الاعين وبصيرة الالباب والكلام فى هذا طويل

٤٩

مقابسة اخرى

قال يحيى بن عدى الحركة صورة واحدة لكنها توجد فى مواد كثيرة ومحال مختلفة وبحسب
ذلك تولى اسماء مختلفة وقد يظن من اجلها انها فى نفسها ليست واحدة وان لها
اخوات ونظاير والبحث الفلسفى تداركها واحدة بواحدة على ما دل الاسم عليه فى الاصل
وذلك انه يقال الحركة كون وفساد ونمو ونقصان واستحالة وامكان وانما تباينت
هذه له اسماء لمعان تحققت فى النفس بالاعتبار الصحيح فالحركة فى النار لهب وفى الهواء
ريح وفى الماء موج وفى الارض زلزلة هذا باب كما ترا قد حصل فى الاستقصات ولم يغادر
منه شيء ثم ان الحركة بعد ذلك فى العين طرف وفى الحاجب اختلاج وفى اللسان منطق
وفى النفس بحث وفى القلب فكر وفى الانسان استحالة وفى الروح تشوف وفى العقل اضاءة
واستقصاء وفى الطبيعة كون وفساد وفى العالم باسره شوق الى الذى به نظامه
وبجوده وقوامه واليه توجهه وبه تشبهه ونحوه توقهه وتدلهه ثم قال وهذا بين
الحجة وكل شادٍ من الفلسفة شيئا يسلم هذه الاشارة ويتوصل بها الى ما هو من جنسها
اقتداء بما يتراءى منها ويشيع عنها والكلام فى الحركة فى غاية الشرف لانه دال على كل ما قد
اشتمل العالم عليه من العلويات والسفليات ولاما نع من تفصيله الا العجز عن حمله
والكسل عن بعضه وبين هذين ذهاب العلم وضلال الفهم وهكذا حكم من قلت دواعيه
الى الشيء وكثرت صوارفه عنه الى الله نلتجى فيما دهمنا وفيما نزل بنا من غيرنا فما خسر من
لاذ به فى السراء ولا خاب من عاذ به فى الضراء انه نعم الرب والكافى والمعين والكالى
والمرشد والناصر به يوجد كل مطلوب ويملك كل محبوب وينجى من كل اذية ويتعرى

عن كل رؤية لطيف التدبير عجيب التقدير خبير بجميع الامور لا تنكر ذاته ولا يدرك كنهه جل معبودًا وعزّ موجودًا مشهودًا

مقابسة اخرى

سئل ابو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من امور الغيب وعن التنجيم وما يقدر به على الحكم المستقبل وعن النبوة التي هي في محلها الاعلى ومكانها الاشرف فتصرف في الجواب احسن تصرف على سعة من اللفظ والمعنى ولكني نقلت كثيرًا منه لنسبوا الفكر وقلة العناية ومقدار الحاصل منه قد اثبته في هذا الموضع خوفًا من ان يذهب نسيًا فان وافقني فيه معاندة حاصلة وان حصلت لي حالة محتملة وما على الا الجهد وبذل الطاقة واذا عذرني المتكلم المنصف لم احفل بالمتعنت المسرف والله بعين اهل الحق بلطفه قال — الكهانة قوة الهيئة توجد في شخص بعد شخص لسهام سماوية واسباب فلكية واشياء علوية فاذا توسطت صار في منصف البشرية والربوبية فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيرًا الى غيب امور الدنيا والى غيب امور الآخرة على حد يكون على سواء والغلب مع ذلك لامور الدنيا لان الانسان بالطبيعة اكثر منه بغيرها في الاعم الاغلب والشايع الاشمل فان تجاريت هذه القوة قليلًا كانت الاشارة الى امور عالية شريفة ومحل النبوة بين انباء هذه القوة بالترقي والتحدر وكمال التباس النفس بالمزاج الموافق وكان النور المقتبس من هذه القوة اسطع واعلى فعلى هذه قوة المنجم لا ثار الكواكب تتبعًا ضعيفًا لان الالة لا تساعده والصبر لا يوافيه وذلك انه يتقوى هذه الامور النترة من تلقاء نفسه ومن ناحية اختياره وقصده القوى من على الى نظره وبحثه وليست قوى الكاهن كذلك اعني ليست تتبع بل هي كالالقاء والوحي والسانح والطارى فان اجتمعت القوتان اعني قوة التتبع بالصناعة وقوة الاقتباس بالكهانة ظهر كل امر عجيب وسمع كل قول غريب ثم قال — وعلى ما تبين فان الكهانة قوى اذا كان صاحبها لا يشوبها شيء من الحس والقاها على صفائها ونقائها لا ذوقها تنكسب من المحل الاعلى بنسبتها بالعلة الاولى تامة وقوة صحيحة واضحة

قلت له فهل يخطي الكاهن كما يخطي المنجم فقال نعم وليس الخطا محالا منه لان قوته لا تبلغ الغاية في الخلاص ابدًا بسبب تركيبه الذي هو سبب سنحانه ما يجاوره بنفسه قال له ابو العباس البخاري فهل يخطي صاحب النبوة قال لا ولكن يسهى كما في حديث ذي اليدين وسهوه وخطاؤه لا يقدح في الحال التي رشح لها ووشح بها وجعل سفيرًا الى الخلق من اجلها بل يجري مجرى اسرار ان لم ينف عنه كل الظنة لم تعلقه كل فرقة قلت له فهذا الموضع فهل يخطي بقوة النبوة من غير ان يستغرقها ويعرض للخلق من اجلها فقال لا ولكن يعرض له خيال كما في حديث تو بير نخل الانصار ثم رجع عن رايه وقال لهم انتم اعلم بامور دنياكم ولا مانع من ذلك ولولا هذه القوة التي على حدود ها وما ثبتها في اشخاص العلماء والبررة ما كان يصح حدس ولا تصدق نفس ولا يتحقق ظن ولا يتوضح وهم بل هذا امر في غاية الغلبة والظهور حتى في كثير من انفس العوام ثم حكى هذا الفاضل ان رجلًا كان له خادم وكان مكاريًا صاحب حمير وبحمير عليها غلمان ويتوبه في عمله تجارًا كبارًا وانه في بعض طرقه واسفاره ستب الحمير وطرح الاثقال وقال لنا خذ من شاء ما شاء وعاد الى بيته علو ولم يشد يد لا ينطق بحرف ولا يتعلق بامر

ولا يستوضح خياله شيئ فسئل اهله ذلك ومعارفه فعاتبوه واطالوا عليه فلما كان في بعض الايام
وقد احترسوه بكل قول ورموه عن كل قوس توجه نحو الحايط وقال يا قوم ما الكم وقلتي وما هذا
التعجب والاكثار اما رأيتم من كان قاعدا على مزبلة فنبعث من بين يديه عين صافية بماء كالزلال
عذب حلو فشرب منها وسبح بها وعاشت نفسه بجاورتها وكانت سبب زينه الذي لا ظماء
بعده وطهره الذي لا دنس معه هذا تمام الحكاية قال قائل عند هذا الفصل لابي سليمان
حدثنا عن قلبه في هذا الموضع فانه قد جرى ما لا مزيد عليها ولا تقصير معه ولا بد من انتهاز كل فرصة
يحتمله هذا الباب ما قال الكلام الذي ياتي به صاحب هذه القوة يظهر محتملا
للطعن وهدفا للتهمة وطريقا الى الغاية الشنيعة فقال هذا بالواجب لان صاحب هذه القوة
يرسل الكلام ارسالا بحدة قوته مرة وبجمودها مرة وبتوسطها اخرى وهي في نفسها شان
بالاضافة الى مزاج صاحبها بل بالاضافة الى كل حال عارضة والى كل سبب واقع والسنة عاملة
عليها والبشرية جارية على خاصتها فحينئذ يخرج ذلك الكلام بين مراتب ثلاث في الغاية التي لا غاية
وراءها وفي الوسط الذي يعتدل فيه وفي الطرف الادنى وفيما بين ذلك كله بالاذرع والانقص
والاقل والاكثر والتاويل يركب منثورها والظن يسري في اطرافها والقالة تجد سبيلا الى التشنيع
عليها فلذلك واشباهه يكون ذلك على ان هذا اذا تامل بالنصفة مقيسا الى الطبايع المختلفة
والعادات المتباينة والاعراض المتشعبة كان في نصاب الحكمة ثابتا وعلى مدارجه جاريا والى
اصولها وفروعها نازعا ولولا ضيق اعطان الناظرين في هذه الغوامض عن التثبت والانصاف
لكان يتجلى هذا كل التجلي ويزول عنه الخلاف كل الزوال قلت لابي سليمان اليس
لو صفت الحال ههنا من عارض خطاء وسانح تاويل ومضروب مثل كانت ابلغ في المعنى
وانفى للتهمة من القذى قال بلى ولكن ليس كل ما شهد به العقل بصفائه وطهارته
وبعده من الدنس والدرن في ذاته وعالمه يجوز ان يوجد ذلك على كماله في عالم الحس المشوب
الكدر الذي لا ثبات له ولا مستقر وكيف يجوز ان يوجد كل ما هو بالقوة في كل شيئ بالفعل
في حال واحدة كانك تريد ان تعري البشرية وهذا ما لا يكون ولا يجوز ان يكون بل يتفاوت
مراتب اصحاب هذه القوة بحسب انصبائهم منها حين انقسمت عليهم فتحملوها على
مقادير مزاجهم وطباعهم ونهوضهم واحتمالهم وذلك التفاوت هو الذي يعلي الحال بهذا عن
هذا ويحط شان هذا عن هذا الى الخوافق الانسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريفة
ثم ان الاخلاق والالفاظ تابعة لها على ما يبدو به من ضعف العقد والقوة والبيان واللغز
والتوسط ثم قال والبلاء الاعظم في امر الانبياء ان من الناس من يظن بهم انهم
كذبة اصحاب حيل ومنهم من يظن انه لا يجوز ان يقع منهم شيئ من القول والفعل يتعلق
بما يوجب التهمة ويجلب الشك وكان وراء هذين الرايين من هذين الصنفين القول
الحق الذي لا يكون بعده تلبيس ولا تاويل وذلك انه ينبغي ان يعلم الشخص لخصوص هذه
القوة على الدرجة بها رفيع المكان معها ما دام يجبرها ويعنها ولا يمزجها بغيرها فانه
حينئذ ينبئ عن اعيان الامور وقلوب الاحوال وعواقب الايام فاما اذا عاد الينا
مفارقا للاقتباس داخلا في عادة ذوي الاحساس فهو كواحد من ضربائه ولداته

ان صاب فبفطنته وان اخطا فبفطرته لانه في مسلك غيره من البشر ومسلوب من الطين الاول
ذو طبائع اربع متعادية وعناصر متشابكة لا فرق بينه وبين غيره البتة ما دام الحال على ما
وصفنا وحددنا فاما اذا انبعثت القوة بسلطانها وانبجست النفس ببرهانها فان هذا الشخص
ياتي بكل ما هدى العقول ويصلح الاحوال ويقمع النفوس وينظم المصالح ويقوم الاخلاق
ويهذب الطبايع ويكون نورًا للعالمين ورحمة للخلق اجمعين ثم خرج من سياحته هذا للفرق بين
الشريعة والفلسفة وحضر الجماعة المساء ولم يستوفي ذلك على حقه ولعلي اعود على هذه
المقابسة فآتي بما يكون محيطا باكثر قوله في موضع اخر عن غير قصد يغلب جدا بالكلام
الذي يعقد اوله باخره وساء تاليفه من جميع حواشيه ربان التقصير في نثره وروايته على انك
امام الله حياطك لو علمت على اي حال نقلت هذا القدر وفي اي وقت تقلب ومع اي شغل
لاستكثرت قليله وحمدت الموافق له وما اكثر ما اخذت نفسي بتحويل ذلك كله الى نمط اخر
بطراز انق من هذا الطراز واحترازا شد من هذا الاحتراز اذا اذن الله بزوال ما هم النفس
والبال وانحسار ما دهم الصغار والكبار بمنه الشايع وفضله المشهور

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان لم قيل تقرير لسان الجاحد اشد من تعريف قلب الجاهل فقال الان تعريفك
يوصل الى قلبه مرادك من غير ان يقدر على محاجزتك بالمنع والامتناع وذلك انه لا حجاب
على قلبه ولا حاجز دون عقله وليس هكذا تقريرك للسانه لانه ينكر به ما يعرف بقلبه ويميل الى التهت
شرادا على الحق وذهابا مع العنت واللسان يطاوعه على الجحود فيبدله قد يكون دون القلب ايضا
كن الجهالة وغطاء العيارة وضباب البلادة فلا يكون تعريفك موصلا اليه مرادك فقال متى كان
الامر على هذا لا يكون قلبه جاحدا انما يكون بما يرد عليه جاهلا وانما استقام الكلام الاول
على قلب عرف فعرف فكان التعريف اسهل على القلب من الاقرار على اللسان واستشهد فكذا
فكانت ذات برهان واضح فمن المحال ان يقال بعد هذا قد يكون دون القلب مانع كما يكون
دون اللسان مانع لان ما حددنا به المسئلة قد فصل الحال وبين المراد

مقابسة اخرى

سمعت غلام زحل يقول السماء هي الجسم الذي فيما بين نهاية كرة فلك القمر
التي تلينا الى نهاية العالم وجميع اكر السماء على ما صح عند الحكماء تسع اكر اقربها الينا
كرة القمر وسمعت بعد هذا ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر
يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين وكان هذا من ارائه التي تفرد بها ولم اجد احدا يوافقه
على شيء منها وخاصة هذا الراي ولاته ليس لنا في هذه الصناعة مدخل ولا منفذ لم يقصد
الرد عليه ولكنا عجبنا من مخالفته الاوائل الذين قد اقاموا البرهان على خلاف دعواه و
الصناعة برهانية فليت شعري اي برهان قام له على هذه الدعوى والبرهان معروف
وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا حائلة وله ايضا اشياء اخر انشأ
اراء من تلقاء نفسه وانتحلها ودعى اليها واعجب بها اعجابا شديدا والطبيعيات الالهيات
قد ذكرناها في رسالة الى بعض الناس ولهذا لا عايدة في حكايتها ها هنا وهات

على السكوت والقلب لا يطاوعه

هذا الرجل اعني ابا سعيد صاحب هذه الاقوال لسبع خلون من ذي القعدة سنة ٣٨٦ ست وثمانين وثلثمائة

مقابسة اخرى

٥٣

قيل لابي بكر الصيمري لم لم يكن لكل مسئلة من العلم جواب واحد فقال من المسائل ما هو كذب ومن المسائل مسايل لها جهات وحواش فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات والحواشي وبحسن العبارات التي تجزل مرة وتضعف اخرى قال وبعد فالاشياء متشاهدة متعاضدة اعني ان بعضها يشهد لبعض وبعضها يعضد بعضا لان الفيض الاول والجود العام رواصلان الى كل شئ بمقدار ملايم لكل شئ فاذا وقع بحث عن شئ مجهول وتعاضدت الادلة فيه وتشاهدت المشابهة له وتقاطرت النظاير عليه فصار الجواب من وجه مخالفا للجواب الآخر من وجه فلهذا وامثاله كان ما سالت عنه وطالبت به وليس الحق مختلفا في نفسه بل الناظرون اليه اقتسموا الجهات فقابل كل منهم من جهته ما قابله فابان عنه تارة بالاشارة اليه وتارة بالعبارة عنه وظن الظان ان ذلك اختلاف صدر عن الحق وانما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق

مقابسة اخرى

٥٤

سمعت عيسى يقول لو ان الاولين اجتمعوا في صعيد واحد واعتبر كل واحد قوة الباقين لم يجدوا العقل مطيبين مسهلين ووجدوا اشعاعه ونوره وشرفه وبهائه ونبله وكماله وبهجته وجماله وزينته وفعاله لما بلغوا منه حدا ولا استوعبوا من ذلك جزءا انظروا الى من فقده ولم يوهب له شئ منه كيف يرفض ويخذل ويعادى ويسترذل ويهرب منه ويستوحش من قربه وكلامه وحتى الذي قد ولده وفصل منه ويجري مجراه قال فاما الحياة فانها ينبوع للفرح والهم واللذة والمعرفة والحس والحركة لا تمام للانسان الا بها ولا قوام الا معها ولذلك اذا نظر الى الميت استوحش منه وتبرم به وعوجل به الى القبر مع بعد في الاقطار لان الحياة التي كانت مهاد الانس وربا طا بين النفس والنفس فقدت قال وتجري العافية بعد هذين مجراهما وذلك ان العليل متى طالت علته واشتدت ام عظمت تلكاء عنه انس الناس به وهرب منه احدب الناس عليه فالعقل والحياة والعافية اتاني النعمة الكبرى ودعايم العطية الاولى وكل ما عاد لهن هو دونهن وكلما فارقهن يسقط عنهن والحياة وعاء والعقل متاع والعافية استعمال ثم قال نسئل الله حياة طيبة وعقلا نافعا وعافية متصلة قيل له لم لم يذكر الفقر وهو من قبيل الموت ولا الغنى وهو من حيز الحياة وعاء فقال كل هذه الاشياء بعد الحياة والعقل والعافية فروع فان الانسان بعقله يصبر على الفقر وبعقله يجتلب الغنى وبعافيته يبلغ الغاية ويكتسب السعادة والعقل في جميع احواله فيتصرف بثمرة الراحة مرة والصبر مرة ويريه الحكمة فيما بينهما ويستريبود به الى السعادة في كل ما اقبل وادبر لان العقل متى حل شخصا اضاءه وانارة ومتى فارق شخصا كدره واباره والكلام في العقل مضطرب جدا خاصة اذا ترنم بتمجيده من ذكر الله حظه منه وصيغ كله او بعضه به وغمس ظاهره وباطنه فيه

وبسط سدّاه ولحمته عليه ولا بأس مع هذا الاعتراف بشرف ان اكتب لك في هذا الموضع ما يغذي
روحك ويحدث الاريحية في نفسك ويشحذ ما كلّ من ذهنك ويزيح ما غار من فهمك
ويفتح تغميض بصرك ويطرد سنة قلبك ويؤلف بينك وبين حقك اعلم ان اهل
وكثيرا من الخاصّة لا يعرفون العقل ولا يحققون حدّه ولا يتصرفون في وصفه ويكتفون
في معرفته بان يقولوا هو عرض وجسم او له نهاية تميز هذا التمييز ومن اجلها نتكلّف
هذا التكليف وربّما قال الحاذق منهم هو مأخوذ من العقال وسمعت البصري
المنبز بجعل يقول العقل هو مجموع علوم هذه اللفظة والعبارة عن العقل كرمك الله
مقسومة على قدر ما يريك منه ويلحظ به ويؤكد السبيل اليه فاما يقال انه موجود ومكشوف
فهو سعة الكلام واقتدار القايل وتقريب المعرف وسمعت في بعض ما يقال ايضا
في وصفه انه مطبوع ومصنوع هذا قريب من الذي تقدم والذي يقربك من الحق
في هذا ويدنيك الى اليقين ويلبسك جلباب السكون ان تعلم ان العقل باسره لا يوجد
في شخص النبي وانما يوجد منه قسط بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والموجود في
العامة واشباه العامة انما هو قوة متصاعدة عن الطبيعة قليلا بعد التباسها بها قد فاءت
عليها بظل النفس الناطقة على ضعف دون ضعف وتزايد فوق تزايد وبها باينوا كل
حيوان دونهم مباينة تامة من وجه وضارعوا مع ذلك كل حيوان دونهم مضارعة
مختلفة من وجه فاما وجه المباينة فظاهر بالشكل والتخطيط وانتصاب القامة وشأن
الخواص الدالة على ذلك فله الجزء الذي هو للجنس بالنظر المنطقي واما المضارعة المختلفة
فنعترف بها بشهادة التصفح وثمرة الاستقراء الا ترى ان الانسان يوجد له زهو كزهو
الفرس وتيه كتيه الطاووس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن الببغا ومكر كمكر
الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعيافة كعيافة الغراب وجراءة كجراءة الاسد وهي بجاه
العيون وازاء العقول فقد بان ووضح القدر الذي حصل لهذه الطايفة وما هو وكم هو بهذا
التعريف والتمثيل ثم ان هذه القوة تدبّ في ترقيها بعد ترق حتى تلتبس بالنفس الناطقة
التباسا تاما الا انه يكون معها ما ظل من الطبيعة على قلة وكثرة وزيادة ونقص فيكون الصواب
اغلب والعرفان اقرب والوجدان اكثب والثقة اكثر والاستبانة به اخصّ وهذه هي قدر
ما حصل لجميع من فضل عن العامة في حاله وعلمه ثم ان هذه القوة تصفو في تلك الخطط
والمعاني التي هي العقل فيلحظ صاحبها الامور بحقايقها مستوعبة بحدودها مخلصة من
موادها على خاص ما لها من بسايطها وها هنا يقال ان الولاية للخبر الالهي والمعنى الربوبي
وعند ذلك تكون القوتان الاخريان ضعيفتين اعني قوة الشهوة وقوة الغضب وبالجملة
تكون الطبيعة معزولة وحكمها الحكم لبعض الرعية المسوسة بعزة السلطان الملك العدل
وهذه حال من وصل اليها وحصل عليها نقدا وفي علي رياض القدس وحاز ذخاير النفس
ونجى من ادناس الحس وذكرت ها هنا كلمات تدناط بما سلف كنت سمعت
ابا سليمان تناقلها في عروض حديثه عند طيب نفسه قلت له لم نسمع من المجنون الحكمة
بعد الحكمة فقال نسمع من الذي ليس بمجنون الحماقة بعد الحماقة فالنادر من هذا كالنادر

من ذلك فقال له البخاري فما هذه الاشياء وما الجزء فيها وما العلة الجالبة لها فقال
المجنون من جنس العقل فيحو هذه المشابهة ما تنطق بالفايدة وتسبق الى الحكمة وتطلع على
البديع وكذلك العاقل من جنس المجنون فيحو هذا الشبه ايضا ما تهذي في وقت وتزل في اخر
وينطق بالخطاء وينصر الباطل وهذا منسوب للذي فيه من حصة الهيولى يبدر منه هذا النقص
وذلك للقسط الذي فيه من صفة الصورة يبدر منه ذلك الفضل الا ان هذين البادرين
في هذين الشخصين لا يرفعان الحالين الظاهرين على الشخصين اعني ان المجنون بقدر ما يبدر
منه لا يكون عاقلا والعاقل بقدر ما يبدر منه لا يكون مجنونا ثم ايضا جميع العقلاء والمجانين
مختصين على هذا المنهاج ثم قال لهذا الذي يقول به اهل الكلام في طرايقهم ليس بعقل وانما هو
شبيه به او شيء معه ظل له او حكمة او خياله ولهذا ما خالطهم الهوى واستحوذ عليهم
التعصب وحسن عندهم التقليد ودب في نظرهم وحذقهم اللجاج والصياح وانفتح باب الحيرة
عليهم وسد باب اليقين عنهم قال ولهذا قل تالههم وتنزههم وصاروا شكاكا في الادلة
متجاهدين ومتسايرين على هذا وجدنا اعلامهم وكبراهم ولولا ايثار التقيا لذكرت لك اعيانهم
واسمائهم سمعت العباد بالري سنة خمسين يقول طبع العقل على ان يشهد للباطل كما يشهد للحق و
لهذا اختلف العقلاء في جميع امر الدين والدنيا وهذا ابقاك الله كلام خبيث وقد تكلمت عليه
في كتاب النوادر مع جميع علايقه وغواشيه ولولا ذلك لكان يجب ان لا يثبت هذا القول
هاهنا على وجهه ولعمري ان عقله وعقل ضربايه لكذلك ولا ازيد على تهجينه بما يخرج
عن حد الادب المرضي وتزايل احكام الخلق الذكي وقد جرى هذا الكتاب في ترتيب العقل و
تحقيق المعقول وبلوغهما الى ما يكون به العاقل عقلا ومعقولا ما يشفي الغلة فانتبه
وتسعد به

مقابسة اخرى

سئل ابو سليمان فقيل له لم وجد فينا شيء لا يبرز الا بالروية والفكر والتصفح والقياس
وشيء بالخاطر والبديهة والالهام والوحي والكلفة حتى كانه كان حاضرا بنفسه متصدا لبروزه
فقال لان البديهة تحكي الجزء الالهي بلا تجاس وتزيد علوها يعوض عليه القياس ويسبق الطالب
والمتوهم والروية تحكي الجزء البشري وهناك الفكر والتتبع والاستمداد والتوقع فمن احد
انقسام الانسان بين شيء ينبعث به مشتاقا الى مطلوبه وبين شيء يبعثه سائقا الى
مطلوبهما وجب ان يكون له روية وهي به وبديهة هي اليه وكان يقول ولهذا ما لا يتوفر
القوتان معا بالانسان انوا حدا اي لا يوجد الانسان غاية في البديهة غاية في الروية لان
احدى القوتين اذا اشتغلت نعت الاخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى
قلت له فاي القوتين اشرف فقال كلتاهما على غاية الشرف الا ان البديهة ابعد من معاني
الكون والفساد واغنى عن ضروب الاجتهاد والاستدلال والروية الصق بكمال الجوهر
واشد تصفية للطينة من الكدر ثم قال والروية والبديهة تجريان من الانسان
مجرى منامه ويقظته وحلمه وانتباهه وغيبته وشهوته وانبساطه وانقباضه
ولا بد من هاتين الحالتين ومن ضعف فيهما فاته الحظ المطلوب في الحياة والثمرة المحلوة
من السعي فقال ليس حكمهما في اللسان اظهر من حكمهما في القلب فان للقلب بديهة بالنجح

ودونية بالاستقرار احدهما في حيز الهيولى وفي حيز الصورة ولما كان للانسان متقوماً بهما
كانت نسبته فيما يفزع اليه على حد حصته فيما تامل عليه ثم قال على الانسان حالات
بحسب المواد الحاضرة والاسباب المؤثرة والقابلة تعتدل بدهيته ودونيته فيهما او يسبق احدهما
ثم ليس يتم ذلك الاستمرار ولا يدوم ذلك السبق وهما قوتان او هيئتان الا ان احدهما
متصلة والاخرى واصلة اليه وليس كل متصل به يفصل بسهولة ولا كل واصل اليه لبث عنه
ثم قال لي في هذا الموضع ابو زكريا الصيمري الكمال عزيز قال له او تدري لم قال
افدنا ابقاك الله على عادتك ولا تندمنا نقصاً بمطالبتك قال لان الكون والفساد توسطهما
فالمقوم بهما لا كمال له لان الكمال في الوسط لا في الطرف ولكن ليس الترقي كالهوى ولا
الهبوط كالصعود ولا ما يزان به مثل ما يشان به ولا ما نعذب به مثل ما نعذب عليه
انك لعلي جدي لو كان لي منك مدد واندفع في هذا وشبهه حتى فرق بينه وبيننا المساء
فسقي الله تلك الساعات التي كانت تتضمن هذه الراحات انظر الى بقاياها المرسومة بالخط
المدونة بالقلم المحكية باللفظ والله ان مشاربها في النفس والعقل والروح كانت تنسي كل حال
مشهودة وتسلي عن كل غاية محدودة ومذ ضرب الزمان بالاسداد دون هذه الرياض والانوار
كما كل زند وخاب كل امل وخبت كل جمرة وكل كل حد حتى لو اعدنا النظر في هذا القدر لكنا
دارسين تخرجنا منه عارين وانقلبنا من الخاسئين والى الله الشكوى فهو المعين

مقابسة اخرى

٥٦ قلت لابي سليمان احب ان اسمع كلاماً في مراتب الاضافة التي هي مستولية في جملة الالفاظ
مثل قولي هذا وهذا لي وهذا مني وفي وعلي والي ولدي وعندي وما ضارع ذلك فقال اما تعلم ان
الاضافة في هذا الموضع كلها الى الجزء الالهي لان الانسان محدود بانه حي ناطق مايت فالحي في
احد الطرفين في السكون والمايت في الطرف الاخر بالدثور والحال المفروضة بين الطرفين
تكون انساناً وهذا الاسم هو له بالحقيقة ما دام في الكليات اعني الطبايع والعناصر
والشمايل وبه يكمل هذا النوع من الكمال فاذا اضاف هذا الانسان شيئاً الى نفسه فانما
يضيفه الى الآلة التي تستحق الاضافة كلها بالاطلاق لان مراتب الاضافة مختلفة من
مرتبتين الحائط وملء النهر وسرج الدابة الحديد الانسان الى فضل زيد الى ما لم يعم والى
كوكب الفلك الى العلة الاولى فجاز كل هذا الى شيء واحد ولكن الصوادر عنه متباينة
والقوابل منه مختلفة وكيف كان ذلك فقد بان ووضح ان اضافة الانسان انما هي
الى شيء مستحق للاضافة وليست على باب التحريف والاضافة ثم قال ان مبدأ المضيف
الى المضاف اليه للمضاف هو مبدأ المضاف اليه للمضاف ومبدأ المضاف الى المضاف
اليه هو مبدأ المضيف ومبدأ المضيف هو مبدأ الاضافة الا تعجب ان الحال في هذا
المعقول دايرة متى فرضت شيئاً منها كان مفروضاً على ذلك لانك تجد مطلوبك من اي
ناحية التمسته وتلقى محبوبك من اي جهة اتيته قال وهذا لان الكل هو وهو الكل والكم

مقابسة اخرى

٥٧ قال ابو العباس البخاري لابي سليمان وقد جرى كلام في الحظوظ والارزاق لعل الذي عني

عنى لى قولت العالم والاديب فى الحكمة والتبيين والاستنباط هو الذى اليه هذا الامر دون غيره من
الامور فلما قولا انى بما هو اليه بلغ بى فاما ما عدا هذا من الحظ والرزق والكفاية فلعله الى غيره فلذلك
ما تركت مهملا فى شئ و توليت ملقنا فى اخر ولو عنى فى صاحب المال لبلغت غاية الكمال و كنت اغنى
عن ملاحاة الرجال وعن اعادة القيل والقال فقال له ليس لذلك بل المعنى هما واحد وانما
تختلف هذه الحكمة وليشكل القضا عليه فى عالم الحس وعرصة الزخرف وامتزاج الماء والطين و
الدليل على ذلك ان الحايك لا يزرع القطن والخياط لا ينسج الثوب والخباز لا يذبح الشاة والعطار
لا يدبغ الجلد والوزان لا يضرب بالعود ولو امكن لفعل كل واحد جميع ذلك وكان الانسان
يكمل بوفائه بكل شئ واتمامه لكل شئ وبالواجب خالف حكم الحس حكم العقل فى المعقول
كل مختلف متفقا وكل كثير واحدا وكل بعيد قريبا وكل متعذر سهلا وكل عصى سمحا وكل
مظنون متيقنا وذلك لان الوحدة العقلية فى الكثرة الحسية فى الوحدة العقلية مدمجة
ولو استوى الطرفان لسقط البحث وزال المراء ولكان لا يشتاق الغريب الى وطنه ولا يحن
الى معدنه ثم انشد فى هذا الموضع بيتا ولله در من قائله وهو حن الغريب الى اوطانه طربا
ان الغريب الى الاوطان حنان قال فعلى هذا موليك فى العلم حتى منحك ما تراه هو موليك
فى الرزق حتى زوى عنك ما تتمناه لا يابك بنول الكمال فى الحاشيتين لا لانقطاع الجود
عنك فى الوجهين وهذا الاباء ليس لك فيه ذنب وذلك الفيض ليس فيه عجز لكن هكذا هو
وانا استحسن بيتا ياتى على اصل الباب وفرعه لقائله ولله دره وهو

فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان

ثم قال على انه وان كان قد شرفك بما منحك من الحكمة فقد نظر لك فيما قلل حظك منه و
كفاك مؤنة سياسته ومؤنة الاسف عليه انا انصحك وصرت اربح الساعين واغبط
المجدودين بما تعلم به انك مفضل فيه على كثير من بنى جنسك ولذاتك الناشين معك
والضاربين بسهمك فلا تكثر الاسى على شئ هو الظل الزايل والحلم الباطل وعليك
فى حياتك بما يكملك فى الحلة ويجملك من الادب ويفضلك من البيان ويبنيك من الخلق ودع
ما سوى ذلك فانه خلل

مقابسة اخرى

٥٨

سمعت اباسليمان يقول نحن نساق بالطبيعة الى الموت ونساق بالعقل الى الحياة لان
الذى هو بالطبيعة قد احاطت به الضرورة والذى بالعقل قد اطاف به الاختيار ولهذا
الفرق الذى استبان وجب ان نستسلم لاحدهما ونتحرم للاخرة ولا يصح للاستسلام
الا بطيب النفس فيما لا حيلة فى دفعه ولا يتم التحرم الا بايثار الجد فيما لا ينال الا به والفرق
لا يسعى له لانه واصل والاختيارى لا يكسل عنه لانه غير حاصل لديك فانظر اين تدع
توكلك فيما ليس اليك ومن اين تطلب ثمرة اجتهادك فيما هو متعلق بك ثم قال
نحن نقضى ما علينا ونجتهد ما الدنيا ويجرى الدهر بما شئنا او ابينا ثم قال
ايضا فى هذا الفصل على تقطع علايق الحديث ومحادثته بعض الحاضرين الانسان مبعوث
بالضرورة والاختيار وعلى ذلك معاده الى غايته التى هو متوجه اليها من جهة اختياره

ومتوجع به نحوها من جهة اضطراره وهذه كالحيرة ولا سبيل الى محوها واستبانة كنهها لحق
ما عرض لان الصورة عنونت الاختيار والهيولى رسمت الاضطرار والذي يكون بهما يضرب
على جديلتهما ويتأثرهما وانما كان الاختيار منسوبا الى الصورة بحق الشرف وانما كان الاضطرار
منسوبا الى الهيولى بحسب الخسة والانسان كالاناء لهما والتباسه بهما والتباسهما به
عرض هذا الصراخ والعويل واحتيج فيه الى القال والقيل والله المستعان في كل ما عز
وهان فليكن هذا مقنعا ان لم يكن شافيا والسلام

مقابسة اخرى

٥٩

سمعت عيسى بن علي بن عيسى يقول لما كان الحس يجتذب بالنفس الغضبية حتى ترى صاحبه تعلق
محسوسة بالحياة كرجل يتعرض للسيف والحرب والمقام الصعب ليفشو ذكره ويطير
صيته ويعلو شانه ويشار اليه بالاصابع ويتحدث بحديثه في الجامع لم ينكر للعقل
ان يشرق بالحق ويستنير بالخير ويلتذ بالصدق ويتملى بالصواب وتتملى النفس عنه حقائق
الوجوبات ويشرف به على عواقب المطلوبات والمقصودات حتى يجد صاحبه تعدى معقوله
هذه الحياة المموهة الباطلة لينال حياة تامة كاملة دائمة خالدة لا اثر فيها ولا تبعة
ولا كدر ولا مشقة هي حدة الهية وغاية عقلية وهيئة وجدية وحال ليس عليها بيان
موصوف بلفظ مستور وموصوف وتكلم بهذا عند حديث رواه في الوقت بعض
الحاضرين زعم انه رأى رجلا قد ضربه السلطان بالسياط بالجباية وانه كان يطاف
به وهو عريان على جمل بين الاشهاد فبلغ مكانا وقف فيه الجمل لعارض فدنا منه صبي
وشاوره بشيء فقام المضروب هذا على ظهر الجمل قائما وبسط يده على حائط كان الى
جانبه ثم سمرها بيده الاخرى بخنجر وبقي معلقا وعبر الجمل وهو كذلك فتعجب الناس من
نفسه ومرارته ومن الامر الذي هجم به على ذلك وزينه في عينه فافادنا بعقب هذا
الحديث هذه الفائدة ومدارها على ان صاحب العقل الذي يحظ به الرتبة الكبرى واشرف
به على الغاية القصوى واستهان من اجله بالحياة الدنيا اجدر ان يفزع عن خلائقه وتارته
التي قد اسر تبطنه واورطته وانه اهلا بذلك وهو به اليق وعليه اقدر وفيه اعذر وان
الصواب موكل به وناصر له بقدر ما كان الخطا موكلا بالاول وواضعا منه

مقابسة اخرى

٦٠

قال ابو سليمان وقد جرى كلام في النظم والنثر النظم ادل على الطبيعة لان النظم من حيز التركيب
والنثر ادل على العقل لان النثر من حيز البساطة وانما تقبلنا المنظوم باكثر مما تقبلنا
المنثور لانا للطبيعة اكثر منا بالعقل والوزن معشوق والطبيعة والحس ولذلك
يفتقر له ما يعرض استكراه في اللفظ والعقل يطلب المعنى فلذلك لا حظ للفظ عنده
وان كان متشوقا معشوقا والدليل على ان المعنى مطلوب النفس دون اللفظ الموشح بالوزن
المحمول على الضرورة ان المعنى متى صورت بالسانح والخاطر وتوخي الحكم لم يبل بما
يفوته من اللفظ الذي هو كاللباس والمعرض والاناء والظرف لكن العقل مع هذا يتخير
لفظا بعد لفظ ويعشق صورة دون صورة ويانس بوزن دون وزن ولهذا شقق

الكلام بين ضروب النثر واصناف النظم وليس هذا للطبيعة بل الذي يستند اليها ما كان حلوا في السمع خفيفا على القلب بينه وبين الحق صلة وبين الصواب وبينه اصرة وحكمها مخلوط باملاء النفس كما ان قبول النفس راجع الى تصويب العقل ثم قال ـــ ومع هذا فهي النثر ظل للنظم ولولا ذلك ما خف لا نحلا ولا طاب ولا تحلا وفي النظم ظل من النثر ولولا ذلك ما تميزت اشكاله ولا عذبت موارده ومصادره ولا بحوره وطرائقه ولا ائتلفت وصايله وعلائقه وقال ـــ كلاما اكثر من هذا وقد اخرته انشاء الله لرسالة معدودة في الكلام على الكلام ثمرة هذا بتمامه فيها مع ساير ما يكون لها بشرح تام وعناية بالغة ان ساق الله اليه الى غايتها ورفع هذا الفساد الذي قد منع من كل ما تهم النفس به من الخير وصد عن كل ما يكون سببا للسعادة ولا ملجأ الا الى الله في كشف هذه الضراء واماطة هذه اللاواء فهو ولي كل خير وميسر كل طالب وناصره

٦١

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان وانا اقرا عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة احدى وسبعين وتلثمائة بمدينة السلام ان النفس قابلة للفضائل والرذائل والخيرات والشرور والاخلاق التي تغير من وجه وتهذيبها ويتأتى ذلك من وجه اخر لعلة عجيبة ولذلك لا يحتاج منه للانسان اخلاق وهي تستحيل ولا تتغير وللناطقة ايضا اخلاق تترقى بها وتكمل فما اخذ من الاخلاق في طريق الطهارة والصفاء فهو في قبيل القوى الناطقة وما صعب منها فهو قبيل الحيوانية وليس يجب على الناظر المتحرز والمجتهد المتعزز ان يأس من صلاح ما يمكن اصلاحه لتعذر ما لا يمكن ذلك فيه وقد شفي الكلام في هذا الباب ابو زيد البلخي في كتابه الذي سماه باختيار السيرة ومن استوعب ذلك بفهمه وتذوده بعمله يحظ من هذا الباب ابعد مرام وفاز منه باوفر السهام وعلى كل حال فالقصد مؤثر والاجتهاد مثمر والرأي منصوح والطريق جدد والشوق باعث والنزاع متصل والنداء عال والاستجابة ممكنة والتقرير اخذ الاهبة ونقد ايم العدة فلعلك ترتقي لطهارة اخلاقك وتهذيب سيرتك واصلاح حركاتك وتميز نومك من يقظتك الى معادن عزك ومعدن فوزك حيث لا حاجة ولا مذلة ولا كثرة ولا قلة حيث يكتنفك الفطنة والسرور ويعمرك الروح والحبور حيث لا تحتاج الى ذكر لانه لا يعتريك نسيان ولا تفزع الى الطبيب لانه لا يصيبك داء ولا تتمنى شيئا لانه لا يفوتك محبوب ذلك محل لولاه ما اندفع الخطيب المصقع والعاقل المبين دهرا ودهرا لتصنيف بهجته وزينته وشرفه وكرامته ورفعته وسناه ولم يلم بادنى حقايقه ولا باخف ما يتشتت الوهم به وان اعانه بنوا جنسه وفتحوا عليه ابوابا فوق ابوابه وكيف لا تكون تلك الغاية نفيسة وتلك النهاية عزيزة وتلك العرصة مانوسة وتلك الحقوة مقدسة ولا شرع الا وهو مشوق اليها ولا عقل الا وهو مستحث عليها ولا بال الا وهو منوط بها ولا لسان الا وهو نازع عنها ولا روح الا وهو نازع نحوها ولا مفاوضة الا وهي مستراحة من اجلها ولا مثال الا وهو يتعلق به طمعا فيها فكل ما دونها سراب شيء من دون تحصيلها بباب وكل تجارة في غيرها خاسرة وكل امنية دونها خائبة والله لو ان احدا ناحاول وصلة بينه وبين احد ليشرف بجده عنه وعز نساله به وراحة يتعجلها منه كل عزم وجد وكل كدح وجهد مع يقينه بزوالها وانصحلالها اذا نال وادرك كان غير ملوم في سعيه ولا معذول

عن غدوه ورواحه ولا يمحن الرأي في ملتمسه فكيف اذا قصر همه على طلب الزلفة في دار الخلود ونزع
الى مواصلة من به وجد كل موجود والسلام

مقابسة اخرى

هذه مقابسة اثارها قولنا لابي سليمان المنطقي ما احسن كلمات لبطليوس في الثمرة فانها كالشذور
المنتخبة والدرر الثمينة والاعلاق النفيسة ولقد شرحها ناس فادوا فيها وافادوا منها وما
احوجنا الى اخراجهن في الفلسفة الالهية والطبيعية فانها توحي وتحفظ وتروى وتلفظ وتصير
كالجواهر التي تصلح للذاخر وكالاشجار التي تثمر في كل ابان والمواد التي تخير فيها لسان فقال
خذوا الآن من ذلك ما يسمح به الوقت ويجود به واهب العقل بان فسح الزمان كر عليه بالتنقيح
والاصلاح او ما يكون له كالشرح والايضاح ثم قال — الطبيعة عش الكون والفساد
والكون والفساد ركنا البقا الكاذب والبلى الصادق والنفس معدن الفكر والوهم وهما
بابا التمييز والذهن وللفهم العقل غاية الشرف والكمال به يكون نيل السعادة الكبرى من
العلة الاولى والطبيعة كذوب لا تصدقك الا باكراه النفس والنفس صدوق لا تكذبك الا
باكراه الطبيعة والعقل رقيب بحفظ وشاهد يؤدي وثقة يؤمن فمن استشاره منتصحا او من صرح
عنه مغيرا طاح وبلج من اصابعه الحق وبين الصواب معه فرق نصب او تقييد فنظر امر النفس
ذلك عدمان بما يكون ويفسد ذلك وجود واحد به يبقى ويسعد انما دخل الخلل الانسان
من ناحية اعتدائه في عالمه هذا حتى نسي بطبيعته ما كان يزود نفسه من عالمه ذاك
اعرف حقايق الامور بالتشابه فان الحق واحد ولا تستفزك الاسماء وان اختلفت فتقول
مات غير نام وفني غير بلي وبطل غير ذهب وعدم غير تحول وفقد غير غاب فان السرور هو الفرح
والغم هو الهم والمعرفة هي العلم والقول هو الكلام والبيان هو الايضاح لكن بدرجة ودرجة
وهيئة وهيئة ومكان ومكان وزمان وزمان ومعرض ومعرض شكوك في هذا العالم
في اغشية متكاثفة بين اهوال مختلفة على طرق مخوفة فاشكل عليك بلدك الذي انت
منه فانتسبت في الغربة ببلد لست من اهله واخذت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت
مرماك فيها فاذا تنبهت فخذ في اصلاح ما يرحلك الى مقرك حتى تستريح من هذا
القلق الدائم ومن هذا الهول القائم وخذ بذاتك فخذ عليك بذاتك ولا تبخل بما
لا بال ينفوتك ما لا بد لك منه اعرف تركيبك ثم اطلب بسيطك فان لكل مركب
بسيطا اليه ينتهي لست طينيا وانما انت طيني فانتف مما انت به منقوص وانتسب
الى ما انت به موفور شقاوتك في انفعالك في الاول والثاني وان عجزت عن ارتجاع ما
فاتك فلا تعجز عن حفظ ما معك ولا ينفعك الآن جهدك فبذلك تتصل الاجرام
التي لا ينفعك الامكان وجدنا ن وجه اليك وترجه وراءك فتوجه امامك وتعاف
عما وراءك فان الذي وراءك في حكم ما ليس لك متى التفت اليه فاتك ومتى رجعت الى
الآخر فيه الناموس الحق يعترف باكثر مما يعترف به وانت مجموع معادن ان انسبكت
حصلت وان تركت فسدت الصور غنية عن الانفعال والهيولى محتاجة الى الصورة
فانفعالها على قدر حاجتها الصورة نوره والهيولى بحسب العلة الاولى معادن النفس

اذا كانت خالصة وهالية عزوه وهي اوثق من جميع الوثائق والا واصرجد الانسان حي ناطق مايت
نبى ابوز هذا المجد بالفعل كما حواه بالقوة لم يرتق عن ان يكون انسانا كيف تقلبت حاله ومن
تطاول الى احراز ما هو به ناطق عليها ون بما هو به حي مايت علا عما هو به انسان وصار جرما
علويا وجوهرا نقيا ولا امثال له عندنا الا المشترى وما هو فى شكله الهيولى فى عالم
الكون والفساد اقوى لانها فى محل عزها والصورة فى عالم الحق لانها فى معدن كما لها
الفلسفة حب الحكمة ولا يصح حب الحكمة الا بالجمع بين العلم بالحق والعمل بالحق لا قرابة بين
الحكمة والطبيعة فيما يؤثره الانسان اذا غلبت الصورة على الهيولى بطل حكمة الهيولى العلم
ثمرة العقل العقد سلم الى الله ؛ بدء الخير كلمة الانسان موزون بكفتى العقل والطبيعة
والرجحان بعد هذا بالسيرة المقتناة وكذلك النقصان الطبيعة بالرياضة خادم العقل
وبالوضع متشى لذى العقل النفس عقل بعد الاستنارة والعقل نفس بعد الفكرة والطبيعة
مميزة بالنظر الاول محرفة بالنظر الثانى لا تبلى الهيولى ولا تبيد لكنها ابدا فى الاحالة والاستحالة
والتاثير والقبول والمتقوم بهما هو المكتفى بينهما لا فتور فى النفس لا كدر فى العقل ولا حقيقة
فى شئ من العلة الاولى لان كل شئ بما هو به مخلوط بحكمة البارى وبما هو مشتبه به مرفوع الى البارى
لانه حد الاعتدال فى عالم الكون والفساد لانه لا واسطة شرف الانسان فى تراثه فى
الهوا والهوا شرف الانسان من تركيبه وهوا نفعال الخسيس قبول الحق انفعال
ايضا لكن فى غاية الوجوب وفى ذروة الشرف وفى نظام ما ينبغى العلم شرح العقل
بالتفصيل والعمل شرح العلم بالتحصيل العمل عملان عمل القلب لا تملك الا احد طرفيه
وعمل المباشرة انت مالك له فتى حسن ايثارك للحق صنع لك فى الذى لا تملك لوفائك
بحق ما تملك الهيولى عاشقة للصورة مع المنافاة بينهما الا انها بها تكمل والصورة قابلة
للهيولى لا انها بها تحسن الا ان يكون المقوم منها وافرا لنصيب من الاول الخذلان كل الخذلان
فى الحرص على سماع الحكمة مع مخالفتها الاصرار الشر مع تمنى الاقلاع منه زيادة
فى الشر العكوف على الخير مع الشك خسران العاجلة والاجلة تمنى الخير فى الظاهر
مع ملابسة الشر والباطن معاندة تقتبل الاهتمام بالخير مبدا والاهتمام بالشر
غايته المعطى لا يتبع المعطى ولا العطا يتبل له فى هذا الفصل زدنا شرحا قال
محال ان تكون قوى الاجرام العلوية فى الانسان الجزئى تابعة له فى البيود والبطلان
لا يستجيب شكل المادة لطابع العقل فلذلك يوجد الزيغ فى كل معقول ومحسوس
المحل محل نقص لا يبوس فلا جرم متى وجدت عالما وجدته خفيف المال ومتى وجدت
موسرا وجدته خفيف البصيرة فان ندر شئ فذاك خارج عن القياس كالعلم بين
الناس ليس لنا الا الالهية والبشرية فاذن لا بد من سنن الالهية فتصير انسانا و
سلالم وعلايق بين البشرية والالهية يرقى منها العاجز ويكمل بها الناقص لما تحوج
الى غيرك لنقصك وشوقت الى من هو اشرف منك بنفسك فاكمل تغن وافن
تبق واغضض تبصر والنس تذكر واعرف تجر دخاطر تحرس واعلم فى الجملة انك
داؤك ولكن فيك داؤك فاذا تسلط داؤك على دوائك ذلك عار داؤك

بدوائك انك واضح فلا تشكل ونير فلا تظلم للصورة سر لا يفهم الا بتاييد العقل
والهيولى خلافة لا يتخلص منها الا بتتميم النفس لعقل سرح النفس مرعاها فيه والنفس قليب
الطبيعة مستقاها منه والطبيعة صراط الانسان من له غية حاكم الطبيعة الى النفس
يحكم لك وبلغ الى العقل ما يفهمه عن النفس يردك اعرف لشر ليلا تقع فيه جاهلا به الشر
شران شر نا شئ منك فانت قادر على قمعه بموازرة الخير المؤثر عليه وشر وارد عليك انت
محتاج الى دفعه بمعاونة اهل الخير الكارهين له الشر عدم فمتى لبسته عدمت والخير وجود
فمتى لابسته ظفرت وبقيت ومن خلط الخير بالشر وقف بين العدم والوجود وساء
عيشه ومن دحج به الشر باد ومن فاز بالخير نال السعادة ليس الشر اكثر من عدم الخير ولين
الخير اكثر من معرفة الحق والعمل به قد تعرف الشيء منكورا وينسى مذكورا فاما عرفانه فمن ناحية
ظهوره وغلبته واما نكرته فمن ناحية محبه ووسائطة الموجود فيه ظل المعقول بدلا له
الواجب له وهذا يلم لان الموجود جلبه لغيره منه صحح توحيدك بالمعرفة وصف
معرفتك بنفي ما يخامر سرك هو الاول والاخر والظاهر والباطن والشاهد والغايب اول
بلا مبدء واخر بلا نهاية وظاهر بلا تحصيل وباطن بلا فكرة وشاهد بلا ملابسة وغايب
بلا مشاهدة واياك اوع سره وعليك قام بره ومنك استعارك ولك اعار ما اعارك
ليكون ازجا منك ذلك اويكون بلا اذا جاد عليك بذلك من الحيف ان تجحده وهو بنا غيك
في ضميرك ويستولي عليك في ظاهرك ومن الجهل ان تسمه بنقصك وتصفه بحد نفسك
وتخبر عنه كما تخبر عما تركب عنك وفصل منك فيك لعمري فمن الضعف ان تكون
ذا طبيعة ثم تروم ان تكون ذا معرفة ولكن ليس لك ذلك بمحال لانك متى محوت
اثارها وجلوت اصداها ابصرت ما بين طرفك عنها ونسل الفك منها او ترقيك
الى المحل الاشرف الاسنى كن بطبيعتك انسانا فاضلا وبنفسك جرما عاليا وبعقلك
الها غنيا والطريق الى هذه الغاية امران حركت همتك وقويت شوقك ونفيت الشك
عن قلبك وصحبت اليقين بعقلك وهجرت الحس الذي يكذبك وواصلت الناصح
لك ولزمت فناه واستعنت واعنت وعرفت واعترفت من غمس نفسه في غمار الطبيعة
هلك وطاح ومن اجتلى نفسه بزينة العقل طرب وارتاح ومن صمد الغاية بجد و
جهد نشر وباح ومن تهاون بتحصيل ما له وعليه خسر وناح لا يسخرنك ما يروج
لعينك عما يبهج لعقلك لا تتمن الموت طلبا للراحة مما انت تخوف به مسحوب عليه
دون ان تثق بما تستريح اليه فانك متى اهملت هذا النظر حقت عليك ان تكونا سترا
مما انت فيه بالموت طريقا الى شقوتك فيما بعد الموت فمن اختر منك اذن لا عيب على
من جهل النفس الفاضلة ان يخدم الطبيعة الجاهلة انما العيب على من لحظ العيب
في معدنه وشعر بالخير من متوجهه ثم اعرض عنه ساورا ورضي ان يرحل عن هذه
الدنيا حايرا بايرا افرق بين متحرك من كذا وكذا وبين متحرك من كذا الى كذا حتى يصفوا
عزمك في طلبه ملا بد لك منه ثم لا تقف حتى يلحظ المتحرك على كذا وكذا فيه شرفك
الاعلا واليه كان سعيك الادنى والاقصى الطبيعة شايعة في الاجسام ومحركة لها

مبدية قواها فيها فاما النفس فانها تحرك فى الارواح النقية والجواهر الصافية وهناك يبرز عينها بالحدس والظن والعلم واليقين والحق والصواب ثم العقل بعد هذا كله حركة اخرى فى البسائط العالية والغايات البعيدة وبهذا تنال السعادة ويستحق الخلود ويصار الى ما لا يحويه وصف ولا يرسمه رصف هناك يقف الشوق عن الازعاج ويجاز الشرف كله بلا ممارسة ولا علاج حركة الطبيعة فى الاجسام نفس موقوف وحركة النفس فى الارواح الشريفة وشى معشوق وحركة العقل فى الانفس الفاضلة معنى انيق العفة خليفة النفس الناطقة عند الطبيعة المغضبة والعدالة كمال الجميع صحة جسدك بازاء عفة نفسك وشجاعة نفسك بازاء قوة جسدك وتمام جسدك بازاء حكمة نفسك وعدالة نفسك بازاء حسن جسدك فلا يقطع بين هذه القرائن فبها شرفك واليها توجهك انت من نفس وبدن تبيد بالبدن وتخلد بالنفس فاقصر سعيك على ما يبقى ولا تلتفت الى ما تبيد معه انت صورة لنفسك وبدنك الا انك مستقيم من حقيقة ورثتها من نفسك ومجاز داخل عليك من بدنك فوفر عنايتك على مستخلص حقيقتك من مجازك وتقضى به الى شرف غايتك اخذ النفس من اكثر من عطائها للطبيعة وتقبل البارى اكثر من فيضه على النفس وبروز العقل بالطبيعة اشد من استجابتها للنفس وذو النفس والطبيعة فى جهاد دائم وكدح متصل يقبل العقل والفعل ولكن فى الافق الاعلى وشوق النفس انفعال ولكن فى الرتبة الوسطى وبث الطبيعة انفعال ولكنه فى السياح الاول من ذى الطبيعة كذب وايد الحس الا اذا شهد لدعواها العقل الرضى كنت بدءا فى حكم المعدوم فنظمت بعيد من الغيب مشهود له بالعجب فلست الا امر هو اعجب منه فان شبهت معاد لك بمبدأ بشهادة الحس اخطات وان رجحته على ذلك فيوشك ان تكون مصيبا لك وجود بالطبيعة ووجود بالنفس ووجود بالعقل ومراتب الوجود مختلفة وكما لم تشبه وجودك الثانى على هذا الشرح وجودك الاول فكذا لا يشبه وجودك الثالث هذا الذى انت عليه الطبيعة يسوس قراح البدن والنفس تسوس دواعى الطبيعة والعقل يسوس سكان النفس النظام المحكم ولكن المنتظم مستهدم انت مسكن لغيرك فاجتهد ان لا يتحول عنك ساكنك كارهالك واعلم ان اصطفاك حولك معه الا لسان الجاهل ميت والعالم المتجاهل عليل والموثر للخير حى صحيح اذا كنت تجد حيا تحكم عليه بالموت بسبب اقتضى ذلك فلا تنكر ان تجد ميتا تحكم له بالحياة بسبب يقتضى ذلك لا تتخذ مراد الطبيعة مقيلا فانك تزعج عنه اهدا ما تكون فيه واستر ما تكون فيه فبدنك طبيعى فتهاون به ونفسك عقلية فتوفر عليها احرص على ان تعلم جيدا لا على ان تقول جيدا وعلى ان تهوى خيرا لا على ان تحب خيرا وعلى ان تعمل بما ينبغى لا على ان تدعى ما ينبغى فيك درة الحق فلا تخدعنها ومعك رائد الشرف فلا تعيبه واليه رشدك فلا تفت نفسك ما لها الهمك ملكت ما لا تستحق فاحسن سياسته حتى تستحقك فى التجارب مراى لنفوس فاستكثر منها فانها انجح فى كل داء وابلغ من كل شفاء ان احتميت دامت لك الصحة وان شرهت حالفك السقم وافضى بك الى الندم ما حمد

التواني عاقبة حاله ولاذم الراصد فرصته عنت امرئ ارحم نفسك قبل ان تسترحم غيرك
فانها اذا رحمتها اكرمتك واذا استرحمت غيرك لم يرحمك فان رحمك اهانك وامتن
عليك فلا انفك من غصة تهون عليك الموت وتسوقك الى العدم كن عاقلا حتى لا تغتر
وخبيرا حتى لا تغر وفي الجملة كاملا حتى لا تنقص فان قلت انى لي بالكمال فاعلم ان كمالك في نفي
نقصك بما تعرف لا بما تزيله لان نقصك من جهة التركيب لا من جهة البساطة لا تنم بين
الايقاظ ولا تغفل عن الرقباء ولا تدع عنها المكذبين ولا ترج مالك اليوم الى غد فان
غدا ليس لك فان كان لك فانه شاغلك عن يومك سيما منتك نفسك ان تنال
لذتك وتبلغ شهوتك ثم تدرك بعد هذا سعادتك ليتك اذا دفنك التراب
وغسلك الماء ولطفك الهواء واحرقتك النار وتقلبت بك الاستقصات وعاد
سفلك علوا ودرنك نقاء وظاهرك باطنا وصرت مقبولا بكل شكل ومرقى الى
كل فضل ومجلوا على كل عين ومذكورا بكل لسان ومتمنى بكل قلب ومعهودا بكل اصبع
ومقدسا بكل مجد ومدعى في كل زمان وآويا الى كل مكان وموجودا في كل اوان
ومخبرا عنه بكل عيان كنت اهلا للبقاء والخلود والكرامة والغبطة ومشاكهة ما لا يزول
ولا يحول ولا يبور ولا يجور ولا يصل اليك شيء الا ممزوجا ولا تصل الى شيء الا مكدودا لان
الواصل اليك من العلو يخرق حجبا يتشبث به ما يمر به ويتعلق هو ما يختار عليه واما
الكف الذي يصحبك فلانك في مركز يتطاول الى المحيط وهذه حال خطر وغرر الا ان يكون الجد
صاحبك والتوفيق كافلك انت سماء فيك كواكب تزهر وارض فيك بحور تزخر وهوا
وفيك رياح تهب وجبل فيك عيون تنبع اقصد بكثرتك قلة وبقلتك توحدا و
بتوجهك بقاء سرمدا لا راحة لمخوف دون الامن ولا دعة لراج دون المطلوب
ولا سكون لمحتاج دون الغنى ولا غنى دون درك المنى ما اجهد الطبيعة في غمر
البلايا ما الطف النفس في اهداء النصيحة اليك وما اشرف العقل فيما يجود به
عليك افرج عن الطبيعة يفرج عنك اي لا تسمح لها بالهوا فانها لا تعتدل الطبيعة
تستهوي ذا اللب الوافر وتخدم الحازم الموفور وتفل غرب المدل المحسور لها في
البدن صلاح وفساد فقط اذا اعتبرت افعال الله وجدت القدرة في وزن الحكمة
والحكمة في وزن القدرة وفي بعضها تجد القدرة والحكمة خافيتين وفي بعضها تجدهما
ظاهرتين فلهذا واشباهه اشكلت المطالب وثارت الشبه واختلفت الطرق والمظان
وصار الباحث وان كان نحريرا نقابا يزل من شق الى شق ويميل من جانب الى جانب ولو
استتب البحث على جدده واستتب القول على صدده كان العرفان على قدر الوجدان والبيان
على قدر العرفان انما اشكل المطلوب لانك اردت ان تجد بالحس ما لا يوجد الا بالعقل وتجد
في العقل ما لا يوجد في الحس ولو رتبت كل شيء موضعه ودرجته لم يسم المطلوب ان يكون يقينا
ولم يسم اليقين ان يكون مظنونا الا بعكس جدك في ترتيبه واحفظ نظامك منه فان تمامك
به احي الطبيعة غير بطر وتصفح بالنفس غير ملول وتل بالعقل كل ما تريد فبهذا تسعد وبه
تدرك بقاء الابد مت بالطبيعة تماما لها تحي بالنفس دفيعا بها لا تستشر العقل ملتجيا

باوساخ الطبيعة فانه يعانك ولا ينصحك ولكن توجه اليه ظاهرًا من كل دنس عاريًا من كل فساد ثم اسمع منه فانك لا ترى الا الرشد ولا تجني الا الغبطة لا اختيار موكب من قوى النفس والطبيعة و لذلك كان معنى الانفعال فيه بالواجب اظهر من معنى الفعل منه والامكان لانه في انتسابه الى النفس ذو صورة وقيامه بالطبيعة ذو هيولى وعلى هذا فنون الانفعال كلها الا ما بان في اوليته عنها وفي هذا الكلام لعله يقع في موضع آخر

مقابسة اخرى

٦٣

قلت لابي سليمان يومًا لم لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وامثلة الالفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة وقد سمعناك تقول غير مرة ان الشريعة اذا كانت حقًا تكون كذلك الا بقوة الالهية بعايد النمط الذي قد ورد وانتشر وصار عقدًا لدهما ونحلة الجمهور وحتى صار في عمارهؤلاء من يشبه التشبيه الفاحش ويشير اليه الاشارة الخفيفة فقال في الجواب قد قلنا مرارًا في المذاكرات التي سلفت والمعاني التي جنحت وعرفت ان الكلام الذي يراد به استصلاح العامة واستنجاع الكافة لا بد ان يكون مرة مبسوطًا ومرة موجزًا ومرة مستقصيًا بالايضاح والافصاح ومرة مجموعًا بالرمز والتعريض ومرة مرتلا على الكناية والمثل ومرة مقيدًا بالحجج والعلل وعلى فنون كثيرة لا وجه لاستيفائها اذا بان المراد في غرضها واثنائها واذا استقر هذا مفهومًا وتوضح بيانًا فالواجب كان جميع ما يحويه الشرع من هذا الضرب ليجد الخاصي فيه اشارة تشفيه والعامي عبارة تكفيه فقال بعض العرب انا قد وجدنا للاوائل في التوحيد كلامًا كثيرًا متقاربًا ولم يسد صفائهم ايضًا ما كدر على غيرهم وهذا يدل على ان ما ينطق به الناموس قريبًا مما ينسج في النفوس فقال انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة اقوال متقدميهم بل كان في القوم من رأي رأى العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحًا فيما نصصناه من القول في حقايق التوحيد الذي ظفر به خلصان الحكمة وفرسان الصناعة على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد اخلت بخواص المعاني في ابدان الحقايق اخلالا لا يخفى على احد ولو كانت معاني يونان تهجس في انفس العرب مع بيانها الرايع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل اغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضًا نافعًا للغليل وناهجًا للسبيل ومبلغًا الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى والضعف الثابت في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذًا للخلق ومعاذًا للعالم وهذا الذي سرى بين الجميع في الانقياد والطاعة حتى حصل هذا مستجيبًا لما هو صامت له بطباعه وهذا صايرًا الى ما هو مدعو اليه فانه وكنه هذه العيوب معترف به في الجملة ومسلم اليه في التفصيل فقال له البخاري فعلى هذا افدنا كلامًا في التوحيد فقال اما من اعترف بالوحدانية ثم شبه فقد ارتجع ما قال ونقض ما اعتقد واما من ذكر اكثر

من واحد فقد ضل عن الحق كل الضلال واما من اشار الى الذات فقط بعقله البرئ السليم من غير
تورية باسم والحلية برسم مخلصا مقدسا فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقة البشرية لانه اثبت
الانية ونفى الاينية والكيفية وعلاه عن كل فكر ورؤية ثم قال لقد احسن من قال
ان حاولت فات فوتا بعيدا وان ازمعت جحوده بان فيك موجودا مشهودا وكان ذيل الكلام
اطول من هذا ثم تحرجنا من جناية اللسان في الحكاية ونزوة القلم في الكتابة وايثارا
للمحافظة فيما يجب على الانسان اذا نشر حديثا وروى خبرا واثار دفينا واوضح مكنونا
خاصة اذا كان ذلك في شيء غامض ومعنى عويص ولفظ مشترك وغرض متورع ينبو
عنه كل قول وان يتجافى عنه كل نازع وان اغرق

مقابسة اخرى

٦٤

سمعت ابا سليمان يقول قال افلاطن ان الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا اخطاوه في كل وجوهه
بل اصاب منه كل انسان جهة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل واخذ كل واحد
منهم جارحة منه فجسها بيده ومثلها في نفسه فاخبر الذي مس الرجل ان خلقة الفيل
طويلة مدورة شبيهة باصل الشجرة والنخلة واخبر الذي مس الظهر ان خلقته شبيهة
بالهضبة والرابية المرتفعة واخبر الذي مس اذنه انه منبسط دقيق يطويه وينشره فكل واحد
منهم قد ادى بعض ما ادرك وكلهم يكذب صاحبه ويدعي عليه الخطا والغلط والجهل فيما يصفه
من خلق الفيل فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطا كيف دخل عليهم حتى
فرقهم وكان يقول اعني ابا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا خفاء
بها عند من سمعها بتحصيل ويؤيدها ببيان قال وهذا لا تجد عاقلا في مذهب
يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره والسابق الى قلبه والملائم
لطبعه والموافق لهواه ولكن البارع المتسع المحصل له المزية في السبق والفلج بالتدبير

مقابسة اخرى

٦٥

هذه مقابسة يذكر فيها نوادر سمعناها في الفلسفة العالية من ابي سليمان مفيدة واذا
وهب الله نشاطا وتمكينا عدنا الى نظائرهن فرويناهن فانها كثيرة نافعة غريبة سمعته
يقول نزلت الحكمة على رؤوس الروم والسن العرب وقلوب الفرس وايدي الصين وقال
ايضا انما يخرج الزبد من اللبن بالمخض وانما تظهر النار من الحجر بالقدح وانما تستبان النجابة من الانسان
بالتعليم والمعدن لا يعطيك ما فيه الا بالكدح والغاية لا تبلغها الا بالقصد ومن نشا بالراي
الحسن فاتته الراحة العقلية والعاجلة تتصرم والاجلة تدوم وقال الحرف الذي
يدعى في العربية وينسب الى الادب موروث من العرب وذلك ان ارضها ذات جدب وتخصص
فيها عارض وهم من اجل ذلك اصحاب نفرة وضرة وربما دعوا الى وصال وطي وكل من تشبه
بهم في كلامهم وطريقتهم وعبارتهم ارتضخ ما هو غالب عليهم من الحرب والاحقاق للدين
عليهما الفهم الا ترى ان الشبع غريب عندهم والرعب مألوف منهم وهذه هي الحال التي
فرقت من الحاضرة والبادية وقد زادتهم حزبتهم شرا لكنهم عوضوا الفطنة العجيبة
والبيان الرائع والتصرف المفيد والاقتدار الظاهر لان اجسامهم نقيت من الفضول

ووصلوا

ووصلوا بحدة الذهن الى كل معنى معقول وصار المنطق الذى بان به غيرهم بالاستخراج مركوزا
فى انفسهم من غير دلالة عليه باسماء موضوعة وصفات متميزة بل فهشا كالالقاء والوحى
لسرعة الذهن وجودة القريحة وقلت له قد صنف ابو اسحق الصابى رسالة فى
تفضيل النثر والنظم فقال قد كان منذ ايام يسائلنى عنهما فقلت له النثر اشرف
جوهرا والنظم اشرف عرضا قال وكيف قلت لان الوحدة فى النثر اكثر والنثر الى
الوحدة اقرب فرتبة النظم دون مرتبة النثر لان الواحد اول والتابع له ثان فقلت
له فلم لا يطرب النثر كما يطرب النظم فقال لانا منتظمون فما لايمنا اطرب وصورة الواحد
فينا ضعيفة ونسبتنا اليه بعيدة فلذلك اذا استدنا ترنحنا هذا فى اغلب الامر
وفى اعم الاحوال وفى اكثر الناس وقد نجد مع ذلك ايضا فى انفسنا مثل هذا الطرب
والابتهاج والنشوة والترنح عند فصل منثور وفيما لهاط ذا الذى نصرناه والمعنى
الذى اجتبيناه ان الكتب السماوية وردت بالفاظ منثورة ومذاهب مشهورة
حتى ان من اصطفى بالرسالة فى اخر الامر غلبت عليه تلك الوحدة فلم ينظم من تلقاء
نفسه ولم يستطعه ولا القى الى الناس عن القوة الالهية شيئا على ذلك النهج
المعروف بل ترفع عن ذلك وخص فى عرض ما كان نوابعنا دونه وبالفونه باسلوب حير كل
سامع وبرد غلة كل معنى وارشد كل غاو وقوم كل معاند وافاد كل لبيب واوجد كل
طالب وخسا كل معرض وهدى كل ضال ودفع كل لبس واوضح كل مشكل ونشر كل
علم وافاد كل شارد وقمع كل ردىء وهذا لا يكون ولا يجب ان يكون الا فى الشخص
المخصوص الذى يوهل لنظم الكلمة المنتشرة باظهار الدعوة العزيزية فى ايام
السعادة المنتظرة بين خير اعوان ثم يكون لهذا كله زمان محدود ينتهى اليه على السياج
الاول مع العوارض التى تختلف من عجايب الزمان وافانين الدهر واذا كان كذلك كر
على سالفه بتجديد شان شبيه بالدارس الى ان تعود نضرته المعهودة نترو لخلو تنسه
العارضة

مقابسة اخرى

نعود فى مقابسة اخرى الى الشيا لابى سليمان فنالحها على وجهها ونذكر فى هذه حكمها سمعناها
من الحرانى ابى الحسن وغيره فقد كانت المجالس لا تنصرم الا من فوايد كثيرة فلسفية وغير
فلسفية قال الحرانى قال بعض السلف من الحكماء الصلحاء والفضلاء العلم ما تم فضيلته بالعمل
على ان العالم وان لم يعمل حرى ان تتوق نفسه الى حال من الاحوال الى محاسن ما علم وحفظ
والجاهل منقطع النسب منه والعالم ينفع وان لم يعمل وليس ذلك للجاهل والعالم
كاسب على الجاهل لا كاسب للعالم قال ابن زرعة قال بعض القدماء العقل دال
على الفضيلة فمن اباها استحقه لعلمه بدلالته ذام للرذيلة ومن اثرها استحق اسم الجهل
فما كان مميزا لترك العمل بدلالته وقال الصابى قال الاولون الشكر الاقرار
بالنعمة للمعبود وجزاؤها بالحسنى فى الضمير والقول والفعل فاما اجزاء الضمير فالنية
والمحبة والطاعة واما اجزاء القول فالثناء والدعاء والنشر واما اجزاء الفعل فالصبر
والسعى فيما يرضى المنعم قال والشكر ثلاث طبقات لمن فوقك بالطاعة والنصيحة

والنصيحة ولا الكفاية بالمكافاة ولمن دونك بالتفضل عليه والشاكر ان قصر عن ثلث لم يشكر ويحتاج
الى معرفة وطباع وعمل فبالمعرفة يعرف كنه النعم وقدرها يجب عليه من الشكر وبالعمل يبلغ كنه ما هو
عليه وبالطباع يكون الدوام على ما وجب عليه والشكر مراتب فشاكر قصر عن قدر النعمة ولا عذر
له الا ان يكون ذلك منتهى طاقته وشاكر اقتصر على السوية فاتى اكفاء ما اوتي اليه وليس يحسن ان
اطاق الزيادة وشاكر زاد تنفلا وكرما فهذه اعلا مراتب الشكر وقال القومسي السلطان
في تدبير الرعية كالشمس في تفصيل الازمان والجند كالرياح في التلقيح والعلماء من الجميع
كالنبت والحيوان والعوام في نقل الامور كالارض في حمل الانام وما يكون منه منافع الانسان
وقال علي بن عيسى ليس يرى مجد الحكمة الا من كان بصر عينيه في قلبه لا بصر قلبه في عينيه وما
احسن ما اتفق لسان البدوي بهذا المعنى في نظم السائر ما الفضل فيما تريك عين
بل هو فيما ترى القلوب وقال علي بن عيسى قال افلاطن من اتصلت الحكمة بطباعه فتحتها
واخرجت منها انواع البيان المخالف لها في الشكل والقوة والصورة وقال غيره قال سقراط كل مصغر
ليس بمحمود ما امكن منه الاختيار قال ابو سليمان وقد سمع هذه الحكاية ما احسن ما قال بطليموس
في كلماته في الثمرة حين قال اذا طلب المختار الافضل فليس بينه وبين المطبوع فرق وقد شرح
هذه الكلمة في اخواتها من الثمرة كاتب الطولون واربى على كل فايدة قلت لابي سليمان اذا كان
في الاختيار انفعال لا محالة فلم لا يكون المطبوع افضل منه وان سميته مضطرا فقال قد وضح
لك قديما ان الانفعال على ثلثة انحاء فنحو ينحط به المنفعل عن خاصية جوهره باستحالة صورته
وانحلال كيونته وضرب يتحرك به المنفعل على نفسه اما نقصا لما اجتمع او استكمالا لما
انحل عنه وضرب يتطاول به المنفعل الى ما هو فوقه مقتبسا بالقوة شوقا الى القدرة جار
على الشرك الواحد فهو بالقوة الالهية افضل من المختار ولكن شرف المختار عليه من جهة القدرة
الموهوبة له بتخيرها وفي هذا معنى التهليل وشرف المطبوع من جهة القدرة الموجودة فيه بريئة
عليها وفي هذا المعنى لسيش وقال اخر وهو عيسى بن علي نيل لبعض القدماء كيف يكون
المحرك ساكنا فقال في الجواب كالمغناطيس الذي يحرك الحديد وكذلك الشهوة للبدن فان
الحجر والشهوة ساكنان وكذلك المعشوق والعاشق فقال القومسي وغيره ايضا من الحكماء
البينة قول الاول انما يدرك الشيء من جهة علته المحيطة به فاذا لم يكن للشيء علة فلا
محالة انه غير مدرك وقال عيسى بن علي الملك بحق من ملك رقاب الاحرار بالمحبة وقال
الصابي قال ثابت بن قرة الخرافات توجد من اربعة اشياء وهي عجايب البحر وحديث السحر
وحديث العشق وحديث الجن

مقابسة اخرى

٦٧ قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين البياض ينشر البصر لانه من جنس النار والسواد
مجمع للبصر لانه من جنس الماء قال وقال اخر الفصل بين الجوهر والعرض ان الجوهر
لا يقبل الزيادة ولا النقصان والعرض يقبلهما وقال كل خير حسن وليس كل حسن خيرا
وقال كلما فضلته النفس بالادب فعلته الطبيعة بالعادة وفعله العقل بالتقبل وفعله
الباري بالجود وقال الغضب يتحرك من داخل الى خارج والحزن يتحرك من خارج

الى داخل وقال بعض الاوائل معرفة الدواب اولادها بالرائحة ومعرفة الطير فراخها بالالحان ومعرفة الناس بالصورة وقال متى كانت الحركة بشوق طبيعي لم تسكن البتة ومتى كانت باختيار جاز ان تتحرك مرة وتسكن اخرى وقال سقراط ان لم تكن لك استطاعة فانى محرك غير محرك ثم قال ابو سليمان هو محرك اذا كان محركا لانه محرك لا محرك فقيل له قد نظن بالبارى اذا كان محركا ان يكون محركا لانه يحرك فقال لا يجب هذا الامر من احدهما ان فى القسمة قد تبين ان ههنا محركا لا ان فى مقابلته محرك غير محرك والثانى ان معقولنا من قولنا البارى محرك الاشياء لانها تنحوه وتصمد اليه وتتشوقه وتفعل به وتنفعل له لانه تقدس وعلا يوسم ما يوسم به اصناف ما تحرك او يحرك وقال بعض الاوائل العلم والعمل حدا الفلسفة وكل واحد منهما بين ضدين فالعلم بين الصدق والكذب والعمل بين الخير والشر ثم قال هذه الرذائل كلها اعلام هذا لفظه فمن الفها واستعملها وانقاد لها وغلب عليها فقد اعدم نفسه وعدمها وعدم معها واضمحل فيها والعدم حال سيئة مكروهة وحشة لا يأتى عليها نعت وان كان بليغا ولا يحيط بها قول وان كان شافيا فاما الفضائل فعلى خلاف هذه كلها هى موجودة ولها الوجود المستفاد من الوجود الاول فمن اقتناها واستعملها وراض نفسه بها اليها واجرى عادته عليها ولان عريكته لها وانقطع عن اعداها انقطع اليها وكل مناقضة لاضدادها منها بقى موجودا بوجودها وجودا لا بقاء به على قد راشتماله عليها وتصرفه لها وامعانا فيها فما اظنك بحال توضح لك الفصل بين الموجود والمعدوم وترشحك لنيل ملك عظيم وتمليك للظفر بشأن جسيم وتوفقك على صراط الله المستقيم ثم قال وليس فى التحلى بالحكمة تعب كثير قد والله شاهدنا قوما تحملوا الاما كثيرة وركبوا اهوالا عظيمة لسبب اغراض هابلة واعراض زائلة ولسبب هوى سول لهم وقرين اغواهم واعتقاد ردى غلب عليهم وشئ حقير تعجلوه بشهواتهم وطلب السعادة باصلاح السريرة واتقان الصواب اهون من ذلك اجمع فلا يصدنك عن سلوك هذه المحجة البيضاء امر مبهم ولا حال مستبهمة فان فيما تدبره وتشرف عليه وتنال الروح به خلفا كثيرا وفائدة عظيمة فلا تكل نفسك الى اختيار السوء والى قرناء السوء فانك ان فعلت ذلك خسرت خسرانا مبينا وضللت ضلالا بعيدا وتحرقت اسفا وتقطعت ندما وان نعشت نفسك واخذت بيدك بيدك واستمريت فى امرك واستترت برايك ورفضت كل كل عنك وعرفت المراد منك فزت فوزا عظيما ونلت ملكا ونعيما وبقيت بقاء بلا انقطاع وسعدت سعادة بلا شقاء وصفوت وعلوت وعرفت وانفت وقدرت وظهرت ومجدت وشرفت ولحظتك عين الجود غامرة واكتنفتك الخيرات ظاهرة وباطنة واحدا لا ينقسم وناظرا لا يغمض وموجودا لا يعدم ومبينا لا يخفى وشاهدا لا يغيب وحاضرا لا يفقد وعلانية لا تنكتم ومتصلا لا ينقطع وحبيبا لا يقلى معشوقا لا يجفى وموصولا لا يبعد وصاحبا لا يمل ومجموعا لا يفترق وامنا لا يخاف وساكنا لا يقلق وناطقا لا يعيى وصحيحا لا يسقم امر يجل عن نعت الناعتين وحال تعلو قول الواصفين وشأن تدق على خبر المخبرين فاجمع اكرمك الله بالقبول اطرافك وشمر الى الغاية ذيلك وكن رقيبا

على نفسك فلا مشفق عليك سواك ولا ناظر في امرك غيرك وعلى الدعا والتلطف وعليك الاجتهاد
والسعي فما بعد نصح الداعي وقبول السامع الا نيل الاماني وبلوغ الامال

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين الوسط فيه الطرفان فان الماء الفاتر توجد فيه الحرارة
والبرودة ثم قال وهذا بيان قول الاوايل الانسان لب العالم وهو في الوسط لانتسابه الى
من علا عليه بالمماثلة والى ما سفل عنه بالمشاكلة ففيه الطرفان اعني فيه شرف الاجرام الناطقة
بالمعرفة والاستبصار والبحث والاعتبار وفيه صفة الاجسام الحية الجاهلة التي لها يرشح بشيء
ولا فيها انقياد له فما احرى من هذه حده وشانه ومقره ومكانه ان ينجذب الى ما يعزه به ولا يذل
به ويوجد به ولا يفقد وينال به ولا يحقق وما اشقى من هذا حديثه مع التمكين والاستطاعة
والقدرة والقوة والتذكرة والتبصرة ان تردى من ربوته ويذهب في هوته ويبقى خاسيا حسيرا ومقيدا
اسيرا بلا فكاك ولا اطلاق ولا رحمة ولا اشفاق قال ايضا قال افلاطن من ملك منطقه
سمي حليما ومن ملك غضبه سمي شجاعا ومن ملك شهوته سمي عفيفا قال وقيل لافلاطن اي
الامرين اعلى درجة ان يقول ما تعلم او يعلم ما يقول فقال ان تقول ما يعلم لان مرتبة العلم
فوق مرتبة القول قال وهذا كما قال ما تعلم فالقول تابع للعلم وهذا هو الحق ليكون العلم
اولا واصلا واذا علم ما يقول فكان العلم مقصورا على قوله من غير ان يكون قايما بنفسه ثابتا
في معدنه جاريا من ينبوعه هذا اخر ما فهمناه عنه في هذا الفصل ولعل المطالبة بزيادة
شرح ممكنة فان المغزى فيه لطيف والبيان عنه عزيز وقال بعض الاوايل الانسان الذي
لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال اخر البخيل الغني كالجبان القوي وقال
اخر من الصورة والهيولى يكون الحد ومن الصورة والعلة يكون الايضاح ثم قال وهذا صحيح لانه
لا وجود لشيء الا بصورته وهيولاه فاما الهيولى بذاتها فغير موجودة وكذلك الصورة فكل ما يقوم
قايما يتقوم بهما ثم يصير كذلك المتقوم صورة اخرى محفوظة الظاهر والباطن الى الاولين الذين
هما الهيولى والصورة ثم على حسب ما عليه الصورة في هذا المتقوم يكون شرف جوهره لانه يستفيد
البساطة من الصورة والتركيب من الهيولى وذلك على حسب ما عليه هيولاه فيه يكون ضعة جوهره
وسيلان عنصره فكل حيوان غير ناطق عادم لشرف الصورة وكل حيوان ناطق واجد لشرف الصورة
الا ان الناطق ناطقان ناطق في الذروة وناطق في الوسط فالذي في الذروة الاجرام الناطقة الحية
النيرة العلوية والذي في الوسط الانسان الذي قد حوى بحده معنى النطق ويظهر منه هذا المعنى
في الطرفين بالفطرة التي له فانه يحس ويعقل والاخر بالرياضة المحمودة والالف الحسن والاختيار
الجيد والقبول الدايم ولما علت الاجرام انما صفت عن هذه المهابط التي نصف فيها الانسان
استغنت عن الرياضة والتحديد والطلب والاجتهاد والاختيار ولما سفلت الاجسام الاخر
التي هي في اخر الاطراف لم يطمع لها في ثمرة النظر وعاقبة الرياضة وما يفيده الاختيار ويتوقع بالقبول
وكما حصل الانسان دون الجواهر الناطقة كذلك حصل ساير الحيوان الذي هو دونه دون الانسان
الا ان خساسة ما تباعد عن الانسان من اصناف الحيوان اشد وابين لانها خساسة طينية
لا طمع في رفعها ولا رجاء في دفعها فاما ما حازه الانسان في مكانه الذي هو كالمنتصف من

اسواص

النواطق العالية النيرة الشريفة الدائمة الابدية وبين ما سفل عنه من ساير الحيوان فهو على شرف الطبع
في صلاحه واستجابته وانقياده حتى يجود اختياره ويذكو ذهنه ويظهر عقله ويصير ما هو في قوته
كامنٌ باديًا وما هو معجون في طينته ظاهرًا وحينئذٍ اذا بلغ هذا المبلغ علم انه انما صح من ناحية الطبيعة
وانه متى نزع يده من يد الغاش ووضعها في يد الناصح ثبتت نسبه الى الشرف واستقرت قدمه على العز
وابصرت عينه كلما غاب وثقت نفسه بالكرامة وارتاحت الى ما بين يديها من الغبطة ونسيت ان
هذا الانسان في هذه المنزلة الصعبة والمنزلة المخوفة ما قد لا ينجع فيه الدواء ولا يسري اليه الشفا
فيعطب الذي من اجله صرنا نتنادى بشاهد التنادي ونتحارس في هذا العالم هذا التحارس
ونتواصى هذا التواصي لئلا يختطف فجاءة الى مهوى البلاء ومعدن الشقاء فدها لله لجأ الينا
بالنجاة وصرح لنا بالحق ونصب امامنا العلم وتلا علينا بيان الرشد والغي ليكون جاشنا
على يقظة وبيان وتحولنا الى مقام دار امن وسلام ونحن كما ترى ساهون لاهون الى الله
المشتكى والسلام وقال ايضًا ابو سليمان قال بعض الطبايعيين منزلة الكواكب
من الشمس منزلة الحديد من حجر المغناطيس ما تراهن اذا بعدن تجذبهن اليها قال
وهذا القول فيه نظر فقال ابو سليمان كل مرء لا يعرف ما يجب عليه فلا يعرف فقال ليس هذا من
كيسي وقال آخر للدين حجة لا يحتج عليها وللشبهة سبيل لا يعرض لها

مقابسة اخرى

سمعت القومسي وابو بكر يقول قال بعض الاوايل الرقى باطلة فقيل له بل هي حق لانا نرى ابو عيد يقطع
العرق وانما هي كلمات تدخلها النفس على الطبيعة فتشغلها بتلك الكلمات عن عملها قال وهكذا
تفعل الرقى اذا كررت على الانسان وقال ايضا قال بعض الاولين في السياسة والاخلاق من ملك
حقيق ان يحصن عقله من العجب ووقاره من الكبر وعفوه من تعطيل الحدود وقال ابقراط
الحمية ان تدع الشهوة نقية فقال بعض الاوايل استضاءة الجسد من النفس كاستضاء القمر
من الشمس واستضاءة النفس من العقل كايضاح النفس للنفس واستضاء الروح من
الطبيعة كاستضاءة المركز من المحيط واستضاءة العقل من العقل الاول كاستضاءة العاشق
من المعشوق وقد قال بعض الاوائل لا يقال هذا حق ولكن يقال هذا عدل بحق لان الحق
والعدل وقد قيل لافلاطون فلان لا يعرف شيئا من الشر قال فليس اذن يعرف شيئًا من الخير
قال فهذا مكشوف لانه يريد ان تكون الامور متميزة عند الانسان الفاضل فانه بعد تمييزها
يختار منها وفيها ما يجب ان يجتنب وفيها ما ينبغي ان يكتسب واذا استقرت عليه ولم يوضحها التمييز
بطل اختياره منها واذا بطل اختياره منها خيف عليه الهلاك فيها قال بعض الطبيعيين
الدليل على ان الفعل غير الفاعل وغير المفعول الصوت من اصطكاك الجرمين والنغم من اليد و
الوتر وقال قال بعض الاوايل الطبيعة والعقل مكان النفس والباري محيط بكل ذلك وهو
بكل مكان لا يخلو منه شيء وهو العالم بكل شيء لانه علة كل شيء ثم قال وهذا على
السعة المعروفة والمجاز المعتاد والا فقولك علم ويعلم وعالم خبر عن ضرب من ضروب الانفعال
والباري لا انفعال له بوجه البتة وقال قال بعض الاوايل حد الشيء الصناعي خارج منه وحد
الشيء الطبيعي موجود فيه قال وانما كان هذا لان الصناعي يصدر عن ذي هيولى باداة وجسمية

والتي عملية والطبيعي جزء من عالم الصورة نفسية باداة روحية والتي لطيفة فالطبيعة من الآلهة لانها تستملي عما فوقها وتملي على ما يتصل بها وقال ايضاً قال سقراطيس لو قبل الماء السكون لكان ارضا ولو قبلت الارض الحركة لكانت ماء ولو كان الهواء حاد الزاوية كان نارا ولو كانت النار منفرجة الزاوية كانت هواءً وسمعته بالحسن الحراني يقول قرأت في كتبنا يعني كتب الصابئين اذا اردت ان تكثر النحل في مكان نضع نخلة من ذهب واجعلها في سقف بيت النحل فان النحل يزيد ولا ينقص ولا يهرب قيل للقومسي لم تقبل النادرة ولا ترد فقال كأن المعنى في هذا القول ان النادرة ليست مملولة لانها غير معهودة ولا مردودة فهي لا تستحق الرد الا ترى انها تعهد اذا قدرت ولها حدثان مقدمتها ولها حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة فهي لذلك ليست كاخرى قد عهدت وملت وقليت

مقابسة اخرى

٧٠

سمعت ابا سليمان يقول من التمس الرخصة من الاخوان عند المشورة ومن الفقهاء عند الشبهة ومن الاطباء عند المرض اخطأ الرأي وتحمل الوزر وازداد سقما وسمعته ايضا يقول لا يجوز ان يصدر فعلان متضادان من جوهر واحد ولا يجوز فعل واحد بالذات من جوهرين مختلفين بالذات وسمعته يقول من اراد ان يجود على الناس كلهم فليتول لكلهم خيرًا وسألته عن الفرق بين المعرفة والعلم فقال المعرفة اخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية والعلم اخص بالمعقولات والمعاني الكلية ولهذا يقال في الباري يعلم ولا يقال يعرف ولا عارف وسئل عن الرطوبة واليبوسة فقال الرطوبة كيفية سهلة التشكل بالاشكال الغريبة واليبوسة كيفية عسيرة التشكل بالاشكال الغريبة وكل قابل لكيفية من الكيفيات فانما يقبله اذا كان عادما له وتكلم عشية يوم في التوحيد بكلام طال ودق فقلت له هذا مشكل فقال اشكاله يدلك على وضوحه فلما خرجنا من بين يديه قال لي النوشجاني اراد ان اشكاله على شواهد الحس تدل على وضوحه عند شواهد العقل لانه تجتمع ايضاح العقل والحس في معاني الاله وذلك ان الحس يدرك ذا الاشكال فيكون الشكل مدركا له بوساطة ذي الشكل والعقل تجرد الاشكال عن عواملها وموادها فيلحظها ولكن يلحظها متميزة فاذا علا اللحظ عن الاشكال كما علا عن ذي الاشكال حينئذ يصير العقل والمعقول شيئا واحدا وينتفي كل شكل لاستيلاء الوحدة فيعتاض كل بيان لاستيلاء الحيرة فعلى هذا معنى قوله اشكاله يدل على وضوحه اي اشكاله فيما تلقه حينئذ ويلحظه عقلك يدل على وضوحه في نفسه بحسب حقه الذي في ذاته وصفيت هذا المقدار بعد استفهام كثير ومراجعة شديدة لان الاشارة غامضة والايماء خفي على سعة المواد وتوضح المقصد وقرب المأخذ وانكشاف الغطاء واستتار المسلك واذا اراد الله تيسير عسير وتقريب بعيد فعل انه ماجد وهاب وقال ايضا النفس تدبر اولي الالباب والطبيعة اولي الغفلات والفكر في مرآة النفس يريها خيرها وشرها وظن العاقل كهانة وخدم الملوك خزان ارواحهم واشفق الانسان يجب ان يكون على فناء الزمان ومن احب ان يبقى في عالم الحس سليما من آفات الدهر فليغن عن عقله فقدمات ومن احب ان لا تجري عليه احكام الفلك فليجد سقفا غير

هذا السقف

مقابسة اخرى

٧١

سالت ابا سليمان عن الضحك ماهو فاملى فقال الضحك قوة ناشئة بين قوتى النطق والحيوانية
وذلك انه حال للنفس باستطراق وارد عليها وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة وذلك
الاستطراق انما هو تعجب والتعجب هو طلب لسبب والعلة للامر الوارد ومن جهة تتبع
القوة الحيوانية عند ما تنبعث من النفس فانها اما ان تتحرك الى داخل واما الى خارج فاما
ان يكون دفعة فيحدث منها الغضب واما اولا اولا باعتدال فيحدث السرور والفرح فاما
ان تتحرك من خارج الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف واما اولا فاولا فيحدث منها
الاستهزال واما ان تتجاذب مرة الى داخل ومرة الى خارج فيحدث منها احوال احدها الضحك
عند تجاذب لقوتين فى طلب لسبب فيحكم مرة انه كذا ومرة انه ليس كذا ويسرى فى ذلك
الروح حتى ينتهى الى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين وتعرض منه القهقهة
فى الوجه لكثرة الحواس ويعلوا الغضب واحد واحد منها

مقابسة اخرى

٧٢

قال ابوزكريا الصيمرى يوما لابى سليمان فى حديث النفس وما يغلب عليها ويصير ديدنها لا يفارقها ولا
يزول عنها ايها الشيخ انى اجد فى نفسى اشيا هى اركان فكرى ودعايم همتى واسُسُ وساوسى احدها
حديث الوالدة فانى لا اكاد انساها ولا اذهل عن شانها وشانى معها هذا على بعد عهدى بها وامتداد الزمان
بينى وبينها لانها صارت الى جوار الله وانا غلام والثانى حديث صاحب الشريعة فانى اسيح فيه ايضا
متعجبا مما خص به وافرد منه مع ما عاناه من اقاربه واباعده ومع الذى نهض به من اعباء حاله وتدبير
اصحابه ونظم جرائمه ودقة ما كان يلقى وهى الحال التى توحد بها من بين اهل عصره فى نشر الغيب و
والدعاء الى الرشد حتى صارت اعجوبة عند من انكره وقاهراً لمن عانده وبركة وسمنة على من عزره ونصره
وساير ما كان به مشهورا من امره الغالب وشانه المعجز ومع الاحوال التى اختلفت واستلفت
ووضحت على الذين عاشوه وخبروه وجاوروه واستنبطوه مما يطول ذكره وهو بارز لكل احد
وموضوع على كل مرصد والثالث الموت وذلك انى ممنوع بتخيله عن كل استمتاع ولذة اتخيله
تخيلا غالباً موحشاً وربما غشى فوادى من ذكره وباشر صدرى من كربه ما يبلغ لى الى اتمناه
لا ستريح به منه والرابع البارى عزوجل وانه فى اعلا ارجاء الفكر وفى الحد الاقصى من حديث
النفس لا يخلو من ذكره بالى وقلبى ولا ينصرف عن مناغاته سرى وجهرى على انه لا صورة له عندى
ولا عيار ولا تخيل ولكن ابت علياء الا شعوراً به ووجداً بالدواعى اباعنه وايماء نحوه فقال
ابوسليمان هذا خبر عن محل رفيع فى الاستنارة وشان عجيب فى حصول الطهارة واتصال السعادة
وقد يظن من لا شرب له من هذه العين ان هذا وسواس يغلب من جهة المزاج اذا انحرف والاعتدال
اذا فقد وليس كذلك بل يوشك وان يكون مصطفى لغاية المتمناة والنهاية المتوخاة لان
الوالدة يلحظ منها المبدأ الحسّى فيعشق لذلك ومن سجايا النفس الفاضلة ومن عادة الفطرة
النفسية والطينة الحرّة انه يكون المبدأ ملحوظاً فيها وعندها وهذا كله للشعور بالمبدأ الذى
هو الاول بالاطلاق مع احوال تتناصر وتتشابه فى خلال هذه الفكرة تتعلل بها النفس تعللا
مونسًا مطربا ودافعا للوقت مرجئا قيل له فلم لم تكن المنزلة دون الام فقال لان ما

شأنها في الحس اعظم وتدبيرها في المباشرة اظهر وشفقتها بحسب ضعف قوتها اكثر والاب هو الفاعل الحق ايضا ولكن لا مباشرة له متصلة ولا ولاية له متمادية وانما هو اول فقط والام حاملة واضعة وفاطمة ومرضعة وحاضنة ومربية فالكلفة عليها اغلظ وجنسها للولد الف وهو بها اشغف ثم قال واما تخيل الموت فلان النفس تلحظ المعاد وتنزع اليه وتتقلب نحوه لان المعاد هو المحيط الذي منه بدا واليه يجب ان يكون المنتهى ولا ستحجام الحال في التنائي ما فتئ قلبه في الفكر فيه فيعتريه التشهر الشديد والفكرة الغالبة نفورا من الشقا ومحبة اعلى ما يكاد يقرب من الخير ولا سبيل للنفس الى هذه العاقبة الا بتخلية البدن الذي هو السور المانع بينه وبين الخلاص من اسر هذا العالم وتدبير هذه الاستقصات وهذه التخلية هي التي تسمى موتا وانما هي تحول من مكان الى مكان فالفرق مصحوب والخوف قائم والظن مترجح والامل بين رياح عواصف فكلما كان استحجام الحال اشد كان الامل اضعف وكلما كان الامر ابين كان الشوق اليه اعظم فاما ما يتعلق بحديث الناموس الالهي الشارع لطرق الخيرات القائدة الى غاية السعادات فانه ايضا انما يستمد ذلك ويكثر ويتضاعف لان للنفس انفاضلة مباحث كثيرة في شان من هذا النعت وكمية وتلك المباحث هي مسالك الخير المامول ومراقي اسر المعلوم والمجهول فالشغف والفكر والنظر انما يتضاعف في شان هذا الشخص ليقبس من نوره ويهتدى بامره ونهيه ويظفر بنفيه النفس من جهته بقوله وفعله ويمن وبركته فاما ما يرتقى عن هذه الحدود الى الغاية الاولى والغاية القصوى فذلك بطلب النفس سكونها لا قلق بعده وطمانينة لا يخفر بعدها فيحق كانت هذه الخواطر سانحة وهذه المشاعر فاتحة وهذه الاواخر مشهورة وهذه الاوائل موجودة وبقدر تواليها وتعاقبها وتوافيها وتقاربها تكون نقطة الانسان في اكتساب الالهية الحسنة والعينة الباقية والاخلاق الالهية من العلم والحكمة والجود والسماحة والعفاف والهمة العالية والشجاعة البينة والخير والعدالة والتقديس والنزاهة فلا عدة للنفس الحكيمة والطبيعة الكريمة الا هذه الفضائل التي هي ينابيع الخيرات ومصابيح الغايات وثمرات هذه الحياة ثم قال والله نسئل توفيقا نؤمه ونمر على هذه المحجة البيضاء واللقم الافيح ثم نزداد بصيرة الى التمسك بما عادت جدواه علينا عاجلا واجلا ببذل الغاية وتقديم الحرص ورفض الدنيا ومجانبة قرناء البطالة وابناء الهوى والشهوة فانه مجيب من دعاه وكاف من استكفاه واقول ما اخرجنا جميعا الى ان نهب انفسنا لكسب هذا المجد وتشييد هذا البناء وافناء هذا الدهر فوالله الذي لا اله الا هو لو تزينا بهذه المقابسة وحدها من هذا الشيخ كانت زينة لنا الى اخر الابد فكيف ولها اخوات تعضدها وامهات تشهد بصحتها

مقابسة اخرى

املى علينا ابو سليمان فقال الدهر هو اشارة الى امتداد وجود ذات من الذوات وهو ينقسم قسمين احدهما مطلق والاخر بسيط من قبل ان الذوات اما ان تكون موجودة وجودا اطلاقا او بالحقيقة من غير ان تقترن مبداء ونهاية واما ان يكون متناهية

اذا فهم منه وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء فهو الدهر المطلق واذا فهم منه مقدار وجود ذات ذى نهاية فيكون الدهر الذى بالاضافة والشرط مثال ذلك انا نقول ان فلانا دهره يفعل كذا او كنت افعل الدهر كذا واما المثال على الاول بالاطلاق فهو الذى يرجع منه الى الذات التى هى اقدم الذوات واتمها وامدها الى غير غاية ومن غير بدء والزمان هو عدد حركة الفلك المشرقى بالتقديم والتاخير قال ومن الناس من قال انه مادة تعدها الحركة وهذا الحد توهم ان الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة وجوده انما هو فى عدد الحركة معدودة ليس هو الدهر وانما هو الحركة وللاشياء الحادثة على ضربين منها ما هو جار مع الدهر ويتعلق فى وجوده بالذات الاولى وتلك لا يلزمها التناهى وغيرا لتناهى والقبل والبعد الذى من قبل الزمان بل التى من قبل المعنى الذى يتعلق بالتصور والاضافة الى وجود الذات الاولى والضرب الثانى الحادثة فى الزمان وهو محصور بين طرفين بقبل وبعد فاذا حقق النظر فيه رجع الى فعل وانفعال والجملة من الحركات اما كون واما فساد واما نقلة واما استحالة واما نمو واما اضمحلال من غير ان يتعلق بوجود ذات من الذوات

٧٤

مقابسة اخرى

واملاء على ايضاً الفرق بين الوحدة والنقطة ان الوحدة هى نقطة ما لا وضع لها والنقطة هى وحدة ما لها وضع فالوحدة مبداء الواحدية وهى الكم المنفصل بمنزلة العدد الموتلف من الوحدات التى تجتمع من غير اتصال حدا تها بالاخرى والنقطة هى مبداء الكم المتصل بمنزلة الخط الذى يتصل اجزاؤه بعضها ببعض بحد مشترك هى النقطة فالنقطة اذن هى وحدة ما لها وضع والواحد هى نقطة ما لا وضع لها ولذلك ما كان وجود الوحدة موضوعها النفس فى التوهم ووجود النقطة موضوعها الجوهر الطبيعى ومتعلقا بالحس وان كان متعلقها بتوسط الحس

٧٥

مقابسة اخرى

وسالت ابا سليمان عن الفرق بين الفعل والعمل فقال الفعل يقال على ما ينقضى والعمل يقال على الاثار التى تثبت فى الذوات بعد انقضاء الحركة قال والفعل ايضا يعم كل معنى صادر عن ذات وحد الفعل انه كيفية صادرة عن ذات والانفعال كيفية واردة على ذات فالفعل يقال على التحقيق على هذا المعنى وهو الذى يقال انه مقولة من المقولات العشر ويقال على العموم اى على اى معنى صدر عن ذات

٧٦

مقابسة اخرى

قيل لابى سليمان النفس ليست قائمة بذاتها لانا لا نجد النفس الا فى الجسم المركب فقال هذا كلام من لا الف له فى هذا الفن وقد يعرف الشئ من ناحية اعتياصه ودقته وقد يعرف من ناحية بلادة الناظر فيه اذا قلت النفس قائمة بذاتها فانا نريد بهذا انه لا علاقة لها مع الجسم لا صلة ولا وصل ولا انفصال ولا تحريك ولا تصريف بل ان قلنا ان النفس فى الجسم فالمراد به ان قواها هى السابحة فيه او بادية عليه وان قلنا النفس قائمة من دون الجسم بذاتها فالمراد

بذلك ايضا انها غير ملابسة له كملابسة الدهن للماء ومدار الحيز على النفس والبدن على تصفية المعقول منه لا على تسليط الحس عليه ونقل التمثيل والتشبيه اليه الا تعلم ان الشئ في الشئ على فنون كالسياسة في السايس وكالسايس في السياسة وكالماء في الحب وكالحب في البيت وكالبيت في الفضاء فقد يلحظ الجوهر في الجوهر على خلاف ما يلحظ في الجوهر ويلحظ البسيط في المركب على شكل غير شكل المركب في البسيط ثم بين الذى قسطه من البسيط على قدر آخر فرق بالضعف والقوة وهكذا الحال في المركب والتركيب وبهذا الفرض الموهوم حصل بين الشبهين فرق غامض لا يقف عليه الا من توغل وتغلغل وحصل بين المتباينين شبه خاف لا يبتوا ليه الا من تخلل وتوصل ولهذا صار جل النظر والبحث بل الغالب العام انما هو في ايضاح الفرق بين متماثلين لشدة تماثلهما وايضاح الشبه بين متباينين لشدة تباينهما فليكن هذا من دعايم العلم عندك حتى يخف عليك طلب ما اشكل واستيضاح ما غمض وقد سلف في حديث النفس ما فيه شفا النفس وسيمر فيما بقى من الكتاب ايضا ما يكون نافيا لكثير من الشبه ودافعا للكثير من الاعتراض وهذا اللهج في حديث النفس انما هو لغلبة عشق البقاء الدائم والحيا الصافية من الكدر وكيف ما نعتنا النفس وانبأنا عنها فانها باينة الشكل والحال والظاهر والباطن والفعل والانفعال والحقايق والخصايص عما عليه البدن اعنى ان قلنا ان النفس في البدن على سعة عرض في مواضعها او قلنا مصرفة الجسم على سعة عرض التصريف في مواقفها او قلنا الجسم منفعل لها او بها على سعة عرض الانفعال واختلاف معان لها وبها فعلى جميع هذه الوجوه قد وضح ان شانها غريب وان سرها عجيب والنظر في امرها واجب واليسير مما يستفاد من حديثها كثير واني لاعجب ممن يظن انها تابعة للمزاج فهلا نامت عند نوم الانسان فان المزاج قد جبل على النوم بحسب الضرورة التى دخلت على الجسم من اليقظة الكادة والحركة الحادة بل الامر كان بخلاف ذلك فانها عند النوم عطفت على ما هو اخص بها واعشق لها فتصرف فيه واملت وانبأت عنه و انذرت فكيف يكون هذا الشان مع شرفه وجلالته وشدة التحجب مجهول القدر محمول على احسن الوجوه هذا ما لا يسمح به عقل له معرفة في الصواب بسبب صحيح او لصاحبه في مواصلة الحق رغبة تامة وكان ابو سليمان في هذا الموضع هذا ما جاء في الجواب وهو حسرة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقار والمنطقى والكلامى وجميع اصحاب النظر والقياس

مقابسة اخرى

١ قرئ على ابى سليمان من كلام اسرقلس اذا استولت المحبة على الاجسام التى منها تركيب العالم كان منها العالم الكرى واذا استولت الغلبة كان منها الاستقصات والعالم الكائن الفاسد فقال مفسرا انه اراد باستيلاء المحبة على العالم استيلاء القوة العقلية فانها هى التى تحيط بجميع الموجودات احاطة كلية وتولف بينها تاليفا نظاميا موفقا بين جميع اجزائها وهذا الفعل منها شبيه بتاليف الاكر بعضها مع بعض واحاطة بعضها ببعض حتى لا يتخللها شئ آخر قال ومعنى قوله اذا استولت الغلبة حدثت منها الاستقصات لتباعد الاقطار المتميزة بعضها من بعض المباين كل واحد منها غيرها وهذا تشبيه بالقوى الحسية

المتشد به المفارق بعضها بعضاً فيما يخصها من الاكدار معما يقع فيها من الخطأ والغلط والزيادة والنقصان وهذه صفة الاشيأ المتغالبة والمتنافرة هذا آخر تفسيره وليس به غنيٌ عن بقية بها ينكشف فضل انكشاف ويعترف من اجلها اكثر من هذا الاعتراف ولكني قد بلغت هذا الموضع من الكتاب ومالي طرف ولا سمع ولا ذهن لاحوال ان شرحتها اثرت الشماتة من العدو واعنت العدو على المحب وحركت ساكن الخصم الآن واساءت الصديق بعض المساة وان كان لا صديق والى الله اشكوا غربتي وكربتي ومعاداتي لمن لا يسمح ولا يوالي فبيده تفريج ما ألقى وتسويغ ما اشقى وهو المولى والمعين

مقابسة اخرى

٧٨

املى على ابو سليمان فيما املى السلب هو نفي شيء من شيء والايجاب هو اثبات شيء لشيء والحد ليس فيه حكم ولا اثبات شيء لشيء ولا نفي شيء عن شيء لكنه قول دال على امر دلالة مفصلة كما ان الاسم دال عليه دلالة مجملة مثال ذلك النقطة فانه سواء قلت شيء ما لا جزء له او قلت نقطة من قبل ان قولي نقطة ليس فيه حكم كذلك قولي شيء ما لا جزء له لا حكم فيه واما ان جعلت احدهما موضوعاً والاخر محمولاً حتى تقول النقطة هي شيء ما لا جزء له ولم يصير حينئذ الحد محمولاً على النقطة ويختلف دلالته عما كان عليه

مقابسة اخرى

٧٩

قال ابو سليمان ايضاً املاء الطبيعة اسم مشترك يدل على معان احدها ذات كل شيء عرضاً كان او جوهراً بسيطاً او مركباً كما يقال طبيعة الانسان وطبيعة الفلك وطبيعة البياض والحرارة معنى ذاته ويقال ايضاً على المركب منها ويقال على المزاج الاول اللاحق لكل مركب من الاستقصات ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد تستعمله الطبيب على المزاج الخاص ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج الخاص بشخص شخص من نوع الانسان واما بحسب النظر الطبيعي العام الذي يخص الفيلسوف الطبيعي فهو المعنى الذي حده ارسطوطاليس بانه مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هو فيه اولاً بالذات لا بطريق العرض وهذا المعنى يعم مستملي المركب اعني المادة والصورة فان المادة مبدأ للتحرك والسكون والصورة مبدأ التحريك والتسكين والاولى بهذا الاسم عند ارسطوطاليس الصورة دون المادة عند قوم من القدماء مثل المادة دون الصورة بحسب النظر الفلسفي وحد الطبيعة هو المعنى الذي يقال انها حياة تنفذ في الاجسام فتعطيها التخلق والتصور بالصورة الخاصية بواحد واحد منها وكانها القوة السارية من المبدأ الاول الى جميع الاشياء المنفعلة بها والقابلة لها الرابطة بينه وبينها وهي بوجه ما الصورة المؤتلفة من جزئي المركب التي هي غير كل واحد منهما على الافراد بحسب موضوع اللغة هي فعلية من الطبع ولذلك ما صارا اشبه بالصورة من المادة وان كان المطبوع هو المادة الا ان الصورة هي المطابقة وهي المعطية ذاتها وحاصلة فيها

مقابسة اخرى

٨٠

قال ابو سليمان ايضاً الموجود هو الذي من شانه ان يفعل وينفعل فكل ذات موجودة فاما ان تكون فاعلة فقط او منفعلة فقط او فاعلة ومنفعلة فالمنفعلة فقط هي المادة

الموضوعة لقبول الصورة والفاعل فقط هو المعطي صورة كل ذي صورة والفاعل المنفعل هو المركب من مادة وصورة يفعل بصورته وينفعل لمادته وقال ايضا كل موجود اما ان يكون بالقوة واما ان يكون بالفعل فقط واما ان يكون بالفعل من جهة و بالقوة من جهة فالمنفعل الذى بالقوة دائما هو الهيولى المستحيل المتبدل الاحوال بالصورة التى يعطيها الوجود بالفعل والموجود بالفعل دائما من غير ان يشوبه شيء من القوة هو الذات الابدية الوجود الذى سبب كل موجود بالقوة والفعل الموجود بالقوة تارة وبالفعل اخرى هي المركبات من المادة والصورة فان لها القوة من جهة الهيولى والفعل من جهة الصورة

مقابسة اخرى

٨١ وسمعت اباسليمان يقول الخير على الحقيقة هو المراد لذاته والخير بالاستعارة هو المراد لغيره والمراد منه ما يراد لذاته فقط وما يراد لغيره فقط ومنه ما يراد لذاته ولغيره والذى يراد لغيره بمنزلة الدواء والذى يراد لذاته فقط بمنزلة السعادة والذى يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة

مقابسة اخرى

٨٢ واملى ابوسليمان على جماعة كنت احدهم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وقد سئل عن الواحد فقال الواحد اسم مشترى يدل على معان كثيرة احدها وهو احقها بهذا الاسم هو واحد بالعدد وهو اما ان يوجد من حيث هو مطلق وموضوعها النفس من غير ان يوجد معه امر من الموجودات وهو بهذا الوجه يعنى المعاد وعلى هذا سواء اخذ واحدا او اخذت وحدة ويكون مبداء العدد الذى هو جمع الوحدات كما يقال فرس واحد وانسان واحد وهذا الوجه يعني المعدود وقال ويقال ايضا الواحد على ما هو واحد في الجنس كما يقال ان الانسان والفرس واحد في الحيوانية و يقال ايضا واحد بالنوع كما يقال زيد وعمرو واحد فى الانسانية ويقال ايضا بمعنى انه غير متجزء بمنزلة النقطة والان وعلى هذا الوجه ايضا يقال في الشخص انه واحد وانه غير متجزء من قبل انه جزئ فسد ويقال ايضا واحد في الموضوع وهذا الضرب يقال منه المتصل الذى هو واحد بالفعل وكثير بالقوة ومنه ما هو واحد في الذات وكثير في الحد كما يقال ان زيدا الكاتب اذا كان طبيبا او منجما او ذا صناعات كثيرة انه الطبيب والكاتب والمنجم واحد في الموضوع من قبل ان الذى هو كائن هو بعينه فاسد وكثير في الحد لان حد الفاسد خلاف حد الكائن ويقال ايضا على ما هو واحد فى المناسبة كما يقال ان النقطة الواحدة وقلب الحيوان وعين النهر وحلقه بالمناسبة معناه ان نسبة كل واحد منها الى ما له مثل نسبة واحدة ويقال ايضا على ما هو واحد في الحد وكثير في الاسم كما يقال ان الثوب والرداء والانسان والبشر واحد في الحد وكثير في الاسم وكذلك الخمر والخندريس وساير الاسماء المترادفة على معنى واحد ويقال ايضا على ما هو واحد في الاسم كثير في الحد بمنزلة الكلب والعين فان الكلب يدل على النابح والكواكب وحديدة الحداد وكذلك العين على العضو الذى يبصر به وعلى عين الذهب وعين الماء وعين الركبة واليق هذه المعاني ان يوصف به الموجود الاول ما كان واحدا بالموضوع وكثيرا بالحد والصفة اذ لا يجوز ان يكون واحدا بالعدد من حيث هو عاد ولا من حيث هو معدود اذ الواحد على انه واحد من هذا الوجه كانت الكمية لاحقة به والذات الاولى متعالية عن ان يلحقها او يحيط بها صفة

يلحق غيره من الموجودات المفعولة له وذلك ان القوة التي تلحظ شيئاً من الاشياء ومعانيها معلولة مفعولة ولحظها لها انما هو على سبيل ما يلحقه من الفيض وافادة الوجود من تلك الذات فتثبت عندها آنية ذلك فقط من غير ان يمكنها نقل شئ من احكامها واحكام ما يحيط بما هو دونها اليها والواحد بمعنى وهو ذات ماله معنى الوحدة وهذا يوجب الكثرة فاليق الاشياء التي يجوز ان يشار بها اليها من جميع معان الوحدة والاحاد التي ذكرناها هو الوحدة المجردة التي لا توجد من حيث هي في النفس فتكون حاكمة عليها بها ولا التي موضوعها امر من الامور الموجودة ليكون لها هو واحداً وعلى هذا الترتيب يصير الواحد الذي هو اول موجود يستحق ان يوصف بما هو القوة الاولى التي ذكرناها اول معقول للذات الاولى فيكون واحداً بتلك الانية التي يلزمها الوحدة التي وصفناها وهي الفعل فيكون الترتيب الجاري على النظام اللازم في مراتب الموجودات انها الوحدة المحضة وتاليها في الوجود المحض الذي هو المفعول الثاني وثالثها الانيات المحضات التي هي النفس من قبل انه حصل لها من الذات الاولى الوجود ومن الذات الثانية الصورة التي صارت بها كمالاً لكل موجود لما هو دونه ولما كان الانسان الذي هو الموجود الذي ينتهي اليه جميع القوى من الموجود الاول والثاني والثالث من الاجسام السماوية والاستقصات الكاينة الفاسدة والغاية التي اليها تبلغ القوى وتنحصر فيه صار الواحد المتكثر المقابل الواحد المحض قوى يسلك بما معه من جميع ما فوقه الى مواصلة كل واحد منها بحسب الرباط الذي بينه وبينها الى ان ينتهي الى المبداء الاول والذات الاولى فيفصح عنه بما لحقه في ذاته عبارة جسمانية بالمنطق الخارج ويشير اليه اشارة روحانية بمطابقة عقله المعقول الاول حتى يصير هو هو ويلحظ اثر الفيض الواصل الى تلك الذات فقدره مشاركته اياه وينفي عنه جميع الصفات التي نفاها عنه المفعول الاول ويقال لهذا الفعل منه توحيد اي تجريد تلك الذات عن جميع الكثرات التي تتعلق على الذوات ويحيط بها من الصفات

مسألة اخرى

٨٣

قال ابو سليمان اسم العقل يدل على معان وتنقسم تلك المعاني الى اقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل وذلك له ابتداء وانتهاء، واحدها وهو بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال وهو اشبه الفاعل والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانسان ويسمى هيولانيا وهو في نسبة المعقول والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد وهو في نسبة الفعل والعقل الانساني الذي هو بمنزلة المفعول هو في حيز القوة التي يحتاج ان يخرج الى الفعل وحده انه الشئ الذي من شان الجزء منه ان يصير كلاماً ومعناه ان في قوة كل واحد من هذه العقول الجزئية ان يدرك جميع المعقولات التي من شانها ان تدرك ولما كان الذي بالقوة يحتاج الى شئ موجود بالفعل يخرجه الى الفعل كان ذلك الشئ هو العقل الفعال اذا اشتبه بفعل في شبيهه المستفاد بمنزلة الفعل الملابس القوة والفعل جميعاً

مسألة اخرى

٨٤

املى علي ابو سليمان ايضاً فقال الخلاء يدل عند الاوائل على مكان عادم جسماً طبيعياً و اختلفوا في وجوده فمنهم من قال انه لا وجود لشئ ما هذه سبيله منهم ارسطوطاليس

واصحابه ومنهم من قال بوجوده ومنهم من قال ان هذا المعنى مبثوث في جميع العالم به يكون الانقباض والانبساط
للاجسام والتخلخل والتكاثف والثقل والخفة واللطافة والغلظ ومن اجله يكون حركة الاجسام اذ لا يجوز
ان يكون حركة في الملاء لما يلزم من مداخلة للاجسام بعضها بعضا ومنهم من قال ان وجوده خارج
العالم ولا نهاية له وسيسقيه الاجسام التي في هذا العالم فنعرض لها بهذه المعاني التي ذكرناها فاما
بطلان وجوده عنه من راى ذلك المعنى بعدا اعني له طول وعرض وعمق يحصره
ابعاد الجسم من قبل ان ينطبق طوله على طوله وعرضه على عرضه وعمقه على عمقه والجسم
انما يشغل هذا المكان بهذه الابعاد فقط لا بانه باردا وحارا وابيض او اسود او ثقيل او
خفيف اذا كان ابعاد الجسم يحتاج الى ابعاد المكان بما هي ابعاد فابعاد الخلا انما هي ابعاد
يحتاج ايضا ابعاده ثم الكلام فيه الى ما لا نهاية

مقابسة اخرى

٨٥ سمعت ابا سليمان يقول الفرق بين الكلي والكل ان الكل متاخر عن اجزائه والكلي متقدم على جزئياته
والفرق بين الاجزاء ان طبيعة الكلي بمنزلة الحيوان موجودة في كل واحد من اجزائه بمنزلة الانسان
والفرس واما الكل بمنزلة العشرة فطبيعة غير موجودة في كل واحد من اجزائه بمنزلة الثلاثة
والسبعة والفرق الثالث انه ان رفع من الكل واحد من اجزائه بطلت صورة الكل واما الكلي
فانه ان رفع جزئياته تبقى طبيعة الكل محفوظة بمنزلة الحيوان فانه ان رفع الانسان او اى
واحد من الحيوان لم يبطل طبيعة الحيوان

مقابسة اخرى

٨٦ قال املى على ابو سليمان الجوهر اسم مشترك يدل على سبيل العموم على الذات اى ذات كان جوهرا
كان او عرضا كما يقال جوهر الحرارة وجوهر البياض بمعنى ذات البياض وذات الحرارة وقد يقال
على الخصوص لا على الذات التي وجودها ليس في موضوع ومعناه انه ليس يحتاج في وجوده الى شيء
يوجد به او فيه فينبغي ان يفهم هذا المعنى من الرسم الذي وصف به وهو القائل الجوهر هو
الذي ليس في موضوع وهذا الصنف ينقسم اقساما بحسب معاني احوالها في الوجود فيقال منه بسيط و
منه مركب وهذه القسمة بحسب الوجود الطبيعي ويقال منه هيولى ومنه صورة وهذا بحسب
حالها في ذاتها واضافة بعضها الى البعض ويقال منه كاين وفاسد ومنه غير كاين ولا فاسد
وهذه القسمة بحسب حالها فيما يقبل من التاثير ولا يقبل ويقال منه سرمدي ومنه حادث
وهذا بحسب امتداد وجودها في الزمان ويقال منه محسوس ومنه معقول وهذا بحسب
حالها عند الادراك ومنه اول وهو الشخص ومنه ثان وهو الاجناس والانواع وهذه
القسمة بحسب اعتيادنا في باب العموم والخصوص وهذا الصنف هو الذي الواحد منه
بالعدد قابل للمتضادات بتغيره في ذاته على ان في هذا الصنف شكا وهو هذه الاشخاص
العلوية اعني الافلاك والكواكب هل يصدق عليها الرسم ام لا فان من الناس من راى
ان هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية ومنهم من قال انه يخص الجواهر الشخصية
المركبة من المادة والصورة التي تحت الكون والفساد

٨٧ مقابسة اخرى

سمعت ابا سليمان يقول رأيت فيما يرى النائم كانى اناظر ابن العميد ابا الفضل فى مسائل من السماع الطبيعى وبقينا نقسّم الموجودات فقلت الموجود ايضا ينقسم بنوع آخر ان يكون اما خفى الذات خفى الفعل او ظاهر الذات ظاهر الفعل او خفى الذات ظاهر الفعل او ظاهر الذات خفى الفعل ثم قلت الاوّل هو البارى جلّ وعزّ والثانى الحرارة والبرودة وما اشبههما والثالث الطبيعة والرابع الكواكب اعدنا هذه المقابسة على الشيخ المجتبى فقال هذا والله الحكمة وفصل الخطاب قسمة مستوفاة وحقيقة ذات برهان وكلمة ما عليها مزيد

مقابسة اخرى

سئلت اباسليمان عن البلاغة ماهى وقلت احببت ان أعرف قولا على نهج هذه المطابقة لان لهم كتاب والخطابة فى عرض كتاب لفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ واللفظ طبايع الكلمة والكلمة موصلة ومفصّلة وخواتيم احق ما اعتمد فقال هى الصدق فى المعانى مع ايتلاف الاسماء والافعال والحروف واصابة اللغة وتحرّى الملاحة المشاكلة برفض الاستكراه ومجانبة التعسّف فقال له ابو زكريا الصيمرى قد يكذب البليغ ولا يكون بكذبه خارجا عن بلاغته فقال ذلك الكذب قد البس لبس الصدق واعير عليه حُلّة الحق فالصدق حاكم وانما رجع معناه الى الكذب الذى هو مخالف لصورة العقل الناظم للحقايق المهذب للاعراض المقرب للبعيد المحضر للغريب فقلت لابى سليمان فهل بلاغة احسن من بلاغة العرب فقال هذا لا يبين لنا الا بان نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق ثم نضع القسطاس على واحدة واحدة منها حتى نأتى على آخرها واقصاها ثم نحكم حكما بريا من الهوى والتقليد والعصبية والمين هذا ما لا يطمع فيه الا ذو عاهة ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من اهلها اعنى من افاضلهم و بلغائهم نعلى ما ظهر لنا وخيّل الينا لم نجد لغة كالعربية وذلك انها اوسع مناهج والطف مخارج واعلى مدارج وحروفها اتم واسماؤها اعظم ومعانيها اوغل ومعاريضها اشمل ولها هذا النحو الذى حصته منها حصّة المنطق من العقل وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا وصحب اذهاننا من كلام اجناس الناس وعلى ما ترجم لنا ايضا من ذلك ولولا ان النقص من سوس هذا العالم و نوسه لكان علم المنطق بهيئة الطبيعية بالعربية وكانت سوق العربية الى الطباع اليونانية فكانت المعانى طباقا للالفاظ والالفاظ طباقا للمعانى وحينئذ كان الكمال يخط اليه عن كثب والجمال يصادف بلا رُعب ولا رَهَب وقال ايضا اصل الدور بعد الدور والكور بعد الكور ينسيان هذا الذى شمناه لقوم يكونون بعد ما فات العالم مشتاق الى الكمال ومشتاق الى الجمال عندهما يكون الغاية واليها تقف النهاية وقال ومما يوضح هذا المشكل ويبيّن هذا المجمل صورة العالم فى كل وقت وساعة على حال لم يكن عليها قبل ذلك بما يفيض عليه ويسرى اليه من الحق الاوّل والوسايط الاوّل بالجود الاعظم والاشمل واذا كان للعالم ولكل ما فيه صورة محدودة وشكل فاضل يصير فى كل وقت و لحظة الى هيئة لم تكن عليها من قبل فهل ذلك الا لان العالم متوجه نحو الكمال والجمال بيانهما حال فحال ثم يكون له بجود الحق الا و لمبتدا به تجدد ويسوقه ويمتد عليه نقلته من غير انفصال بتوسط ولا نحو امر يعرض وهذا المبدأ مفروض والا فالحال متصلة اتصال الواحد

بالواحد من حيث يلحظ ما هو واحد واتصال للوحدة بالوحدة من حيث يلحظ ما له وحدة وقال ايضاً وهو الذي اشرنا اليه العالم انما هو من ناحية قبوله وانفعاله وما هو بسبيله ولا فالجود الاول هو الجود الثاني والثاني هو الاول والى ما لا غاية معلومة ولا نهاية موهومة الا ان هذا لايق بالاله الذي له ينبغي وبه يليق فاما العالم فبحلاله وحسنه وكماله وتمامه تضاف اليه وملحوظ فيه ولمادق كلامه واعتاص لفظه وتسلسل ايماؤه وسقط عن القائي جل ما كنت حويته ودونت الخط لي ولمن يرى رأيي ان لا اخليها امكن من ذلك فاثبت على ما تجده من الفتق والرتق والرقع والخرق وانت ابقاك الله اولى من تدارك خلله وستر خلله وارجو ان لا تخرج من حسن الظن بي ولا تغلط الفراسة فيك ولا تدخل في غمار من لا يساوي عيانه خبرك ولا يلحق كله بعضك كان الله لك ومعك وهو حافظاً لك ودافعاً عنك ومونساً بك

مقابسة اخرى

نذكر في هذه المقابسة اشياء سمعناها من ابي سليمان في مجالس الانس ان لم يكن في صدد الفلسفة فانها لا تخرج من جملتها ولها فائدتها التي تحتاج اليها ولا يسعني في الاغلب عن الوقوف عليها قلت له يوماً كيف اصبحت قال مالك الظاهر مملوك لا اقعد عدو ولا ولا البذ الا عفواً ان حزنت حزنت طباعاً وان فرحت فرحت خداعاً ان اناخالطت ذممت الناس وان اعتزلت اجتلبت الوسواس ان بحثت دهشت وان قدرت استوحشت هذا مسائي وصباحي وعليه غدوي ورواحي واشوقا الى وطئ ذاك البساط واكربا من عقد هذا الرباط يا لها سعادة لو وجدت بالجد والتشمير وزهد من اجلها في النقير والقطمير وهذا كما ترى

وحدثنا يوماً قال اجتزت بالري متوجهاً الى سجستان سنة من السنين وكان بها ابو جعفر الخازن فزرته قاضياً لحقه وسنته ولما انصرفت اتبعني برقعة بصحبها ما يروى في الرقعه بسم الله الرحمن الرحيم من استحقر في قضاء حقوق الاخوان ما يبلغه عاجل الاستطاعة فقد عرضها للتقصير والاضاعة لان الايام لا تكاد تسعف بكل المراد ولا تزول عن عادتها في الفساد

وجرى يوماً بحضرة ابي سليمان حديث احكام النجوم فقال من طريق ما ظهر لنا منها انه ولد في جيرتي ابن نباتة فقال لي لو اخذت الطالع فاخذت وعرضته على علي بن يحيى فعمل وقوم فقال لنا فيما قال هذا المولود يكون الكذب الناس فتعجبنا منه فدارت الايام حتى ترعرع الغلام وبلغ وخرج شاعراً كما ترى معدوداً في عصره ثم انشدنا له مستحسناً

وتاخذ من جوانبنا الليالي ... كما اخذ المساء من الصباح
اما في اهلها رجل لبيب ... يحس فيشتكي الم الجراح
ارى التشمير فيها كالتواني ... وحرمان العطية كالنجاح
ومن لبس التراب كمن علاه ... وقد تخدعك انفاس الرياح
وكيف يلذ مهجته حريص ... يرى الارزاق في ضرب القداح

ثم انشد تمام ابن نباتة فاقرأها وقلت لابي سليمان يوماً انشدنا ابو زكريا الصيمري عن سمكة القمي عن ابن محارب الفيلسوف لنفسه صدفت عن الدنيا على حول لدنيا ولا بد من دنيا لمن كان في الدنيا وادفعها عني بكفي ملالة واجذبها جذب الخادع بالاخرا فقال هذا كلام رقيق الحاشية حسن الطالع مقبول الصورة يدل على ذهن صاف وقريحة شريفة واختيار محمود وذهن ناصع ورأي بارع ثم انظر الى قول شيخنا ابي زكريا يحيى بن عدي فانه

انشد يوماً للخالدي الكاتب ÷ لست ادرى اطال ليلى ام لا ÷ كيف يدرى بذاك من يتقلى ÷
لو تفرغت لاستطالت ليلى ÷ ولرعى النجوم كنت مخلاً ÷ فقال لم يجى بعد ايام قد عارضت الكاتب فى قوله ثم انشد ÷ ان يكن لا ادرى الا المخلا ÷ لست تدرى أن كنت أم لا ÷
او تكن داريا بذاك هلا ÷ كنت تدرى اطال ليلك ام لا ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ قال
وانقلب اصحابنا عنه بالضحك والتعجب نظر كيف يسلب الفاضل توفيقه فى وقت معركة
الناقة بالعلم ولم ينشدنا ابو سليمان هذه ليحيى بن عدى تهجما عليه وكذلك انه قال قد يدل الشعر
على ركاكته فى هذا الفن والستر عليه احسن بنا وكان ابو سليمان يستحسن للبديهى قوله

لا تحسدن على تظاهر نعمة ... شخصاً تبيت له المنون بمرصد
اوليس بعد بلوغه اماله ... يفضى الى عدم كان لم يوجد
لو كنت احسد ما تجاوز خاطرى ... حسد النجوم على بقاء سرمد

فقال ما افلح البديهى قط الا فى هذه الابيات وصدق كان عسر الشعر سريع القول
فاما ابو سليمان فانه كان يقرض البيت والبيتين وينشدنا ذلك وينهى عن نشره عنه ويقول من تحمل
لضعفه قوة غيره تحمة وجسارة فقد استجر الى نفسه فضيحة وخسارة فمن قوله وانى عزوف
النفس عمن يخونني ومعطى قيادى للحبيب المؤالف ÷ اشاطره روحى ومالى واتقى ÷
حذاراً عليه من رياح عواصف ÷ فان خان عهدى لم اخنه وان اكن ÷ على ما ارى من غدره بمواقف
واترك عقباه لعقبى فعاله ÷ ففى عقب الايام كل التناصف ÷ ومن قوله ايضاً
بكيت على مفارقة الشباب وايام البطالة والتصابى ÷ وايام التغازل والدلال وايام التجنى والعتاب
مضت فكانها ما اتولت معقبة نقيساً بالعقاب لتبلى كل ملبوس جديد وتمزج كل معسول بصاب
بياض الشيب اعلام المنايا نشرن نذيرة لذا بالذهاب هو الكفن الذكيبى وشيكا ويأتى بعده كفن التراب
ثم قال الا اقلال من هذا الباب اولى بنا فلسنا من اهل هذا الفن وسمة التقصير لا يحتج علينا
ودالة على نقصنا وان خفى ذلك بنظرنا لان الانسان عاشق نفسه وليس فى مواخذتها
على تقصيره ثم قال لى انشدنا ما سمعنا منك لبعض الالهيين فانشدته
لما تجاوز حتى ÷ وفات مسى ولمسى ÷ ولم ازل اتقرا ÷ د ليل لهما جنسى فلم يكن الى الحكمة ولا يعوننا الى
رجعت نحوى نشرها ÷ يغيب عنى حسى ÷ فلاح تحت ضلوعى ÷ ما قد من قرن شمسى ÷ فقلت هذا طريق من غير شك وحدس
وغصت حتى تجلى ÷ واشرقت منه نفسى ÷ فقال ابو سليمان ما احسن الادب والحكمة اذا كان
هذا من ثمرها وسمعت ابا سليمان يقول للجرجانى الكاتب وكان يحدث نفسه بالوزارة ايها الرجل
ان الدنيا نار ذات دخان فلو سلوت عن صلائها لدخانها لكان اجدى واسلم فقال افلا
اصبر على دخانها لانتفع بضيائها واستمتع بصلائها فقال ما احسن هذه المعارضة لو كنت فى
الاستمتاع بضيائها على ثقة ومن الانتفاع بصلائها على يقين وكنت اذا ادركت ذلك دام
عليك وصفا لك فاما والعادة جارية بخلاف قولك وبمثل اقتراحك وتوهمك فلا فقال
الجرجانى والله الموفق وهو حسبى فقال ابو سليمان حكم الكتاب واصحاب الخطابة مخايل
تصدق قليلاً وتكذب كثيراً ليس لها رسوخ فى القلب ولا ثبات فى العقد فلما قتل الجرجانى
قال ابو سليمان مسكين ذلك الرجل صبر على دخانها الى ان اختنق وتعرض لصلائها حتى

احترق ثم قال اللهم لا تكلنا الا اليك ولا ترغبنا الا فيما لديك ولا تعرضنا الا لطلب ما عندك انا لعجزة عن قدرة نطلبها منا وضعفة على قوة ندعيها فينا ارنا الحق حقا ثم هيئنا لاتباعه وارنا الباطل باطلا ثم وفقنا للاعراض عنه يا من يملك العيان والخبر ويريناهما العجايب والعبر قد قوي راى ادم الله توفيقك ان لا تكون هذه المقابسة فى هذا الموضع لانها تأكيد عن اخواتها المواصي لكنها على حال قد اخذت بنصيبها من الحسن ولعلها تفيد بعضا لفايدة قيل لابي سليمان لم قيل اذا اجد السؤال جد المنع فقال لان الحال يلتبس بشئ كالاغراء والاكراه والالجاء فيقع للمسئول انه قد ظلم وان السائل قد اعتدى فاذا استقر هذا فى نفسه وتردد على باله لم يجد فى عقابه شيئا اقرب ولا اخصر من منعه ليكون ما اتاه من جنبته من جنس ما اتاه السايل من جنايته وهذا حفظك الله وان لم يكن من سراة الفلسفة ومن بحبوحة الحكمة ومن غامض الفوائد كان يجرى مع اخوانه فى مجالس هولاء الاعلام لسبب من المحفظ ولم يعرض الفائدة فكرهت ان لا يكون لها رسم فى عرض ما رويناه وهذا الاعتذار منى قد تكرر ولولا سوء ظنى بالزمان واهله لما رايت ان عادته تنفع وتكريره يفيد والسلام

مقابسة اخرى

٩٠ هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام ابي الحسن محمد بن يوسف العامري علقت وسمعت اكثرها منه وهي التى مرت فى شرحه لكتابه الموسوم بالنسك العقلى ويصلح ان يأتى عليها هذا الكتاب فاتيت بها على وجهها قصدا لتكثير الفايدة واخذا بجماع الحزم قال اعرفهم لا بالنفس بل بعيان النفس واشبههم لا للكمال بل لكمال الجمال واطلبه لا للاتحاد لكن لاستخلاص الاتحاد وقال ايضا لن يوثق بالصديق بل بميزان الصدق ولن يخاف السبعية بل كلب السبعية ولن يهجر الكذب بل لآفات الكذب وقال انظر من جعلك مريدا فاجعل مرادك وجود الانتساب الحق من هو اولك واخرك وقال وزن النفس بالنفس هو العبارة بالنفس وردع النفس بالنفس هو العلاج للنفس وعون النفس بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس وعشق النفس هو المرض وقال سل واهب العقل اضاءة العقل ولاحظ الحقايق بنور الحق وقال ابدا بالاول فى ايثار الاولى واعرب الاولى بايثار الاول وقال مبدأ وصال الاحسن هجران الاقبح ومنشو الراى الاقوم وجدان الاصح وقال المختار الاول عاشق للاحسن والمقدم الاول مريد الاتقن وقال امن المؤنة اشرف القنيات واحلام العمل اشرف للاعمال وعداوة الشيطان اشرف من المجاهدات والتهوي لاجابة الداعي اشرف الافعال وتمييز البقا من الفنا اشرف من النظر وقال ذمام الصحبة للفضلاء من السادة يروض الطبع على الحميد من العادة واحالة الفكر فى نظام الخليقة يحلى النفس بجمال الفضيلة وقال ليس اللطف فى تزيين الشئ بل اللطف فى تانيق التزيين وليست المهنة تادية الصناعة بل المهنة سهولة التادية وليس الكمال المطلق اقتناء الفضيلة الانسية بل بما يتبع اقتناءها من الجود المزين لها اجل النعم هي الاستقبال بشكر المنعم واشرف المواهب هو الفوز بالخلوص لرب

المواهب ومن لم يؤيد من نفسه باحكام الحكمة وبان يعقل العقل فقد صيرهما حجة عليه
لا له الفائز بالاشرف اما ان يوجد مستوليا على المشروف واما ان يوجد مستغنيا عنه
والمقتصر على المشروف ان يسقد بالاستيلاء على الاشرف او يستعين بالاستغناء عنه
الوضيع اشد حالا من الخسيس فان الوضيع مذموم في حال دون حال والخسيس مذموم
على كل حال اشرف العبيد اخلصهم للمولى واشرف افعال العبيد ارضاها عند المولى
اشرف اغراض العبيد هو ان يصفو الى المولى واشرفهم العبيد ان يتحد بالمولى من خصايص
المذلة سلوك النفس الى النقص بعد الفوز بالتمام ومن خصايص التشبه بالضعاف
مع وفور الطاقة الحكمة مقتضية لوجود العقل والمعانى الثلثة فى الافلاك شئ واحد
وهو هو ذات الحق فاما فيمن دونه فمختلفة فى حدودها وان اتحدت فى وجودها
النفس العزيزة هى التى لا تؤثر فيها النكبات والنفس الكريمة هى التى لا تثقل عليها المؤونات
مقابل العزيز هو الذليل فى التلون فى احوالها لسرعة علمه ومقابل الكريم اللئيم
والرضى من افعاله بالخلل عامة مراتب العبودية بحسب القوة العملية اربع اولها مرتبة
المتقين وهى من علايق الخوف والثانية مرتبة المحسنين وهى من علايق الرجاء والثالثة
مرتبة الاولياء وهى من علايق المحبة والرابعة مرتبة الصالحين وهى من علايق الاستقامة
صورة لكل واحدة هجر الملاذ ورات مدرجة فى الخيرات والتمسك بالخيرات محصنة
عن الهفوات والامن من الهفوات مرفعة للمقامات ومعالى المقامات مجمعة للسرور
واللذات متى لم يجلب الموانع فقد يسر الجوهر الجسمانى نحو كماله الاخص العلم الصحيح
ابلغ من صلاح العمل السديد من الاعتبار بالعكس فان الرياسة والتدبير
اليه فاتحة للسعى فى طلب المولا ترك جميع من هو دون المولى وتمام السعى فى طلب
المولى الاستغناء عن جميع من هو دون المولا متى جاوز البعض لبعض فقد استغنى
الجميع عن الجميع ومتى اتكل البعض على البعض فقد اضطر الجميع الى الجميع بدو
التعاون افتقار وتمامه استغناء وبدو التواصل استغناء وتمامه افتقار متى
استتبت الحرفة على هذا العرض الحقيقى فقد سلم المحترف بها عن وصمة التقليد فيها
فراق العبد للمولى يكون على صور اربع وهى القطع والطرد والحسر والحجب نبعات الخاطر
النفسانى وان عرض منه التادى الى الحرص فلن يجوز ان يعد مردودا فان لكل واحد
منهما مقصودا اخر عظيم الجدوى ذالك له ومثله الحال من كافة ما ينبعث فى النفس
كما ان المتدين يفتتح تدينه من درجة التقليد ثم يترقى منها رويدا رويدا الى معلوم
التحقيق ومهما اقتصر من تدينه على الرتبة كان مذموما وان لم يجد فى البداءة
مختصا بالكنه الحال فى اللذة والكرامة والثروة والرياسة المعونة والحرمة قد تقع
بحسب القرب وقد تقع بحسب تقريب مراتب التقريب بحسب العمل يفتقر الى الات وهى
الاتصال والتفويض والتوبة ومراتب التقريب بحسب العمل تنقسم الى ثلاث مراتب
وهى الخدمة والطاعة والعبادة وقال الحال لا يجب ان تكون حال الصبى فى الوقت
لا يجب ان يكون قريبا من احوال الصبا والطبيعة لا يجب ان تكون ذات افعال او ذات

الخلال والسبب لداعي لا يجب ان يكون اما الثروة واما اللذة واما الرياسة واما المحمدة بل يجب ان يكون اما شرف الفضيلة او تحصيل السعادة والرفقاء لا يجب ان تكون سبعيين وبهيميين وقال النعمة الموضوعة في غير موضعها قد تحسن بالعرض لجهات ثلاث وهي المحبة والغيرة والمدرجة افعال القلوب اربعة اولها الزيغ ثم الرين ثم الغشاوة ثم الختم وعلاجها الايمان والندا واليقين بالاخرة والتصديق للرسالة اخلال الانفس يكون على اربعة اوجه اولها الكسل ثم الغباوة ثم الفجة ثم الانهماك وعلاجه استشعار التقوى والمحافظة على العبادات الاتفاق في سبيل الانفس اعلى النفس همًا هو ان لا يفرح بشئ من لسنخ كفرحه بصحته مالك الملوك وهو الحال الفصلى للطبيعة الانسانية اختصاص كل موجود بفعل له على حدة يحقق ان وجدانه ليس بجيب والحسار العقل عن ان يتوهم لذلك الفعل موجودًا اخر اصلح له منه تحقق له انه ليس بناقص الذات اذ قد تفرع كل من الموجودات بفعل له على حدة لمن اين تعرف بالذى يصدر عن مجموعها من الفعل المختص به من وجد مجموعًا ان ينتفع لبسياقه الشئ الى الكمال اذا لم يحفظ علته ولن ينتفع بحفظ علته اذا لم يصر ذاته بنفسه مستحفظا لطبائعه على اخص كماله ما لم يصر امنا في سربه من طغيان الاثر المغيرة الاعندمه ولن ينتفع بالامن عندمه الا اذا لم يكن الامن ابديًا على الاطلاق ان شرف الانسان هو الفوز بالسعادة العظمى ونيل المنزلة عند ربه ومن الواجب ان يكون عرض الصناعة المعينة بشان الانسان بما هو انسان اعنى النسك والزهد هو تحصيل السعادة العظمى والمنزلة عند الله تعالى وكان الشخص الواحد من اشخاص الناس غير صالح لاستثبات صور الموجودات كلها في ذاته فيصير بذلك عالما على حدته حسب ما في اشخاص الحيوانات للاخولما امتنع ان يبقى فناء ابديا ويخلفه الاخر مكانه از دحام الصور المتقابلة في الجوهر النفساني ليس بممتنع وازدحام الصور الكثيرة الى ما لا يتناهى ليس بموه فورود التلاشي عليه اذن ليس بواجب وحصرها اذ انحلت بالابديات الكلية بطباعنا الخاصية غير بعيد ان يكون الكمال المطلق هو ان يصير جوهره بحسب السعي الاختياري حكيما قادرًا جوادًا وهو يصير العبد ربانياً بالحقيقة لما جعل الشخص الحيواني توليد المثل لبقاء نوعه فقد اهدى بالطبع المتمم لغايته وبالعكس لما حرم الكمال الاشرف بنفس جبلته قصر طباعه عن المتصور لم يرسم فلو ضاهاه الانسان في هذا الكمال لشاكل في القصور عن المتصور اذا سعد العبد بوصال مولاه على الحقيقة فقد صارت دنياه اخرته وموته حياته وفقره غناه ومرضه صحته ونومه يقظته وضعف قوته وهمه فرحه واذا شقى بالحجب عن مولاه فقد انقلب الامر بالضد مراتب العبودية في العيشة الدنياوية على الحقيقة اربع اولها الاهتمام للسعادة ثم السلوك اليها ثم الحصول عليها ثم الاستمساك بها وفي العيشة الاخروية تثنيان وهما الاغتباط بنيلها والاغتباط بالامن من زوالها كما امتنع عليه ابراز فعله المختص فقد صار وجوده على ما هو عليه مضاهيا لعدمه وتلك هي خساسة ذاته صلاح الواحد ينزل منزلة الملك وصلاح الجميع ينزل منزلة الملك وحيث وجد الملك وجد الملك ولا ينعكس فاذن الانسان لن يتشرف بان يصير مالكا بل يتشرف اذا صار ملكا وفعل المالك حفظ القنية على صورتها وحفظ الملك حفظ مراتب القنيات على درجاتها متى علم ان الشئ مما يجب ان يعلم وانه

ليس تعلم فقد صار المفعول عنه محروصاً عليه وذلك هو مفتتح السعي وهو في الحقيقة اكثر من نصف جملته كما انه ليس يمكن العقل الصريح الى معرفة المبدأ القريب من الشيء دون ان يعرف المبداء الاول على الاطلاق وما بين المبدائين من الوسايط كذا ايضاً لا تهتدأ النفس القوية على معرفة الغرض القريب للشيء دون ان تعرف الغرض الاخير على الاطلاق وما بين الغرضين من الوسايط ان كان الاول المحض والاخر المحض بالذات شيئاً احداً وان اختلف لوصفان عليه بالاضافة فبما يجري ان يكون المبدأ والغرض المحض غير مختلفين وبالذات وان اختلفا بالاضافة التعرف للذات بحسب لمنتهى اربعة وهي ان تعرف لماذا هو وكيف السبيل اليه وما الذي يحتاج اليه في التوجه نحوه وما الذي يعوقه عن بلوغه مراتب التعرف للذات بحسب لمبتدأ اربعة وهي ان تعرف ماهو ومن جاء به ومن داعيه وكيف مجيئه ومن اجل ان المستخدم قد يضطر الحال الى ستصلاحها واستحفاظها فيصير فعله فيهما عند ذلك شبيهاً بفعل الخادم لها في الظاهر فليس بعجيب ان يعرض منه الغلط ويبدو من جهته الانخداع من سوس العقل الصريح التفرقة بين الحسن والقبيح ومن سوسه ايضاً السكون عن الحسن والالتفات عن القبيح لان الشيء متى كان مفرطاً في الحسن فانه يبهر العقل الجري فيحتاج منه الى التدريج اليه والتمرين عليه خصوصية هذه الصناعة رياضة الانفس الناطقة على تأدية الافعال البشرية بصور مستصلحة لاكتساب الزلفى عند خالق البرية لن يكفي ان تكون الغاية محدودة في نفسها موجودة بذاتها بل يجب مع ذلك ان تكون متصورة عند القاصد لها على ماهي عليه وان تكون ايضاً متشوقة محبوبة عنده يجب ان تتعرف من درك الغاية اهو من جملة النعم ام ليس هو من جملة النعم وانه ان كان من جملة النعم اهو مما ينال بحسب الاتصال ام بحسب التعويض ام بحسب المثوبة هذا آخر التعليق عنه نضر الله وجهه وقد كان قادراً على هذا الجنس من الكلام لطول رياضته وكثرة فكره فيه مع سيرة جميلة ولقد ورد بغداد سنة اربع وستين وثلثمائة في صحبة ذي الكفايتين فلقي اصحابنا البغداديين عنتاً شديداً ومناكدة وذلك ان طباع اصحابنا معروفة بالحدة والتوقد على كل طارئ من غير بلدهم وذلك الكلف جالب التنافس مانع من التناصف وهو خلق تابع لهواهم وتراهم قد احتاجوا من اجل ذلك الى علاج شديد ومقاومة طويلة وقلّ من يتخلص الى غاية هذا الباب لغلبة الطباع وسوء العادة وشرارة النفس والحكة على النفسهم اظهر منها على افعالهم ومطالبتهم بالواجب لهم اكثر من بذلهم الواجب عليهم وهذا باب وان كان فاشياً في جميع الناس فكانه في اصحابنا افشاء وهو من جهتهم اعدا وهو على ذلك لا يعشر واحداً منهم اذا برز في فن عشرة من غيرهم واذا كان الكمال عزيزاً في النوع كيف لا يكون عزيزاً في الواحد نسئل الله خلقاً طاهراً وعملاً صالحاً وعلماً نافعاً

مقابسة اخرى

٩١

دونك في هذه المقابسة التي تقدمت فنون من الحكمة وانواع من القول ليس في جميعها الاخذ النفس الرواية عن هؤلاء الشيوخ وان كنت قد استنفدت الطاقة في تنقيتها و توخي الحق فيها بزيادات يسيرة لا يصح منها او نقص خفي لا يبالي به وانا اسئلك ان تأخذ منها ما وافقك وتدع على ما بار عليك ولاجل ما سلف من القول في المسائل ما اجبت

ان احكى لك حدودًا حصلناها على مر الزمان بعضها اخذ من اقوال العلماء وبعضها لقط من بطون الكتب بعد ان عرض الجميع من يوثق بصناعته ويرجع الى نقده واختياره فاشركني في فوايدها وهب لى من بعض استحسانك لها وتغمدني بكرمك وفضلك اللذين لا يستغني مثلى عنهما و استقرانى نقلت هذا الكتاب والدنيا في عيني مسودة وابواب الخير دوني منسدة بثقل المؤنة وقلة المعونة وفقد المونس بعد المونس وعثار القدم بعد القدم وانتشار الحال بعد الحال هذا مع ضعف الركن واشتعال الشيب وخمود النار وافول شمس الحياة وسقوط نجم العمر وقلة حصول الزاد وقرب الرحيل والى الله التوجه وعليه التوكل وبه المستعان ولا موفق غيره ولا معين سواه وفي الجملة اسئلك بالملح الذى يتقاسم بره الفتيان ظرفًا ان تعذرني تقصير تعثر عليه فوالله ما شرعت في تحبير هذا الكلام وايراد هذه الوجوه الا شغفًا بالعلم لا ثقة ببلوغ الغاية وانت اولى من عذر كما انى احق من اعتذر وهذا كله يجرى في مجالس مختلفة بين مشايخ الوقت بمدينة السلام ورايت ان اخلائي لى بتحصيل على اى وجه كان استدمن اخلائى بتقصير ميز في جملة ذلك فتعرضت له على علم منى بقلة السلامة على ان من اخاعلى بحده وكشر لى عن نابه وجعل صوابي خطاء وخطائي فيه عارا احتملت وصبرت وتغافلت وعذرت واذا كنت في جميع ذلك راوية عن اعلام عصرى وسادة زماني فانا افدى اعراضهم بعرضي واقى انفسهم بنفسي وانا ضل دونهم بلساني وقلمي ونظمي ونثرى وارجو ان لا يخرج عند التصميم وضيق العطن عند الحمام الى مفارقة الادب والى ما يقبح الاحد وشرفا قول قولا يورث الندامة وابرز بروزا يجلب الملامة ولست انا فسر احدا على هذا الحديث الا بعد ان يرسم بقلمه في هذا الفن عشرة اوراق يسلم فيها كلا لسلامة وتتراءى فيها من كل قالة وهذا ما لا يتطاول له كل احد ولا يعثر به كل انسان والطعن بالقول سهل من بعيد والعنف خفيف على لسان كل عايب والتعقب مركز في كل وقت ولكن التراجم والا بقاء احد ولا ان تطلب التاويل في سهو بعرض احسن من ان يستبان الخلل فيما لعله يتسبب على ان الحسنى لا تعدم زاما كان المحسنة لا تعدم ملاما والسلام والمقابسة التي من قول العامرى قد جعلناها مقصورة على حدود حصلناها وفي نثرها فوائد جمة ولو كان الوقت يتسع لوصلنا جميع ذلك بما يكون شرحا له وشاهدا معه واذا عاق ما لا اخفاء به من المكروه والعلم في النفس والحال في الاخوان فلا بد من الرضى بالممكن والنزول عند التسهل والقناعة قال ما حد الكلام الجواب انه مولف من صوت وحرف ومعان يقال كيف يحصل الجواب بجذب الانسان الهوا بالحركة الطبيعية وحصره في قصبة الرئة ودفعه ومصاكته بالحركة الارادية للهواء الخارج بحروف يجذ بها الة اللهوات وهذه مركبة دالة بحروف اتفاق واتساق على معانى فكر النفس بالمنطقية بقدر الهواجس الطارية والخواطر السانحة والصواب المؤيد من العقل والاثر الحاصل في القلب يقال ما الشعر الجواب كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقواف متواترة ومعانى معادة ومقاطع موزونة ومتون معروفة يقال ما الغناء الجواب شعر ملحن داخل في الايقاع والنغم

الوترية منعطفة على طبيعة واحدة ترجع متشاكلة اليها يقال ما الايقاع الجواب نقل يكيل زمان
الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة يقال ما اللحن الجواب صوت بترجيع خارج
من غلظ الى الحدة ومن حدة الى الغلظ بفصول بينة للمستمع واضحة للطبع يقال ما النغم الوترية الجواب
استحالة الصوت من نسبة شريفة الى نسبة غير شريفة المقاطع ومواضع استراحات الانفاس
مع تمام دور من ادوار الايقاع يقال ما الطنين الجواب هو رجوع الهواء من جرم المقروع
الى جزء منه وذلك ان الجرم العميق الاملس اذا قرع بشيء نبا عنه ثم عاد اليه كالكرة
اذا ضرب بها الارض وكذلك الصدا من المتكلم يقال ما الجدل الجواب مباحث مقصوده
بها ايجاب الحجة على الخصم من حيث ان يقوى من حيث لا يقدر ان يدفع يقال ما المحال
الجواب الجمع بين المتباينين فى شئ ما فى زمان واحد وجزء واحد واضافة واحدة وسمعت
ابا سليمان يقول المحال لا صورة له فى النفس فقيل له البارى فى هذا ما يقول فيه المحال
هو فقال لا لان عليه شهادة من العقل فبشهادته ثبتت انيته وبارتفاع صورته
اتفقت كيفيته وهذا غير التوحيد وقد مر كلام فى التوحيد عن هذا الشيخ وعن غيره
على سعة اطرافه وضيق عباراته فلا وجه للاطالة فى هذا الموضع ولولا ان هذا القدر
كالبيضاء ما اقترن به واشتمل عليه لكان تركه اولى وعلى كل حال ففيه تجديد لهذا
الباب وبحث على ما تنزع النفس اليه من هذه الحقايق وليس من فصل فى هذه الرسالة
الا وهو محتمل بضروب من البيان واصناف من القول ولكن الاقتصار اليق بالحال واحسم
لمادة الشغب والجدال فقال ما الكون الجواب خروج الشئ من القوة الى الفعل فقال
ما الفساد الجواب خروج الشئ من الفعل الى القوة يقال ما الجمع الجواب انضمام
المادة الى نفسها وتلاقى اجزائها يقال ما الانفراد الجواب انفصال المادة باقسام
لطيفة صغيرة القدر يقال ما الباطل هو ما بدا لنا فى الموجود هو ما هو يقال ما الخير
بالحقيقة الجواب هو ما يراد ويوثر لاجل ما يراد بالاستعارة لذاته يقال ما الشر
الجواب هو ما يهرب منه لاجل ذاته وايضا الشر هو ما يهرب منه لاجل انه يؤدى
الى الاستعارة الى ما يهرب منه لاجل ذاته يقال ما الذكر الجواب احضار الذهن
ما تقدم وجوده فى النفس يقال ما الذهن الجواب جودة التمييز بين الاشياء
يقال ما الذكاء الجواب سرعة الانقداح نحو المعارف يقال ما التواني الجواب هو نهاية الفكر
يقال ما الشك الجواب هو تردد النفس بين الاثبات والنفى يقال ما الارتياء الجواب تجاذ
يقال ما اليقين الجواب مطابقة العقد معقولة يقال ما العلم الجواب وجدان
النفس المنطقية الاشياء بحقايقها يقال ما الحكمة الجواب هى حقيقة العلم بالاشياء
القائمة ووضع كل شئ فى موضعه الذى يجب ان يكون فى هذا الموضع فقط يقال ما التمييز
الجواب هو جمع القضايا واستخراج النتايج ويقال ما العزم الجواب الراى على العقل
يقال ما اليقين الجواب سكون الفهم مع ثبوت القضية ببرهان وايضا هو وضوح
حقيقة الشئ فى النفس يقال ما المعرفة الجواب راى غير زايل والراى هو الظن
مع ثبات القضية عند التادى فهو اذن سكون الظن يقال ما الجزم الجواب هو

قوة يجدها قوة الثقة باوائل الامور مع سكون الظن بعواقبها يقال ما الوهم الجواب هو الوقوف
بين الطرفين لا تدري في ايهما القضية الصادقة يقال ما التوهم الجواب موافقة الظن العقل
من غير اثبات حكم يقال ما التصور الجواب هو حصول صورة الموجودات العقلية في النفس
يقال ما الذكر الجواب هو سلوك النفس الناطقة الى تلخيص المعاني ومعرفة ماهياتها يقال ما الحفظ
الجواب ثبات صور المعقولات والمحسوسات في النفس يقال ما الحس الجواب هو قبول
صور المحسوسات دون حواملها يقال ما التخيل الجواب هو حصول صور المحسوسات بعد
مفارقتها وزوالها عن الحس يقال ما الادراك الجواب هو تصور نفس المدرك بصورة
المدرك يقال ما المعرفة الجواب هي ادراك صور الموجودات بما تتميز عن غيرها وهي
المحسوسات التي لانها تحصل بالوسم والوسوم ماخوذة من الاعراض والخواص والعلم
بالمعقولات التي لانه يختص بالحدود والمعاني الثابتة للشيء يقال ما الاستقص
الجواب هو ما يكون فيه الشيء ويرجع اليه منحلا منه الكائن بالقوة يقال ما الصورة الجواب
هي التي بها الشيء هو ما هو يقال ما المكان الجواب هو حيث التقى الاتقان المحيط والمحاط
به وايضا هو ما بين سطح الجسم الحاوي وانطباقه على الجسم المحوي يقال ما الزمان الجواب
مدة تعدها الحركة ثابتة الاجزاء يقال ما الجرم الجواب ماله ثلثة ابعاد طول وعرض و
عمق يقال ما الكثرة الجواب هو انفصال الهيولى باقسام كثيرة عظيمة القدر يقال
ما الملازقة الجواب امساك نهايات الجسمين بجسم ثالث بينهما يقال ما الاجتماع الجواب
حال تقارب الاجسام بعضها من بعض والافتراق تباعدها يقال ما الحال الجواب كيفية
سريعة الزوال يقال ما الاتصال الجواب هو اتحاد النهايات والانفصال تباين المتصلات
يقال ما الرطوبة الجواب علة سهولة انحصار الشيء بذات غيره وعسر انحصاره بذاته وايضا
هي الكيفية التي لا يحيط بشكل الجسم الذي هو فيه على شكل محدود ولا يمنعه ان يتشكل
بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما اليبس الجواب علة انحصار الشيء بذاته وعسر انحصاره
بغيره وايضا هو الكيفية التي تحفظ شكل الجسم الذي هو فيه وحتى لا يتشكل بشكل ما يحيط
به بسهولة يقال ما البرودة الجواب جمع الاشياء التي من جواهر مختلفة والتفريق بين التي
هي من جواهر واحدة يقال ما الحرارة الجواب علة جمع الاشياء التي هي من جوهر واحد و
تفريق الاشياء التي هي من جواهر مختلفة يقال ما المؤلف الجواب المركب من اشياء متفقة
بالحس مختلفة بالحد يقال ما الروية الجواب هي التمثيل بين خواطر النفس يقال ما العقل
الجواب تاثر في مؤثريات للتاثير وايضا هو الحركة التي تكون من نفس المحرك والقابل
عنه يقال ما الاختيار الجواب هو ارادة تقدمها روية مع تمييز يقال ما التحديد
الجواب جمع ذوات مختلفة الحدوث واحدة يقال ما النفع الجواب الشيء المشوق من الكل
يقال ما النسمة الجواب هي لفظة محمولة بفصله الكتاب يقال ما المدخل الجواب هو قول
يفصل المعاني ما تحتاج اليه في معرفة ما هو مدخل اليه يقال ما المنطق الجواب يقال هو
صناعة ادوية تميزها بين الصدق والكذب في الاقوال والحق والباطل في الاعتقادات
والخير والشر في الاحوال يقال ما الصناعة الجواب بالاطلاق هي قوة للنفس فاعلة بمعان

مع تفكر وروية في موضوع من الموضوعات نحو عرض من الأعراض يقال ما الصدق الجواب
قوة مركبة من الحق يقصد بها العدل والحق يقال ما اليقظة الجواب هي استعمال النفس المنطقية
لاستعمال الآلات البدنية من غير مرض عارض والانسان على طباعه يقال ما الحياة الجواب هي
رباط الحركة وحس وعقل ونما وتربية والموت ضد ذلك يقال ما الشجاعة الجواب هي
قوة مركبة من العز والغضب تدعوا الى شهوة الانتقام الجبن ضده يقال ما الفرح الجواب
هي انبساط النفس من داخل الى خارج على المجرى الطبيعي الخوف ضد ذلك يقال ما العجول
الجواب الذي لا يقنع ما يتخيل في وهمه تخيلاً ضعيفاً من غير نظر ولا فحص والغيظ هو ابتداء
الغضب يقال ما الركين الجواب هو الذي يكون العزيمة منه مع تمييز وتفكر يقال ما
المحسود الجواب هو الذي لا يحب لاحد خيراً ويجتهد في الاضرار بهم وبنفسه كي يلحقهم
بذلك مكروه يقال ما الدخل الجواب هو حقد يقع معه رصد الفرصة والانتقام يقال
ما الحقد الجواب هو غضب يبقى في النفس على وجه الدهر يقال ما الغضب الجواب هو غليان
دم القلب لشهوة الانتقام وهو الحركة لقهر ما اضر بالبدن يقال ما العجب الجواب هو ظن
الانسان بنفسه انه على الحال التي يجب ان تكون عليها من غير ان تكون عليها يقال ما الرضى
الجواب هو قناعة النفس بما كانت غير قانعة يقال ما الحياء الجواب هو خوف الانسان
من تقصير يقع منه في شيء ما او في كل شيء يقال ما الاستطاعة الجواب
هو التهيؤ لتنفيذ الفعل بارادة المختار من غير مانع ولا عائق يقال ما الشهوة الجواب
هي التشوق على طريق الانفعال الى استرداد ما نقص بما في البدن والى نقص ما زاد فيه
ه لا تزيد بالانفعال انه شيء يجري على خلاف ما يجري به الامر الذي هو بالتمييز والفكر يقال
ما المحبوب الجواب هو مطلوب النفس ومتمم القوة التي هي علة اتحاد ما من شانه ان يتحد
يقال ما الوقت الجواب هو بقاء الزمان المفروض للعمل يقال ما البصر الحسي الجواب
هو اتصال النور النفساني بنور الشمس بتوسط الهوا يقال ما الحد الجواب هو قول دال
على طبيعة الشيء الموضوع بمنزلة ما هو سواه يقال ما الرسم الجواب قول مميز الموضوع
من غير مركب من صفات عرضية اكثر من واحد يقال ما الخاصة الجواب هي كالرسم الا
انها من صفة واحدة عرضية يقال ما الانسان الجواب هو ناطق مايت فالحي دلالة على
الحس والنطق والحركة والناطق دلالة على العقل والروية والمايت دلالة على السيلان
والاستحالة يقال ما الممكن الجواب هو الذي بالقوة تارة وبالفعل فيما يوصف تارة يقال
ما الممتنع الجواب الذي ليس بالفعل ولا بالقوة فيما وصف به ابداً يقال ما القول المطلق
الجواب ما لا يثبت بثبات آخر يقال ما الكيفية الجواب ما هو شبيه وغير شبيه يقال
ما الكمية الجواب ما احتمل المساواة وغير المساوات يقال ما الصدق الجواب مطابقة
القول لما عليه الامر ويقال ايضا الاخبار عن الشيء بما هو عليه يقال ما الكذب الجواب
لا مطابقة القول عليه الامر وايضا الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو يقال ما الحق الجواب هو
ما وافق الموجود وهو ما هو يقال ما العنصر الجواب هو طبيعة كل ذي طبيعة يقال
ما الهيولى الجواب قوة موضوعة تحمل الصور منفعلة يقال ما الجوهر الجواب هو القائم

بنفسه الحامل للاعراض لا يتغير ذاته موصوف لا واصف يقال ما النفس الجواب تمام جوهر ذى آلة قابلة للحياة وايضاً هى جوهر عقلى متحرك من ذاته بعدد مؤتلف وايضا هو جوهر علامة مؤلفة بالفعل يقال ما العقل الجواب جوهر بسيط يدرك الاشياء بحقيقتها لا بتوسط زمان دفعة واحدة وايضا هو الذى من شان الجزء منه ان يصير كلاً وفى معنى هذا القول من شان عقل زيد مثلا وهو عقل جزئى ان يعقل كل المعقولات التى من شانها ان يعقل ان يقصر به الزمان او يعترض عائق وليس شئ من الموجودات له هذا المعنى سواه يقال ما القادر الجواب هو الذى تنفذ ارادته فيما له بالقوة العاجز ضد ذلك يقال ما الفعال للخير الجواب هو الذى لا يبخل على احد فى شئ من الاشياء يقال ما الازلى الجواب الذى لم يكن ليس وما لم يكن ليس لا يحتاج فى قوامه الى غيره والذى لا يحتاج فى قوامه الى غيره لا علة له يقال ما القائم بذاته الجواب هو الذى حده داخل فيه وما ليس هو قائما بذاته هو الذى حده خارج منه يقال ما العلة الاولى الجواب مبدع الكل متمم الكل غير متحرك وايضا انه فقط وايضاً خير محض يشتاق كل شئ سواه ولا يشتاق الى شئ سواه وايضا هو وجود مطلق لكل وجود عقلى وحسى وايضا الواحد بالقول المطلق لا كالجنس الواحد ولا كالشخص الواحد يقال ما النفس ايضاً الجواب روح الله منبجسة بتوسط العقل يقال ما الحس الجواب قوة روحانية يفعل فعلها من خارجها ما الحركة الجواب هى على ثلثة اوجه مستوية ومستديرة و منفرجة يقال ما الطبيعة الجواب صورة عنصرية ذات قوى متوسطة بين النفس والجرم الجامد وحركة وسكون عن حركة يقال ما السماء الجواب جوهر مستدير مركب متحرك حركة شوق دائمة يقال ما الفرح ايضاً الجواب انبساط الطبيعة من داخل الى خارج و الطبيعة هنا الحرارة الغريزية والحزن انقباض الطبيعة من خارج الى داخل يقال ما النوم ايضاً الجواب غوص القوى فى عمق النفس يقال ما الارادة الجواب هى بدء حركة قوة بسيطة نفسانية عن همم يعمه الشوق يقال ما اللذة الجواب انطباق الشهوة للطبيعة من النفس بلا مانع يقال ما الكل الجواب هو جوهر محيط بالاجزاء لا يشخص له هذا آخر المقابسة التى اتت على حدود هذه الاشياء وهى وان كانت تحتمل التخفف ببعض المطالبة والاعتراض ببعض الاستقصاءات قد حوت معانى غريبة وطرقاً واضحة وقد كنت عرضت اكثر هذا على ابى سليمان وعلى غيره فما اصبت عند احد منهم ما يحكى الا ما قاله جماعة من النحويين فانهم بهرجوا كلمة كلمة بعد كلمة منها من ناحية الاعراب والصوغ فاعدت على ابى سليمان ذلك فقال اذا استقام لك عمود المعنى فى النفس بصورته الخاصية فلا تكترث ببعض التقصير فى اللفظ قال وليس هذا انهزامنى فى تصحيح اللفظ واخلاف التزويق وتحبير البيان ولكن اقول متى جمح اللفظ ولم يوات واعتاص ولم يسمح فلا تفت نفسك خصائص المطلوبات وغايات المقصودات فلان تخسر صحة اللفظ الذى يرجع الى الاصلاح اولى من ان تعدم حقيقة الغرض الذى يرتقى الى الايضاح ولولا هذا الذى قاله هذا الشيخ لما اخترت نثر هذه الحدود على ما عرفتك من اعلامها واطراد القول عليها ومن بحر الحكمة تدفقه فقد اولى فضلاً كثيراً وفاز فوزاً عظيما واحرز ملكاً

كبيرًا

مقابسة اخرى

٩٢ قال ابو سليمان انما صار العلم والمعرفة واليقين والفضائل باسرها قليلًا في هذا العالم لشرفها في انفسها واتصالها بعالمها وهكذا اعزّ كل شئ شريف في نفسه وعزيز في جوهره انظر الى المعادن في الارض والى قلتها اذا تدبّرت ساير الاجسام ثم انظر الى قلة الاشرف منها وهو معدن الذهب ثم انظر الى بخل المعدن بما فيه الا المستحق بالطلب والجهد والمعاناة والكدح وهكذا المعارف والفضائل تعرف في هذا الجناب لانها ينبوا عنه فلا يقرّ فيه ولا يانس به نعلم هذا كلما اشتهر وفشا وكثر فانما ذلك بمعونة الطبيعة وكثرة المادة وغلبة الهيولى والامتلاء في النفوس باصناف الزجر والسرسة ناماكيفية النفس وارتضاء العقل واثارة الفكر وكان من باب الحقايق واليقين والطمانينة والسكون وروح البال وطيب النفس فانما ذلك بمعونة العقل واتصال بجوده وغزارة فيضه وغلبة سنخه ولتهذ الباري الذي اليه ينتهي القول والوهم وعنده يقف النثر والنظم وعليه يشتد اللهف والذي هو الكل المستولي على الكل

مقابسة اخرى

٩٣ قال ابو سليمان انما عرض الاختلاف من الناظرين في العالم اقديم هو ام محدث لامر لطيف في ذلك ان الناظر الى المركز وجد الشئ الكائن ثم وجد الشئ الفاسد يحكم ان الحدوث والقدم قد تعاقبا عليه قدم الزمان وحدوث ايضا بالزمان في الحكم بانه محدث واجب والناظر الى هذه الاجرام العلوية وجدها لا يكون ولا يفسد ولا يعتريه دثور فحكم بانه قديم وكان النظران صحيحين من الجهتين المختلفتين والشرف على الحقايق وهو الذي يقضي بالواجب لانه يبني السفلي الى العلوي ويبتدئ لنظر من العلوي الى السفلي فعند هذا التصفح والاستبانة يحكم بالحق ويقول قديم بالسوس حديث بالتخطيط وكيف لا يكون كذلك واثار الصورة فيه ظاهرة واثار الهيولى فيه حاضرة فاثار الهيولى هي التي درست وعافت وبادت وانتشرت واثار الصورة هي التي ثبتت واستمرت وبقيت وشرفت وحسنت ولطفت وظاهر هذا عند من لا دربة له بهذا البحث متناقض وانه قد جمع في هذا الحكم بين السلب والايجاب

مقابسة اخرى

٩٤ قال ابو زكريا الصيمري عند ابي سليمان في مذاكرة طويلة ان كانت النفس واعتبار حالها بمنزلة الدرة في الحقة والجوهرة في عمق البحر وما اشبه ذلك فليست النفس في حكم البدن ولا حالها اللازمة بها حال الكاين الفاسد لان الدرة ليست في الحقة التي هي فيها والغشاء الذي هو عليها في شئ وان كان كالبصل وقشوره فهي بائدة لا بقاء لها ولا خير فيها وفي المنكران يكون مع خواصها الشريفة وعجايبها الغريبة في حكم السائل الذي دثر والدارس لعافي وقد اتت المقابسات الاول على تقريب بليغ في تحقيق شان النفس واثبات امرها وما خصت به دون البدن والمزاج وتوابعها ولواحقها ولا وجه للولوع بالاكثار فان ذلك ربما جر الى التقصير وحمل على الاعتذار وهذا علم كلما قلّت الحروف فيه كان المعنى بها اتم واخلص وكلما كثر اللفظ كان مايراد به ويعنى فيه انقص وليس كذلك باقي العلم والسبب في ضيق هذا العلم انه بحث عن حقايق الموجودات وقصد الى الاعيان المعقولات والخصايص عرية من العلل والشبهات بعيدة من الشكوك والمعارضات غنية عن

التاويلات والاحتمالات لانها تصون اعراضها عن زخارف القول وترتفع عن موانع الاستعارة والغلط والتجوز والاتساع ولهذا ما اتساع نظرهم الى حصر الموجودات في دايرة العشرة حتى لحظوا الجوهر والكم والكيف والمضاف والاين وكذلك متى والواحد له ويفعل وينفعل وفصّلوا خواصها وحققوا احدودها واوضحوا علاماتها واستوفوا جميع احكامها المفصّلة بين المعانى اللفظية والحقايق الالهية والخواص الطبيعية والمناسبات الكلية والجزئية وفى ضمن هذه الكلمات الشريفة الحاوية لكل ما علا وسفل معنى هو الجنس الاعلا ومعنى هو النوع الاقصى ومعان بينهما اذا اضيفت الى ما علا منها كانت انواعها واذا اضيفت الى ما سفل عنها كانت اجناسها ولما فات ساير العلماء هذا البحث تاهوا واضطربوا وحاروا واحترقوا وصار ذلك شوبا للعداوة وسببا للاختلاف وبهذا النظر ايضًا عرفوا القوى الاول من النفس الا تراهم اذا سموا شيئًا بالباقى كيف يعنون به الجسم المتنفس اى الذى له جملة القوى النفسانية القوة المولدة وبها تكون المثل والقوة المربية وبها تكون البقاء والقوة الغادية وبها تكون الزيادة وبهذا النظر استعملوا من العقل ما الشيئ الذاتى وما ذلك الذى ليس بذاتى وما الكلى وما الجزئى وما المحمول والموضوع وما الصور الخالصة وما الاعيان والذوات والمواد وما المعانى المنطقية التى انما نضيف الاضافة وكيف حصل معنى به عمّ الحيوان الذى هو جنس للثور والفرس والانسان وكيف حصل الناطق الذى هو فصل بين الانسان والفرس حتى تميّزت الاشياء بالجنس والنوع والخاصّة والعرض ماهو بالموضوع وماهو بالطبع وما له مبدأ وما له من المبدأ وما علته فيه وما علته سواء وما لا علة له علة لما هو اول فى العقل وماهو علة فى النفس وما هو اول بالطبيعة وماهو اول بالزمان وماهو اول بالدهر وماهو اول بلا سبب اعنى بالاطلاق وماهو بسيط وماهو ممزوج وماهو حق وماهو باطل وهذه تلاع لا يرقاها الا الاقوياء الاصفياء وبحور لا يركبها الا السعداء الفضلاء وانا اعتذر من اشتقاق الكلام فى هذا الموضع وتصرف الحديث به مع تباعدى عن كثير مما هو اولى بى وانفع لى ولكن الكلام صوب لا يملك اذا هطل وبعنان لا يحصر اذا انتثر وسمى يتبعه الولىّ وخيره ما كان عفوًا وشره ما كان تكلفا ولست اعنى بهذا بلاغة البلغاء ولا خطابة الخطباء ذلك شان عن غير هذا المحكم لانه ملحوظ بالهذر وربما يستغنى عنه فى الاكثر وانما اعنى ما يطيق الفصل ويجهها ويحيها بالمعنى ويأتى على المراد ويشفى غليل النفس ويهدى اليقين فذاك كالعرض لا ثبات له ولا سكون معه وقد يعرض ايضًا فى تحقيق المعانى وتحصيل الاعراض بعض التجوز والسعة ولا يكون ذلك معتمدًا بالقصد الاول ولكنه يكون كالتوءم الذى لا يعرى عن مجاورة الامر الذى لا يخلوا من ضده وكيف يصدر عن الانسان المركب الممزوج بان لا عيب فيه او كيف يصح له فعل لا عتب عليه به وانما يصدر من المركب مركب مثله ومن الممزوج ممزوج شبيهه ولكن بين المركب والمركب بسيط وبين الممزوج والممزوج صاف وبين المعقول والمعقول صلات وبين المظنون والمظنون فنون تشير الى اليقين فما احرى من فتح الله بصره وايقظ نفسه ان يعترف

بنعمته عليه وينشر ما قد وهب له وقد رويت في هذا المكان عهداً وجدته لبعض اصحابنا كتبه بيده وكان تذكرة نفسه وبالتخير لسانه ومشهد طرفه وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه الله فلان بن فلان وهو يومئذ آمن في سربه معافاً في جسمه عند قوت عمره لا يدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن فلا يوال مخلوقاً ولا يجتلب منفعة من الناس ولا يستذيع مضرهم عاهده على ان يجاهد نفسه ويتفقد امره ما استطاع فيعف ويشجع ويحلم وعلامة عفته ان يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه او يهتك مروته وعلامة شجاعته ان يحرب دواعي نفسه الذميمة حتى لا يقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه وعلامة حكمته ان يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيئ من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح اولاً نفسه ويهدي بها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة بذكره ايثار الخير على الشر في الافعال والحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الاقوال هي ذكر السعادة وان تحصيلها يكون باختيار ذكر الجهاد الدائم لاجل الحرب الدائمة بين المرء ونفسه التمسك بالشريعة ولزوم وظايفها حفظ المواعيد حتى ينجزها واول ذلك ما بيني وبين الله عزوجل قلة الثقة بالناس بترك الاسترسال تجنيد الجميل لانه جميل لا لغير ذلك الصمت في اوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل حفظ الحال التي يحصل شيئ شيئ حتى يصير ملكة ولا يفسد بالاسترسال الاقدام على كل ما كان صواباً الاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره ترك الخوف من الموت والفقر تحمل ما ينبغي وترك الدنية ترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ولا انفعال لهم حسن احتمال الغنا والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى والغضب ليقل الطغى والبغى قوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى فاذا ايسر الله تعالى اصلاح نفسه بما جاهد عليه تفرغ بعد ذلك الى اصلاح غيره وعلامة ذلك انه لا يبخل على احد بنصيحه ولا يمنع احداً رتبة يستحقها ولا يستبد دون الاخيار بما يلتسع له فاذا اكمل الله ذلك ورفع عنه العوائق والموانع وبلغه ما في نفسه من هذه الفضائل ليصيرها من اوليائه الفائزين وانصاره الغالبين وعباده الامنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقد استجاب له بحمد الى كل ما دعاه به ووثق بعد ذلك الى ملجأ الى كل ما وكل الى جوده من اعطائه ما لا يحسن ان يرغب فيه واعادته مما لا يحسن ان يستعيذ منه وهو حسبه وعليه توكله ولا قوة الا به وهذا اخر العهد وهو غني عن تقريظي ودلالتي على حسنه لظهور الحق عليه لمن جعل هذه كنبلة صدره وعقيدة سره ووسيلة بينه وبين ربه هو الفيلسوف الحق المبرز المحقق

مقابسة اخرى

٥

رويت لابي سليمان كلاماً لبعض الصوفية فلم يفكه ولم يهش عنده وقال لو قلت انا في هذه الطريقة شيئاً لقلت الحواس مهالك والاوهام مسالك والعقول ممالك فمن خلص

نفسه من الممالك قوى على المسالك ومن قوى على المسالك اشرف على الممالك شرفا يوصله المالك قال ابو الخطاب لكاتبها الشيخ هذا والله احسن من كل ما سمع منهم فلو زدتنا منه فقال الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقل مدلة فمن اهتدى فى الاول وثبت فى الثانى ادرك فى الثالث ومن ادرك فى الثالث فقد افلح ومن ضل فى الاول وزل فى الثانى خاف ومن خاف فى الثالث فهو من الهمج واستزاده مظهر الكاتب البغدادى فاستعفى وقال هذا حديث قوم اباعد منا على بعض المشاكهة قلنا وما قلناه كاف فيما قصدنا فان استتب خفت العار واستحليت الغار ولكل افق يدورون عليه ومركز يطمئنون اليه وجو يتسقون فيه وفنن يقطفون منه ولولا هذه اللطايف التى هى شعلة النفوس لوافرة والناقصة لكانت الصدور تتفرج باسا والعقول تتحير باسا والارواح تزهق كمدا والاكباد تتفتت صمدا فسبحان من لهذه القدرة وهذه الخليقة وهذه الاسرار فى هذه الطريقة

مقابسة اخرى

٩

هذه مقابسة رسمنا بها كلمات نافعة كانت متفرقة فى ديوان الحفظ ولم ينسبها الى شيخ واحد لانها كانت تجرى فى مجالس مختلفة وهذا موضع يقتضى حصولها فيه لتكون مجاورة لاخواتها وداخلة فى جملة ما لاق بها فى النفس بعد هذا جمع النوادر للفلاسفة مع التصفح والايضاح ان اخر الله مهلا بد منه واعلن على ظهار ما يحدث النفس به يكون شرف الجامعة وفايدة للظافر به وغنيمة للطالب له وبيده تسهيل ما عسر وهو ولى الحمد فى الاول والاخر لكل زمام قايد ولكل طاير صايد وما كل تربة تصلح للعقبان وما كل طبيعة تحتاج الى برهان وقال الحق بين منهاجه ومنير سراجه ومعقول بيانه ومعلوم برهانه من استضاء به افلح ومن سلك سبيله انجح قال قائل انواع الاختلاف ستة الاضافة والتضاد والقنية والعدم والايجاب والسلب والمضاف مثل الضعف والمنصف والتضاد مثل الصالح والطالح والقنية والعدم مثل البصر والعمى والموجب والسالب مثل فلان جالس فلان ليس بجالس قال قائل لكل صانع صناعة ولكل تابع طبيعة ولكل مدبر تدبير وما كل صانع حكيم وما كل طابع كريم وما كل مدبر مصيب ولكل انسان لسان ولكل لسان سنان وليس لكل لسان سنان ولا لكل بيان برهان وما كل ذى قلب بلبيب وكل انسان ذو نطق وما كل ذى نطق بخطيب وكل انسان ذو نفس وما كل ذى نفس باريب وكل انسان ذو حس وما كل ذى حس بلطيف وكل انسان ذو عقل وما كل ذى عقل بعاقل وقال اخر ما ترى هذا الرباط المعقود والسرج المشدود والافق الممدود والمركز المهود والحد المحدود وقال اخر التعليم الهندسى صناعة من الصناعات العقلية والانسية وتقع بحثها على المقادير والابعاد والاشكال والزوايا وما يقع تحت كل مقدار وتعد من الزوايا الخطية والسطحية والجسمية وقال الهندسة صناعة معرفة المقادير وطبايعها وحدودها وخواصها وما يقع تحتها من اجزائها واشخاصها والمقادير هى الاشياء ذوات الابعاد وهى ثلاثة طول وعرض وعمق والمقدار الخطى بعد واحد وهو الطول والمقدار السطحى بعدان وهما

الطول والعرض والمقدار الجسمي ثلاثة ابعاد وهي الطول والعرض والعمق فالجسم المقدار التام
وقال قائل اذا غاص الانسان في البحر واستخرج درة فيها غناه فقد حاز سعادته وملك رادته
لانه ليس من شرط الغنا ان يستخرج جميع ما في قعر البحر من الدر والجوهر فان طالب
هذا مغرور محاول لمختل ولكن اذا حصل له الغنى بدرة واحدة خاصة اذا كانت ثمينة فقد كفى
واغنى وهذا معناه على ما سبق الى الفهم اى لا يلهج بالاستكثار من العلم وبالتوغل في فنونه و
كذلك في السير المختلفة والاحوال المتباينة فان الرشد اذا اصيب والغبطة اذا نيلت والخير
اذا وجد فقد سعد المرء ونجا من العطب وان فاته وراء ذلك جميع ما هو داخل في باب الخير
وموجود في ناحية الزيادة ولعمري ان الاجتهاد حسن وطلب الاقصى شجاعة ولكن الغاية
المتوخاة موهومة ولا سبيل الى بلوغها والذي يجب بذل الاستطاعة وقلة الرضى بالفتور
ومصارفة الزمان بكل حال وما احسن ما يعم هذا المعنى بعض الموفقين حين قال انا
نحرص على بلوغ الغاية لبعد السفر لانه لا راحة دونها ونشح على ساعات العمر لقصر
المدة لانه لا عمل بعدها وهذا كلام عال وينبغي ان يكون الحرص نقيا من الكلب والاجتهاد
بريا من التعب المؤدي الى العطب وقال آخر انما انت لب في قشر فاحفظ لبك بصيانة
قشرك ولا تضن قشرك باضاعة لبك واعلم انك ذو لب واحد وذو قشور
كثيرة وتنقيتك من قشورك صعب وقيامك بلبك اصعب والامر الاهم يجب
ان يتمم هوان نداءك قشرا بعد قشر حتى اذا وصلت الى القشر الحافظ للب اشتفقت
عليه وسترته ليبقى لبك مصونا في قشرك فان مزايلتك لهذا القشر باب الى التواء وجار
الى الفساد وستنقشر عن ذلك في التالي على حسب ماهيبه من هو اولى بك واقدر
عليك وانفذ حكما فيك وهو الذي نظمك وانت بدد وجمعك وانت مفرق ونظرلك
وانت مغيب واوجدك وانت عدم واقدرك وانت عاجز واهملك وانت ساه وانبهك
وانت راقد ولاطفك وانت جاف والفك وانت متناف وقادك الى حظك وانت
كاره واتاح لك الخير وانت بايس واعلى هذا حظك وانت كاره وعلى هذا نظاير لا يحصى
ولطايف لا تستقصى فهل يبقى لك بعد هذا محجة او متعلق

مقابسة اخرى

هذه مقابسة افادها من مواضع مختلفة هي اعيان كلام الاوائل بالترجمة المنقولة اليها
وهي وان كانت محتاجة في بعض حروفها الى تفصيل وشرح فانها صالحة الفوايد كثيرة
الحد ولعلها تتعلق ببعض ما يكون ايضاحا لها عند الرواية ان نظايرها قد مرت
شافية بالبيان مستوفاة بالبرهان والقليل من هذا الفن كثير والصغير كبير
فاول ذلك قال بعض الاوائل الكرم والنبات المشتبه به اذا اخذ منه الجزء نبت
من قضيب الكرمة والتفاحة والرمانة فان هذا منه ما نبتت ومنه ما لا يلبث الا
في اصله وعلة ذلك لان صورة الكرمة وما اشبهها غالبة على صورتها فلا تنمى ولا تنبت
الا بالاصل الذي يجتمع فيه القوى الطبيعية وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة
وقال ايضا النفس والعقل صوران يحتملها او احدهما فاذا تمت تلك الصورة

امكنتها اعطتها النفس تمام ماهيئات له فيكون اول طبقات الانفس وهي النامية ويكون
في الحيوانية ولا تكون في الانسانية وتمام الشيء الذي انبعث من الشيء الخالص المحض الذي لا هيولى
له ان ينتسب اذ ليس الهيولى بالشيء الذي انبعث منه على قدر احتماله فتصير له مثال حقا
وصنم متشبها لطيفا من الانفس العاقلة منها وغير العاقلة وقال قائل لم كان للعقل ثلاث
جهات جهة الى ربه وجهة الى المعقولات وجهة الى ذاته فقيل لان جهته الى البارى هي التي
جعلته عقلا اولا ثم نظره اليه انما هو استمداده من الصورة التي صورت فيه بديا
لانه وقع فيه جميع الصور فاستمداده ليس بزيادة صور لم يكن وكانت ولكنه ليبقى ويقوى كما
يستمد الهواء من نور الشمس فهو مزداد من غير صورة تحدث فيه كذلك النفس انما تستمد
من العقل الصورة هي على حالها وكذلك الطبيعة تستمد النفس ويقوى بها ولكن اشراقها
عليها يبقي قواها ولولا ذلك لضعفت وانتقصت وقال لنا علمان احدهما علم محض
كعلمنا بالاشياء الاوائل بلا روية ولا فكر كما نعلم ان عدد كل زوج او فرد فانه لا يمكن
ان يكون الشيء الواحد في حالين مختلفين كالانسان لا يمكن ان يكون قائما قاعدا معا
وكعلمنا ان كل متحرك من ذاته دائم الحركة وكقولنا كل دائم الحركة بجوهره دائم الحياة ولنا
علم فكري مثل علم القياس الذي يستنبط منه الشيء من شيء اخر كقولنا الانسان حي والجوهر
حي فالانسان اذن جوهر وقال قائل اذا قويت الهيولى علينا لم نقو على وجدان الذي
فينا الا بطلب وبحرص وبنشر وغوص فاذا استولينا نحن على الهيولى وجدنا الشيء بالهوينى
السهل لا بالجوهر اذ كنا نحن نعقل العقل الاول وكانت الاشياء فيه وهي هو فكيف يمكن
ان نذكر الاشياء والاشياء فيها والتذكر انما يكون في اثناء الاوقات لانا ننسى في وقت
ونذكر في وقت اخر وهناك الدهر لا الوقت وقال الفيلسوف الذكر انما هو حركات الفكر
على الوهم الجاري حتى يرد ما في خزانته على ما كانت الفكرة تحركت به وقال قائل
الفكرة انما تقع على الشيء المفقود والعلم يقع على الشيء الموجود والاشياء في العقل
الاول حاضرة ابدا وقال اذا اردنا ان نحتج بانفسنا فان نعلم العلوم الشريفة
حرصا على تعارف انفسنا الهيولانية فنكون كانا نصير خالصة ترد ذاتنا فاذا راينا
ذاتنا استفدنا منها علوما شريفة وكنا نحن الناظر والمنظور اليه والعالم والمعلوم
وقد قيل لارسطو لم تذكر العالم العلوي ومنه هبطنا الى هذا العالم فقال انما صرنا
لا نذكر العالم العلوي لانا صرنا في هذا العالم الحسي واختلطنا بالاشياء الهيولانية
وفارقنا ذلك العالم لانا لا نقدر على ان نكون هناك وفينا لطخ من الاشياء الهيولانية
فصرنا كانا لم نصر هناك لاستيلا[ئها] علينا وصرنا كانا انما بدينا من هذا
العالم لشدة ميلنا اليه والى الاثار التي كانت منه فان هذه الاشياء الهيولانية انما هي اثارنا
وذلك ان كانت النفس هي التي اثرت الاثار الحسية بمعرفة العقل وتسديده اياها وكنا
نحن العقل فلا محالة ان هذه الاثار انما هي اثارنا واختلطنا بها كنا ذاتا مكونين
وكانا اثار من اثارنا وانما هي اثارنا لا نحن من اثارها وقال انما صرنا لا نذكر ذلك
العالم لانا قبل ان نصير في هذا العالم لم نكن اصحاب ذكر وذلك ان الاشياء هناك

حاضرة ظاهرة وليس هناك مستقبل ولا ماض بل كلها حاضرة بحضورها الان عندنا فلذلك
لم نكن نحتاج الى الذكر لانا لم نكن من ابناء الزمان بل الزمان من ابنائنا لانا كنا في حيز الدهر
نحيث الدهر فليس هناك نذكر البتة دائمًا نحتاج الى التذكر في الاشياء الزمانية التي تكون
مرة وقد لا تكون مرة فحيث المنا هناك التذكر فاما الموضع الذي ليس للشيء فيه مساغ فليس
هناك تذكر وقال ايضا الاشياء التي علمناها لم يعلمها في وقت من الاوقات فنحتاج
الى ان نذكرها بل قد علمناها بنوع الدهر لا بنوع الزمان وقال ايضا انا قبل ان نتلطخ
باوساخ الهيولى ونحن في العالم الاعلى كنا علماء ولم نكن اصحاب ذكر ولم نكن نحتاج الى
ان نذكر ما قد علمنا لان الاشياء قد علمناها حاضرة تحت ايدينا لا يغيب عنا منها شيء
ولا يستتر وقال كل اثر لزمنا في هذا العالم الحسي فانه لا يلزمنا في هذا العالم العقلي مثل
النما والحس والوهم والقياس والتذكر وما اشبه هذه القوى وقال الاشياء التي لزمتنا
في هذا العالم فان اخلاقها يلزمنا في ذلك العالم وذلك ان الذي يلزمنا ها هنا النما
والحس والروية ونحن هناك لا ننمى ولا نحس ولا نروى فلذلك لا نقدر على ان نذكر ذلك
العالم لانه واقع تحت العلم لا تحت التذكر وكل شيء هناك انما يعلم ولا يذكر لان الاشياء هناك
حاضرة بحال واحدة ولم يكن وقت لم يكن ثم كانت لان كان ويكون من باب الزمان والزمان
اثر من اثار ذلك العالم والاشياء التي في العالم العقلي دائمة لا تتغير ولا تستحيل عن حالها
وهي افضل واكرم من الدوام لان الدوام بها كائن دواما ولم تكن هي دائمة الدوام وليس
الدوام غيرها بل هي الدوام وذلك ان الصفة والموصوف هناك شيء واحد قيل
فما حاجة النفس والعقل الى العلة الاولى قال حاجة المعلول الى العلة فانه ليس من
معلول طبيعي ولا صناعي تنقطع عنه علته الا فسد وباد كالحي فانه اذا فارقته الحياة تباد
وفسد وكالنامي اذا فارقه النما باد وفسد وكذلك الصناعات والتجارات والبنا
وقال العقل الاول يدرك الاشياء بغتة والعقل الثاني ايضا يدركها بغتة اذا كان
متحدا بالعقل الاول ولا يعوقه عنه الاشياء الهيولانية فاذا اعاقته احتاج ان يتوصل
بالمقاييس ويدرك بشيء بعد شيء وايضا العقل الثاني بالوهم هو الذي عليه الاقدار
والمسافات الجسمية وانما كان الوهم ذلك لانه يقبل اثار الحس فيجسم الاشياء وينكر
الصورة المجردة واما اذا مال الى العقل الاول اتحد به فاذا ادى اليه الوهم الاثار التي قبلها
من الحس علمها علما عقليا والقى عنها الاقدار والمسافات وذلك انه يعلمها علما صوريا
وقال للعقل النفساني طرفان احدهما طرف الوهم والاخر الى العقل الاول فاما اذا مال
الى الوهم كان فكرا وروية لا يلتبس عليه الوهم فيريد ان يتخلص واما اذا مال الى العقل
الاول كان عقلا مدركا بلا روية ولا فكر ولا زمان فالفكر انما هو العقل الوهمي
والعقل النفساني المدرك بلا وهم ولا فكر ولا يقدر الوهم على ان يتوهم شيئا بلا اشكال
ولا قدر جرى وقال الفيلسوف العقل وحده لا يموت اراد بذلك ان يميزه من قوى
النفس النامية والحسية لان الحس والنما يضمحلان لان النفس استفادهما من العالم
الهيولاني واما العقل فلم يستفد من هذا العالم فكذلك بقى قال فرفوريوس

وهو المفسّر ان هذا المرء الفاضل قال في كتاب النفس ان العقل النفساني اذا اتصل بالعقل الاول الخالص كان عاقلا دائما ولم يكن عاقلا مرة ومرة غير عاقل فاذا فارق البدن كان احرى ان تلزمه هذه الصفة ولا تفارقه واما الآخر من الحس والنما والتوهم والفكر فانها كلها تبطل مع بطلان الجسم وذلك انها اثر النفس في الجسم فاذا بطل الجسم وفارقته النفس بطلت هذه واما العقل فليس من قبل الجرم كان ولا من قبل النفس بل النفس كانت من اجله وصورتها وقال اخر الرسم من حيز الحلو من حيز المرّ فاما الحريف والمرّ والعفص والحامض وبينهما يعني بين الحلو والمرّ قال ويكاد يكون عدد صور الطعوم مثل عدد صور الالوان هذه سبعة وتلك سبعة فالطعم حلاوة ومرارة وملوحة وحرافة وعفوصة وحموضة والالوان بياض وسواد وقتمة وخضرة واسماجونى وشقرة ولون السما وانكران يكون الصفرة منفردة فجعلها بين الشقرة والخضرة وقيل ما بال الطعم منبعث من الشكل ضد وكذلك في الالوان وليس كذلك في الاشكال لانه لا ضد لها فقال ان الشكل واحد منه منبعث كل شيء وهو المدور والاشكال كلها ماخوذة منه لكثرة زواياه وقيل ما بال الشيء ذي الرايحة اذا لم يكن من حيز الغذا فيقال ان الذهن وما اشبهه لا ينقسم الجنس انما الجنس واحد والشهوة كلها تكون في ذلك الجنس فلا يجذبه جنس اخر اليه مثل التفاح فانه لا يجذبه اليه حسن الطعم مع حسن الرايحة والشهوة لطعمه مما ينقص رايحته عند الشم واذا كان الطعم وحده لا يجاذب حاسة اخرى كان اقوى له قال فاما اهل دهرنا فانهم يخلطون قوة الطعم والرايحة يريدون بذلك اجتماع اللذتين فاذا كان ذلك كذلك لم يكن الشام الذايق يجد ما يجد الذائق وحده ولا الشامّ وحده وقال الروايح الطيبة تصحح الاعضاء وكما ان الغذاء ينميها وقال زعم بعض الاولين ان الجسد يكون مواتا وهو هيئة من الهيئات ومقدار من مقادير المزاج ثم يكون حيوانا اذا تغيرت هيئته ومزاجه وعلى بعض ضروب التغيير وضرب مثلا فقال لم نر الة قط من الات الصناعات تعمل الالهية سوى هيئة غيرها من الالات ورايناها هيأها اذا فارقتها استحالت الى غير ما كانت عليه كقدوم النجارة ينحت قدوما فاذا قلبت هيئتها الى المنشار بطلت النحت بها وحدث النشر بها لان ما في الحديدة المصنوعة قدوما او منشارا مرسل ولان اذا زاد على مزاجها او نقص لم تكن الحديدة بالحال التي تقطع بها فلو ان يبسها اسرف لنقصت وكذلك لو اسرف لينها لما مضت فيما تحل عليه من الابدان فالمزاج الذي مزج بها طبيعة الحديدة كانت الحديدة ماهية فاجتماع قدر المزاج والهيئة تكون الاعمال للعمل وزعموا ان الطبايع الاربع لما كانت بمقادير معتدلة في بدن الحيوان المهيا بهذه الهيئة القابل للحس كان البدن حيا واذا تغير المزاج وانقلبت الهيئة كان مواتا ومنهم من زعم ان البدن يكون على قدر المزاج وهيئة من الهيئات ليحدث في ذلك البدن عرض تكون حياة ونفسا وضرب مثلا فقال انا لم نر شيئا مفردا من العالم يفعل بوحدته فاذا وجد غيره نتجا فعلا وذلك انا لم نر بردا لحجر بهبطه ولا حرة ولا لونه ولا عرفه ولا طعمه ولا صوته فلما ازدوجت كان الهبوط لها

فعلاً قال فلم اتر الانفراد بفعل ورأينا الحيوان ركب من اشياء مفردة قلنا ان الحياة ثمرة افراد
ازدوجت وهي عرض في البدن لان العرض واقع عليها الا انه لا يكون ولا يفسد بل الا فساد
الموضوع فلما رأينا الحياة تكون وتبطل بلا فساد البدن جعلناها عرضاً حادثاً في البدن
وضربوا مثلاً فقالوا انما مثل في حدوثها بين الاسنان كمثل الصوت الحادث بين البدنين المتصادمين
او كاللون الحادث من بين يدين كالسواد الحادث من بين العفص والزاج وكغير ذلك من الاشياء
الالوان والطعوم والاعراض الحادثة من بين الالوان المختلفة ويضاف هذا القول الى دستون
وهذا ظن زايف وراي مضعوف وقد سبق في صدر هذا الكتاب ما يستبان معه تاو
النفس من البدن واستقلالها بجوهرها وغناها بحقيقتها وانها غير محتاجة الى البدن
الا اذا احدث البدن واستعملته وصرفته عن لوازمه واعراضه اللايقة به واما
النفس ذات النطق والعلم والحكمة والبيان والفكر والاستنباط والعقل والنظر في اعلا
واشرف من ان يكون لهما الوصف بمعونة البدن وارادته ولا اسباب الحادثة بالبدن
العارضة له معروفة محصاة وليست تلك من حقيقة النفس بسبب وان كان مجموعاً هذا
كله يوجد في الانسان وبالانسان ونعوذ بالله من الخبط في القول والعمل وقال اخران البدن
يستحيل من حال الى حال فيكون مرة مواتاً ومرة حيوانياً وضرب مثلاً فقال لما رأينا
الاجسام تستحيل عن طبايعها وتستحدث افعالاً لم تكن لها كالماء السائل يستحيل
جمداً فيبطل سيلانه ويستحدث جموداً وسكوناً ويبساً وكالماء يستحيل بخاراً
صاعداً بعد ان بدأها بطاء وكالماء يغذو ثمار الازهار ويستحيل دهناً ثم يعود الدهن ناراً
عند قلب اناه واغتذائها به فلما لم يكن في طبعه من استحالته الا يستحدث فعلاً والسلخ
من فعل غيره قضينا على ابدان الحيوان بالاستحالة والتكفؤ بين الموت والحياة والحركة
والسكون فقلت الحي هو الميت مستحيلاً والميت هو الحي مستحيلاً وضرب مثلاً فقال
مثال ذلك عصير العنب يكون عذباً حلواً غير مسكر ثم يستحيل خمراً مراً مسكراً ثم يعود خلاً
حامضاً مخدراً والعنب واحدة لم تبرح الا انها استحالت فتغيرت افاعيلها لتغير حالاتها
وكذلك البلحة تكون بسرة ثم رطبة ثم تمرة هذه جملة اقاويلهم في ان النفس ليست بعين
واما من زعم ان النفس عين فانهم اختلفوا في كيفيتها وموضعها وزمانها وحركتها
وسكونها وجميع افعالها زعم منهم زاعم انها عين سوى البدن ذات موضع يعلم
بمفارقتها البدن وزعم اخرانها في جميع اجزاء البدن النامية وزعم اخرانها ليست
تكون الا في مواضع الحس واحتج اخرانها لا تعلم الا بمفارقة الجسد وقال ان النفس تعلم
الا صوتاً او عرفاً او طعماً او لوناً او لمساً وهذه الاشياء الخمسة لا تقع الا في هذه
الاجزاء الخمسة البقية من البدن وهي العين والانف والاذن واللسان وساير البدن
المحس فلما رأينا النفس محتاجة الى هذه الحواس الخمس قضينا عليه بالجهل اذ كانت
مفردة وحدها وقضينا لها بالعلم اذا قاربت البدن وضربوا مثلاً فقالوا انما مثل
النفس في حاجتها الى ما ذكرنا كمثل النور الذي لا يرى الا على بدن لا يرى ذلك البدن الا به
وكالنافخ في المزمار لا يسمع لنفخة صوت الا بالمزمار ولا يسمع للمزمار صوت الا بالنفخ

واما الذين قالوا انها في جميع البدن فانهم قالوا لما راينا النفس اذا فارقت البدن لا ينمى علمنا ان النفس حيث الاجزاء النامية لذهاب النمو عند مفارقتها وضربوا مثلا فقالوا مثل ذلك النار التى لا تكون الا حيث تجد غذاها فاذا فارقها غذاؤها بطلت فالنار كالبدن والغذا كالنفس واما الذين قالوا لا تكون الا في الاعضاء الحسة فقالوا لما راينا النفس لا تفارق البدن الا علمت ولم نرها علمت الا في بعض البدن علما انها ليست في جميع البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل اعضاء الحس للنفس كالمغناطيس الجرار للحديد فهوا نفد بين الحديد والحجر وكمثل النجار الذى لا يحتاج الى آلة الحس لذلك ومنهم من زعم انها غير ذات موضع تغتذى من البدن بما يشاكلها وانها جزء من اجزاء البدن يعلم ببعض اجزاء البدن وتفعل باجزاء اخر فزعموا انها تعلم بالحدقة والصماخ والخياشيم وما اشبه ذلك مما لا يقال لظاهر ولا باطن وزعموا انها تفعل بالمعدة والرية والطحال والدماغ والدم والمرتين والبلغم من الفواعل التى لا احتراها وزعموا انها تعمل وتفعل بالكبد والقلب والكليتين والعصب الذى فيه الحس والحركة ووصفوها فزعموا انها هي الروح الحارة الرطبة التى انشاتها الطبيعة من رقيق الدم الكاين في القلب المصطفى من دم الكبد المستخلص من نضج الغذا وزعموا ان هذه الروح تنبعث من القلب في عرق اجوف ذى طرفين حتى تصل الى الدماغ منتشرا في عصب الحس والحركة واحتجوا بقول اسندوه الى بعض سلفهم واظنه افلاطون حيث يقول ان في البدن ثلاثة ينابيع ولكل ينبوع جداول يفيض ما حملت الى اقطار البدن فاحد الينابيع الثلاثة الكبد وهو ينبوع الغذا وجداوله عروق الدم الساقية لجميع الاعضاء والاجرام والاخر القلب وهو ينبوع روح الحياة وجداوله عروق الاوراد الضوارب الناشرة لروح الحياة في جميع الاعضاء والاخر الدماغ وهو ينبوع الحس وجداوله العصب الحس الشامل لجميع الاعضاء المحسة وقالوا ايضا لما راينا الطبيعة تحكم افعالها وتفصلها لعلة وراينا العلة غاية الفعال وراينا غاية افعالها استيلا لها روح الحياة لان الحياة افضل افعال الطبيعة التى اياها عمدت واليها صمدت واول فعلة فعلتها من هضمها الغذاء في المعدة واحتجوا على ذلك بان قالوا لما راينا افضل الافعال واكثرها واقواها للحرارة وراينا ذلك في جملة العالم في الجنس المستحيل منه الجنس النامى والجنس الحى فلما قضينا للحرارة بشرف الفعال وراينا الفعال اشرف افعال الطبيعة شهد لنا ان روح الحياة جزء امن الحرارة وضربوا مثلا فقالوا انما مثل النفس في البدن كالشمس في العالم المسخنة بنفسها الفايضة بخيرها على جميع العالم وزعم اخرانها ذات موضع وتغتذى بما يشاكلها مع غذاء البدن وانها عين سوى البدن تكون في البدن وانها علامة بنفسها متحركة ووصفوها بصفتها فقالوا النفس نور مفرد لا حر فيه ولا برد ولا طعم ولا عرف ولا صوت وضربوا مثلا فقالوا لما لم نر الابصار تدرك الا الالوان ولا تادر بالنور علمنا ان الابصار عاجزة عن العلم بالالوان الا بافادة النور اياها

ذلك العلم ولما لم يكن للشيء ان يفيد ما ليس من جوهره علمنا ان العلم من جوهر النور فلما
راينا العلم من جوهر النور علمنا انه معلول واحد والمعلول الواحد لا يكون من علتين متضادتين
كالحر لا يكون من النار والثلج فلما صح هذا عندنا علمنا ان النفس ليست بمخالفة للنور
فقضينا على النفس والنور بالموافقة وانهما من جنس واحد قلنا وراينا الاذان لا تدرك
الاصوات الا بالهواء الموصل للاصوات الى الاصمخة ولم نر الهواء اوصل ذلك الا برقته
وصفائه المشتبهين انه النور وصفائه قالوا وكذلك راينا الخياشيم لا تدرك الاعراف
الا بالهواء ورأينا اللسان المدرك للطعوم لا يدركها الا بالرطوبة واللين المشبهين
لرطوبة الهواء ولينه قالوا ثم راينا الحسة تدرك الحر والبرد في الهواء والماء ورقيق الابدان
وان غليظ الابدان مستغلق على ما فيه من محسوس لا يظهره منه الا الا رق من الابدان
بما زجه فتظهر كرامته فتوصله الى الحس قالوا فلما راينا الاشياء الموصلة متفقة على صفة
واحدة من الرقة واللين التي في صفة النور قضينا للنور بجميع وجوه ايصال المحسوس
الى الحاس وجعلناه سبب العلم ومفيده ومستفيده فقلنا النفس النور فضربوا امثلا
فقالوا مثلها مثل السراج المنير عن نفسه المنير عن غيره المفيد للعلم لغيره وكذلك
النفس حيث كانت علمت وافادت العلم قد حوت ابقاك الله هذه المقابسة
ضروبا من الكلام في النفس مختلفة ومؤتلفة وانت اذا عنيت بما سبق في الكتاب
وبما يتلوه ايضا في الثاني عنيت عن الاكثار الذي ربما صد عن تحقيق المراد والكلام
كله بين زيادة وربما جلبت الفساد ونحت بابا الى الشك وبين نقصان ربما جلبت
الاشكال وصار طريقا الى اللبس وهذا اذا كان المتكلم عليه من باب الجلي ومن فن
الواضح فكيف اذا كان في الغامض الخفي اللطيف المحتجب وهذا اقتصاد مني وتحفظ
واستدعا للمراقبة والتيقظ فقل من استرسل وخطب مطنبا واعجب بما ياتي
به مستحسنا الا دخل على صوابه ما يثلمه ويكسره وغلب على خطله ما يتادى به ويشهره
وخير الكلام في الواضح الجلي ان يكون لطيفا ليستجمع الى السامع ما يربط مراده
وفي الغامض الخفي ان تكون مكشوفا ليلحق السامع منه ما نحاه ببحثه وطلابه
فاما اذا فتت المعاني تارة بسوء التاليف وتارة بالاكثار وتارة بالتعريض دخلها
الخلل ولم يبلغ المحصل لها على ما قد ثبت رايه وساق نظره وسعيه اليه على اني اعذر
كل خطيب مصقع وكل بليغ وكل طالب باحث متوغل وكل متر فق اذا كلم في النفس
وبحث عن شانها ان يعيا ويحصر ويقصر فان المطلوب في هذا الامر صعب والغاية
بعيدة والشوط بطيء والعجز شامل والناصر مفقود والتعاضد مرتفع والقوة
محدودة والقدم زلالة والمنتهى حيرة واذا كان النظر في النفس على ما اصفه مع رواد
لا اني بتسطيرها في هذا المكان فكيف الكلام في العقل وهو البحر العميق والمعنى الذي
هو في ذلك انق فكيف الكلام في العلة الاولى وهو الذي كان اليه القصد وعليه
وقف العمد ومن اجله يحمل غب هذا الامر واشتعل بارق هذه الحال وصبر
على اثار الكون والفساد وترقى في سلاليم العز والخطر وتجرع كل كاس هوام من

الصاب والصبر ونفد شرف الاتصال بالباري ودق البحث ولطف النظر وبقدر رتبة العقل التذ الكلام عليه وطرب على الخبر عنه وبقدر محاسن النفس عرض العشق وبذل الصوت وجد السعي وتسلى عن كل الف وكيف لا يكون الكلام في هذه المعاني صعبا والبحث شديد والقوة عاجزة وانت لو اردت آثار الطبيعة في عرصة الكون والفساد من هذه الرتبة المكللة للابصار بعد استنفاذ قواها المسددة للاذان بقدر استيفاء ما فيها لم تستطع ذلك ولم تقدر عليه نعم ولو كان كل من هو في مشكل ظهيرا لك ونظيرا معك وكان ابو سليمان اذا راى بعض اصحابه يتشدد في هذه الوجوه قال له يا هذا ارفق فالاستقصاء فرقة آكشف من هذا المطلوب بما يجاد به عليك دياق وزمامه اليك ولا تعنف فالعنف محرمة وعليك بالرفق فانه سحر النفس والشاعر يقول والدر يقطعه جفاء الحالب وقد والله صدق وقال الحوان طلب ما لا ينقاد لك لتدبيره مثل ما لا تنقاد له بحسرك عنه شقا ومذلة ويضيع زمان وامارة تسعى واحتمال خسف واختراع اسف النفس حاطك الله قوة شريفة الهيئة بهية واصلت ابناء الطبيعة على قدر قوابلهم بجود العقل الذي له المرتبة الاولى بقدر ماله من الفيض من العلة الاولى ومراتب ابناء الطبيعة مختلفة اختلافا لا نهاية له وكل قد نال شيئا فلا ما ناله بعرفه وطلبه وما حرمه حرمه لا بآية اياه وكرهه ولكن هكذا كان وعلى هذا بان فليكن الرضى واقعا بحسب الموجود ذلك الموجود به عليك واعلم ان الصورة التي هي محيطة من الاول الى الاخر شايعة بين الطرفين لا بينونة هناك ولا فصل ولا حيلولة ولا نقص فكيف يكون على هذا النهج شيء عن شيء وسوى شيء او شيء دون شيء او شيء فوق شيء او شيء على شيء او شيء مع شيء او شيء في شيء وانما ثبتت هذه الاسماء بالنظر الثاني لما لحظت مواصلة لا ثارها ومواصلة لقوابل آثارها وعلى الحالين كان الاختلاف والايتلاف والتباين والتواصل والتفرق والتجمع والمجيء والذهاب والورد والصدر والمعظم واللطف والكبير والصغير وجميع ما يجوز الى هذا الجانب ويبرز هذا المثال في بلاد القوابل لا في بلاد الفواعل فليسد نحو هذين النجدين طرفك وشرب الهادي نفقك ولطفك فانك تجد المواد التي من شأنها ان تنفعل على مراتب الانفعال وتجد الصور التي من شأنها ان تفعل على مراتب الفعل وتعلم ان الاعتبار تارة ينفرد بالصورة وتارة بالمواد وان ما تركب منهما وبينهما واستبد بهما واستند اليهما هو في عرض ذلك الاعتبار وفي حومة ذلك النظر وان الشك ان قدح والغلط ان سنح فانما هو من اضافة شيء الى غير شكله او تحليته بغير ما هو لائق به ويتخطى الغنى والحدي في هذه المواضع فان كان لك سمع فاطرب وترنح وخذ وجد واعدل واعقل واسلم واقدم واغنم وارق وابق وان كان بك صمم فاعطف على دائك وسل عن دوائك فليس يحسن بالاخير ان يفتري على من يتمم والسلام

مقابسة اخرى

حضرت القومسي ابا بكر المتفلسف وكتب لنصر الدولة عامين وكان كثير الفضل فقيل له هل يجوز ان يكون اثبات الناس للمعاد والمنقلب اصطلاحا منهم ومن اكابرهم وعقلائهم

فى بدء الناس وسالف الزمان ثم الف الناس ذلك وهتفوا بنشره ولهجوا بذكره مع تأكيد
الشرايع وتأييد الكتب الناطقة به فقال المعاد اثبت فى نفوس الناس وارسخ فى
عقولهم واعلق باذهانهم من ان يكون اصله راجعا الى التواطؤ والتشاعر ومردودا الى
الاصطلاح والتناد وهذا ظن هزج وزائل فايل عقل مغرور وقول رذل من خلط
فاسد ومزاج ماؤف وهلا وقع الاصطلاح على دفعه وابطاله وانه لا حقيقة له و لا
دليل عليه ولو لم ترد الكتب باحالته ونفيه وصرف الظنون عنه ومنع الخلق اعتقاد صحته
ولم لم يعرض فى ابطاله وترك الايمان به ارب ومراد وبغية وسبب والناس من جهة الحواس
والشهوات وحب العاجلة ونيل اللذة اكثر نظرا واقوى وانفذ عزما واشد انقيادا و
اسرع ارتكابا واثقل احتقابا وابين سماعا واقرب نزاعا ولكن العقول ذلك اباطاهرا
ودعت الى اثبات الثواب والعقاب فى الثانى دعوة مشهورة متصلة على اختلاف
لغات اربابها وتباين اشارات المخبرين بها ولم تكن هذه الدعوة عن قسر وتمويه
ولا حيلة ولا مكر بل دعوة تحقيق وايضاح وبينة وافصاح وكيف يسع عاقلا يظن ان
الناس على ما هم عليه فى اديانهم ونحلهم وعاداتهم ومصالحهم ومعادهم ونظامهم
مع الاستطاعة الحاضرة والتكليف العام ومعرفة الاصلح والافسد والاحسن والاقبح
يفنون ويتبددون ويهلكون عن حال باقية لهما يجس المحسن ويثاب الخير فيعرف المتعنى
هذا ما لا يجوز بجوازه عقل وان قيس ولا يلين له قياد وان استميل ولا يدلس به وهم وان
استكره وانما يتحرك عند هذا الظن من ضاق مجمه وقل علمه ونبا سماعه وظهره وفسد
حسه ومزاجه وجعل نفسه مصبا لكل ريح ومغيضا لكل سخف وامتاز لكل حافر
فاما الناظر فى اثناء الامور الداعى احاديث الزمان الفاحص عن السرائر الغالب لظاهر
الاحوال وباطنها فانه يربا بنفسه عن هجنة هذا الراى وانحلال هذا العقد ويشتمل
على ما نطقت به الكتب القديمة وتضمنت الاسفار الصحيحة واتت به الشرايع الصادقة
وبنيت عليه الاذهان الحديدة وشهدت له الفطرة السليمة ودعت اليه العقول الراجحة
وهذا وان تمادت فى الاجداث الاعمار وغلب على من لا خبرة له بما ياتى به الليل والنهار فاما
من له رغبة فى حياطة دينه وهمة فى معرفة الغامض الواضح من نفسه وعالمه وبحث عن
المراشد والمصالح فى الظاهر والباطن ونظر فى السياسة الالهية والانسية وخبر بالمورد
والمصدر ليصير فى ذلك المتولد عليه فقد حماه الله غايلة هذا الراى وكفاه مؤنة هذا الخطر
وجعله فى الاعلين فى حظيرة القدس وحضرة الانس حيث لا عىّ ولا ثقل ولا فراغ
ولا شغل ولا هجر ولا وصل ولا ذنب ولا عذر

مقابسة اخرى

٩٩

سمعت بعض مشايخنا ببغداد وغالب ظنى انه نظيف الرومى يقول العالم من حيث هو
كائن فاسد ومن حيث هو فاسد كائن فلذلك نظمه بدد وبدده نظم ومتصله
مفصول ومفصوله متصل وعقله موسوم وموسومه عقل ويقظته رقاد ورقاده
يقظة وغناه فقر وفقره غنا وحياته موت وموته حياة قال فلا اطيل هاهنا

مثلا يترع الى الحس ضرورة ويعترف به العقل اضطرارًا النظر الى السماء نظرًا شافيًا و
تاملها تاملًا بليغًا وجل في آفاقها بحثك ونظرك مليًّا واستقر صورها استقراء
تامًا فانك تجد نجومها منتثرة متساقطة كان سلكها قد وهى ونظمها قد انخرط
على هذا ادراك الحس وسابق العيان وشهادة المنظر وظاهر الخبر والاثر ثم انك لا تستثبت
بعد امعان النظر وانعام الفحص ومواصلة البحث ان تجدها منسقة اتساقًا ومتفقة
اتفاقًا وموزونة وزنًا ومعدلة تعديلًا ومنظومة نظمًا ومعباة تعبية ومزينة
بكل زينة ومحلاة بكل حلية حتى يقضي اختيارًا واضطرارًا وانتهارًا واقتدارًا
انها زالت عن حالتها المعروفة او حالت عن صورها المالوفة باقل من مثقال
ذرة او هباة تزبرها فات اصله وبطل بعضه وكله واضمحل خفيفه وثقيله
وباد كثيفه ولطيفه واضطرب اوله وآخره واختل محيطه ومركزه وهذا لان
الحس حس قضى في الاول قضاء بما في الطبيعة من الخلل والنقص والتلون وقد
قيل الحس حاكم مونس وساع مفسد ومتوسط عياب وقاض خصم ودليل سوء و
مشاطة مشوطة وموضح لابس وناقد مدلس وخاطر ملفق وصديق متملق و
معلم مضل ومقوم مزل وناصح مزور ومرشد معزب وجار مخاتل وشريك
سروق ووافد كذاب لا مقنع به ولا مفزع اليه ولا خير فيه ولا معول عليه
فاما العقل فانه يقضي بانتظامه ودوامه وسلامته وصحته وثباته واتصاله
والتيامه وذلك لان العقل عفيف وقاض عدل وصديق مشفق ووالد حدب
وجار محسن وشريك ناصح وهاد صدوق وصاحب مونس وخطيب
محقق ورائد مبلغ ومداح مفهم ومحدث مطرب وجليس فكه ونور شايع
وضياء ساطع وقول فصل وركن وثيق وجوهر شريف وطود منيف ونقطة متصلة
وذات مقدسة وخير محض وجود بحت من ذا يقدر على مدحه وتقريظه ونشر خصايصه
وتحصيل فضائله الوجود الحق من الموجود الحق له الحكم الفصل من الحكيم العدل
وانما اومى هذا الشيخ الى المعنى ايماء خفيا تسعت عنه هذا الذي تراه وتقراه وكلم
ظاهر لنا فلهذا يزكوا على البذل ويزيد على الانفاق وثمرته حلوة وعوده ناضر
وسلطانه قوي وعزه اقعس وذروته عالية من تحلى به ظهرت عليه جدته واستقامته
على عادته ومن تعرى عنه بخست قيمته وبدت عورته

مقابسة اخرى

سئل ابو سليمان يومًا الطبيب المعروف بفيروز فلان ملأ العين والنفس ما معناه
فقال فيروز لا ادري فان شئت ان تصدق علينا بفايدة فان زكاة العلم واجب
عليه من زكاة العلم على صاحبه فقال ابو سليمان هذا سهل جدًّا وما احب ان
يقال هذا افانه يدل منك على عجز قد محاه الله عنك وعلى ملق قد نفع الله
عنه قدرك فقال فيروز ما احوجني الى ان املك رضاك باتباع امرك وابلغ
ارادتك فيما يشرفني بالطاعة وما اتطاول الا للعلم ولا اتملق الا لاهله

وليس بعد هذه المراجعة المحمودة الا الاسعاف بما في طي المسئلة فقال معنى قولهم فلان
ملاء العين والنفس اي يجمع بين المنظر المقبول بالعين اذا نظر اليه وبين الخبر الممدوح باللسان
اذا اشرف عليه وكان هذا كالزجر من الناس لفرق بين الشخص والنفس فان احدهما اذا لابس
الاخر كمل الانسان بهما واذا اخطاء احدهما كان نقصه من جهته واذا لم يكن من النقص بد ولان
تكون من قبيل ما للعين اولى واعنى ان يكون الانسان ملاء النفس اذا لم يكن ملاء العين
لانه اذا كان ملاء النفس غير ملاء العين كان روحا كله لطيفا وريحه واذا كان
ملاء العين غير ملاء النفس كان بدنا كله كثافة وغلظ وكان احدهما نصيبه من الهيولى
اكثر والاخر قسمته من الصورة اوفر فاذا ائتلفا كان الكمال المطلوب وانما قيل في اللغة
العربية هذا ملاء هذا اي ملاؤه ومنه الملاوة ومنه الملا والملا والملا
والاشتقاق معروف لا يدفعه الا ضعيف فقال فيروزعين الله عليك ايها
السيد فوالله ما نجد شفاء لداء الجهل الا عندك ولا نظفر بقوت النفس الا على
لسانك ولا نعلم يقينا الا بحسن تعريفك اذا تحناك ولا نجد ظننا بانفسنا
الا اذا بعدنا عن مجلسك ولو كانت هذه الفايدة عندنا بعينها متى لنا ان نأتي
بها على هذه الطراوة والحسن امنع الله الارواح برؤيتك والعقول بهدايتك
فقال ابو سليمان سمع الله منك واجاب مثله فيك فما اعلقني بمودتك وما
اوثقني بمروتك جزاك الله خيرا

مقابسة اخرى

١٠١

قال ابو القسم علي بن علي بن عيسى ليس في الدنيا خصلة يحسن الانسان فيها الى
نفسه ويحمد عليها الا العلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والاغضا فاما
الخصال البواقي فان الانسان يحمد بها اذا احسن الى غيره اوشكره في ذلك الاحسان غيره
اكرمك الله وابقاك انما يبعثني على رواية كل ما سمعته من هولاء الجلة الافاضل
في عشقي لهم وحمدي لله تعالى على ما اتاح منهم فلا يقرأن هذا الفصل ثم يقول وباقي
هذا من الفايدة فان درجات الحكمة مختلفة ولكل كلمة قائل ولكل قول واع ولكل
عمل عامل ولكل عامل داع وهذا الشيخ ممن قد اعلا الله كعبه في علم الاوائل ووفر حظه
من الحكمة المبثوثة في هذا العالم وفيما قال حث على حسن معرفة فضل الحكمة وفي معرفة
فضل الانبعاث على اكتسابه والاستكثار منه فان الحكمة "سكينة الالهية وحليه
ملكية وقنية عقلية وقد اطلقها الناموس الحق على الله عز وجل فما ظنك بما
يبعث رب العالمين به وخالق الخلايق اجمعين ثم يبعث به لبشر خلق من الماء والطين
وابرز لعيون الناظرين تبارك الله رب العالمين

مقابسة اخرى

١٠٢

قال بعض اصحابنا كل شئ اجوزه من اثار النفس فاني اجوزه في اليقظة وكل شئ اجوزه
في اليقظة اجوزه في المنام الا التركيبات فان النفس تخترع لها امورا لا تستجيب المواد
لها قاطبة وانما اعني بما اجوزه الانذارات والاطلاعات وقوة الكهانة وما اشبه

ذلك وهذا الذي قاله هذا الشيخ يحتاج الى شرح ولعمري للنفس هذه القوة وهي لها بالحق والواجب ولكن البيان عزكون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز ولعل الزمان يتسهل فيمكن التحلف عليه بما يزيده شرحًا ووضوحًا ان شاء الله عز وجل وعلى ذلك فاني اقول في هذه الحال ما تعين من الحق الذي اياه نقصد وفي طلبه نسعى ونجهد وارجو ان لا يكون هذا الاعتراف والتحري بعثا فني بعد ذلك الاستعفا والنفلاى وليس ينبغي لنا ان نجتري على العلم متجدعين في طلبه فادعي ما لا يفي به ولا يحسن بنا ان نتحل بما وهبه الله تعالى لنا وفتحه علينا فتوهمت انا مقصرون فيه وكما ان اظهار التشجع مع اخفاء الخود قبيح فكذلك اظهار التفاخر مع كتمان القدرة قبيح الخير ابدًا بين الطرفين والوسط مطلوب كل ذي عقل وعين فاذًا لا باس ان يكون ذلك العطف على ما سبق من قول هذا الفيلسوف في هذه المقابسة في موضعنا هذا فيكون هذا قد افدنا بمبلغ علمنا وكلنا المستفيد منا في الزيادة منها الى غيرنا نحن. قد رفع الله درجته علينا وجعله المحسن الينا اعلم ان الحال التي قد وضعت الفرق بين النوم واليقظة وهي التي تجد الانسان بقوة احديهما فتشرح له امورًا قد سبقه باعيانها وجواهرها واعراضها وامورًا هي مشهورة في الآن على ما هي عليه من حقايقها وزخارفها وامورًا هي على الدماغ في الثاني من اوقاتها وهذا الانجلا والشرح يستفادان من جهتين احديهما هي الهيئة الحاصلة للشخص في السنخ والاصل الذي يتفقان بالقسمة السماوية والقوى العلوية والاخرى هي الهيئة الحاصلة للشخص في الفرع والثاني بالروية النفسية والقوى الفكرية وهاتان الهيئتان انما يختلفان في النظر الطبيعي والا فالاتفاق واقع بالنظر العقلي والاول الالهي فعلى هذا لا فرق بين اليقظة والنوم ما دام الحكم يصدر من صاحبه على اطلاع النفس وراحة النيل والفيض السابق وهذه حال لها مناسب كثيرة الى القوة والضعف والشدة واللين والحمود المنصوب وبحسب ذلك يصح الانذار ويصدق الزجر وتحق الكهانة وانما لم يتدافع الحال في هذا الموضع لان النظر كان موصولاً بالامور المجردة والمباحث الصافية والحقايق المثمرة للسكون والثقة فاما ما اتصل بالتركيب فان النفس تفعل فوقها بتدع اصنافها وضروبًا لا سبيل الى رؤية شيء منها من القوة الى الفعل لعسر الهيولى وعدم اعيانها لان الطبيعة لا تليها ولا تعطف عليها وانما يقف الطبيعة عنها لان النفس لا ياذن لها في توليها ولا تلقي اليها اما ثيلها ورسومها والنفس ايضًا في هذا تتشبه بالعقل فالم تجد منه لم تحمد به وما اخذت عنه لا تحبس عما تطلبه والجود وان كان في الغاية والنهاية فان قال قايل الجود لا يعدو طوره ولا يجوز طوقه ولا نتطاول الى الهاليس لم تفقد تبشر الآن ما تراه من ايضاح ما قاله هذا الشيخ في تجويزه في المنام جميع ما تجوزه في اليقظة الا التركيب لان التركيب ورث في الطبيعة في قابل وفي آثار النفس ايضًا تركيب ولكن الالهي الا ترى التحاب في العدد والتباغض والتكعيب والتثليث انما هو من فنون التركيب ولكن بنوع خارج من آثار الطبيعة في المواد المنقادة حتى اذا علوت عن هذه الربوة الى اللوايق بالعقل وجدت هناك اسورًا

يضل عنها وصف اللسان ورصف البيان ولهذا الفعل خصوصية ليس بعدها سعي ولا
دونها رضى جعلنا الله واياك من صفوته بجوده وقدرته

مقابسة اخرى

قلت لعيسى بن زرعة ابي علي وابن عبدان الطبيب حاضر انا شديد الحرص على معرفة شيء قد
طال تخلجه في صدري مع مواصلة مسئلتي عنه وحسن استفهامي لما فيه فقال ما هو
فقلت اريد ان اعلم ان الاشياء التي نجدها بالحس والعقل كلها اتبعت العلل والعلل الاشياء
فقال لي من اين ثارت عليك هذه المسئلة فقلت رايت جالينوس في منافع الاعضاء يذكر
امورا يكشف دقايق وينثر عجايب وينشر حكما جليلة ولعمري ان ما خلده في ذلك الكتاب
وقاله واستنبطه يكاد يكون عن وحي والهام فضلا عن غير ذلك فمما نزع بي الى هذا البحث
اني رايته يصف العين ويذكر مكانها من الانسان وانها كالربيئة له والطليعة وما دانا
هذا وجرى معه وذكر ايضا الاحتياط في العين لكثرة آفات هذا خاصة فقيل له وجدت
احدى العينين في نقرة القفا والاخرى في وسط الجبهة لامكن ان يقال جعلنا احدى
العينين من خلف ليكون وقاية وحراسة مما يكون هناك ويحدث ويذكر الضرر الذي يعرض
من تلك الجهة فكانك ايها الحكيم لما وجدت هذه الامور على ما نطقت به وعنيت اثرت
منها هذه الاعراض من المعاني بفضل عقلك وقوة بيانك ولطف اشارتك فكان
الاشياء تابعة للعلل على هذا والمتبع بمقالتك يقتضي ان العلل تابعة للاشياء ليس
الاشياء تابعة للعلل بدليل ما ضربنا من المثل لانك هكذا وجدتها فعلى ما وجدتها
بينتها ولو وجدتها على غير ما هي عليه لكان استنباطك علما كنت تجدها عليه بفضل
فحصك واستقرائك فعلى هذا عللك التي شرحتها وحكمك التي استخرجتها
تابعة لا موجبة فقال في جواب ذلك ما احكيه على قصوري عنه وكان ابن عبدان
الطبيب ينصر ما يقوله ويرتضيه ولقد اضطرب على كثير مما قالا زعم في اول الجواب
ان للمسئلة غوصا وانها معروفة عند الاوايل وقد اوسعوا فيها كلاما كثيرا
في الكتب معروفة واقول في هذا المكان ما يكون مقنعا ان لم يكن كافيا ان الاشياء
التي من شانها ان تكون معلولة هي تابعة لا محالة لعللها وان اختلفت سبلها
في اتباعها كما اختلفت احوالها في كونها وفسادها والعلة ما دامت علة فانها تقتضي
شيئا خاصا والشيء ما دام مقتضيا فانه يتبع علته الخاصة به وهي مع ذلك موجودة
معا لا على معنى القران ولكن على معنى الوجوب فقد قضى العقل مرتبة التابع دون
مرتبة المتبوع ودرجة المتبوع فوق درجة التابع والعلل بنظر ما على ضربين علل
موضوعة وعلل مصنوعة والصناعة منقلبة للموضوع لان الوضع هو بالطبيعة في الاول
فاذا صحت هذه العبرة انكشفت الاشياء كلها عللها ومعلولاتها على وتيرة واحدة
وسنن واحد في الوجود فمن العقل وان كانت موسومة بالترتيب بالعقل فالاشياء
تابعة لعللها ما دامت العلل عللا لها والعلة مستتبعة للاشياء ما دامت تابعة
لها فالاتصال بين العلل والمعلول اتصال الاهي لا فصل له ولا بينونة فيه وهذا

كله اذا لحظت مبدأ الوجود وبحسب جدك ونظرك واستخراجك فاما ما عليه العلة في وجودها وما عليه المعلول في وجوده معلولا فامر لا يتميز الا بالترتيب الذي تكرر القول فيه فجالينوس تدفعه بنظره وتخصه على علتين احدهما موضوعة لذلك ومطبوعة على ذلك والاخرى يرديها منها ويضيفها اليها ويشبهها بها اقتداء بالعقل البشري ونصرة بالقياس الانسي واثارة للحكمة الالهية واستنادة بالحال التوحيدية فالعلة الاولى طباعية والاخرى صناعية والقياس المشار اليه من الاول برهاني والقياس المدلول عليه من الاخرى بياني وانما يفزع في وقت بعد وقت الى ما هو دون البرهان لان خفايا الاشياء واسرارها اود واسها في اعماها كثيرة والعقل الهيولاني لا يفي في هذا الجسم الجزي كل الاضاءات ولا ترى كل ذلك فلذلك ما ترى صاحب هذا العقل يطمئن مرة ويقلق مرة لان النفس تتربه كالبرق اذا استنشر او كالنجم اذا هوى قال والكلام في هذا الباب اطول مما يظن قد نجلا لهذا القدر شيء يمكن ان يكتفي به مع التلخيص فيه واعدت هذا بعد على ابي سليمان فقال لي قد تجد علة في شيء من الاشياء تكون ذاتية فلا ثمرة لها عندك الان تعرف انها كذلك فقط وقد تجد علة اخرى لشيء آخر ولا تكون ذاتية له لان اخرى تزاحمها الا ان العقل يرتع فيها ويبسط في استنباط الحكمة منها والحال الاولى من العقل شبيه بما في العقل وكل ما في القوة فليس للعقل منه الا الاينية والكمية والكيفية ثم قال فعلى هذا التاسيس الاشياء تابعة للعلل لانها معا ولانها والعلل مستتبعة المعلولات لانها علل لها وهذا شرح العقل لا بترتيب الحس ولا بتجرد لحظ العقل الا بشركة من المعلول واذا علوت عن هذه قليلا لم تجد ما ينبغي ان يعطى جدا العلة ولا حد المعلول وانما ترسم هذه الاسماء والالقاب ما دمت تتصفح للامور وتقيس بعضها ببعض وتستعمل اسماءها وتثبت صفاتها ولو خلص النظر من هذا كله لم تشهد الا وجودا لا واحد ولا ما اخترعته لفظي ولا بيان له قوي فانتبه في هذه المضايق بقوى نفسك واهدى عقلك ودع عنك الغامض وغامض الغامض فان ذلك ينهضك ويكدك

مقابسة اخرى

١٠٤ حضرت ابا سليمان يوما فقيل له اذا كان للاشياء محرك اول فلم لا يكون لها مسكن اول لان الاشياء تسكن تارة وتحرك اخرى فقال الاشياء تتحرك كما قلت وتسكن ومعنى تسكن انها لا تتحرك فحركها في الحقيقة هو مسكنها لانها اليه تتحرك اذا تحركت وبه تسكن اذا سكنت ولو سكنت بغيره ولو احتاجت في التحريك الى محرك وفي التسكين الى مسكن غيره لكانت اما ان تاتلف السكون من جهة المسكن او تاتلف الحركة من جهة المحرك وكانت تستمر على الحركة والسكون او كان المسكن لا يخليها فتتحرك بالمحرك وكان المحرك لا يدعها فتسكن والوجهة التي تكرر الاباء اليها وترددت العبارة على الطف الوجوه عنها في هذا الكتاب تابى هذا الوصف وتمنع من هذه السمة وذلك ان المحرك هو المسكن

المسكن هو الاول لا لانقسام الاول المحرك بين الحالين مختلفين ولكن لانقسام الموجودات
التي من شأنها الانفعال بالحركة مرة وبالسكون مرة ولو كانت الاشياء تحتاج في كل عرض
الى من تنسب اليه لبطل التوحيد رأساً اعني انها كانت اذا تضامت تحتاج الى ضام
لها واذا تبددت تحتاج الى مبدد لها وعلى هذا سائر السمات وليس يطرد هذا البحث
ولا يلزم هذا الاعتراض بل المحرك الاول بالتحريك الاول على ما يليق به وهو الذي
جمع وفرق وحرك وسكن واعاد وابدى وافاد كل شيء ما كان محتملا له غير باخس
ولا ناقص وهذا كلام من سر التوحيد فليكن اكتارك له على قدره وقدر حظك
منه ثم قال ــــ وعلى ان الاشياء بنظر اخر تنقسم انقساماً اخر وذلك ان منها
ما سكونه طبيعة له ومنها ما حركته طبيعة له ومنها ما هو مهيأ للسكون في وقت
وللتحريك في وقت فلا يتحرك في وقت السكون ولا يسكن في وقت الحركة فلو ان
مجموع هذا الباب راجع الى واحد متى تحرك شيء فاليه يتحرك ومتى سكن شيء فيه
يسكن ومن لزم شيئا نهجا واحدا فله يلزم لكان الخلل يدخل والنظام يزول والفساد
يقع فان ظن من حرك له ولا معقول عنده مع هذا ان الخلل والفساد قد وقع بما
نشاهد من تغير الامور وتصرف الدهور وتلف الانفس وزوال النعم وتنقض المراير
واعتراض الافات والعلل فليعلم ان هذا ليس من قبيل ما كنا فيه وذلك ان كل ما اوجب
الحركة العلوية بالفعل اوجب الحركة السفلية بالانفعال فبحسب ذلك تمتزج هذه الاركان
ويوجد منها اختلاف الشان ولو كان هذا العالم السفلي ثابتا على صورة واحدة
كالعالم العلوي الذي هو على صورة واحدة لكان لا اختلاف بين العالمين وكان
لا يكون احد العالمين اولى بتحريك للاخر من العالم الاخر بتحريكه فحينئذ كان يسقط العلو
والسفلي فلا يبين الفاعل من المنفعل ولا المؤثر من القابل ولا البسيط من المركب
ولا البائد من الدائم ولا الصافي من المكدر ولا الطري من الداثر وهذا كلام
مرذول ليس عليه بهجة ولا نور فبالواجب تحرك ما تحرك الى واحد وسكن ما سكن
بذلك الواحد لان هذه الفروع جارية على اصولها وهذه الا واخر تابعة لتلك
الاوائل اعني ان كل هيولى مهيئة لصورتها الخاصة لها وكل صورة مهيأة لهيولاها
الخاصة لها فلا تعادي ولا فساد ولا تظالم ولا عناد في هذه العناصر والجواهر
ما دامت سالكة نحو غاياتها ساحبة لقواها الى ماله ها قال ــــ ومن ظن في
هذين العالمين غير ما هما عليه فهو في واد الوهم واسر الحسبان او به
غلبة من مرة او فساد من خلط او لعل تقليد من تقدمه قد اضله واعماه واصمه
لان الحكمة بادية والاساس محكم والقدرة ظاهرة والعجايب منتشرة والنظر
مستخرج والعقل ممجد والنفس بحاثة والطبيعة متصرفة والامور موروثة و
الاسرار مكتومة والشواهد ناطقة والادلة حاضرة والاعلام منصوبة النظر
الى الشمس في اشراقها والنار في احراقها والنجوم في ايتلافها والنجود في اعماقها
والارض في نباتها والجبال في انتصابها والاودية في انسكابها والى الغرائب في

اضعافها وانيابها تعلم ان الذي هو واحد في الحقيقة هو املك بها واولى واقدر عليها
واعلا عنها وما احسن ما قال بعض بلغاء الحكماء فانه قال لامر ما ربطت الجواهر
بالاعراض ولامرما تحركت الكواكب والافلاك ولامرما تباينت العقول والازمان
ولامر ما تصرفت الليالي والايام ولامرما وضع هذا المهاد مركزا لهذه الاوتاد ولامر ما
لا يحجز المعاني المحرك عن تقديره احد صدق هذا الحكيم الفاضل لامر ما ترى على سنن
لاحب ودليل ما شاهد واما غايب اما من جهة الحس واما من جهة العقل وقد بان
بما تسقوا لقول فيه من هذه المقابسة ان المتحرك متى سلب الحركة ما حركه بقي ساكنا فليس
يحتاج المتحرك الذي سكن في الثاني الى مسكن غير من سلبه الحركة التي سكن بعدها وليس
المحرك مجبرا على التحريك فيحرك ولا يسكن بل هو واهب الحركة المتحرك ونازعها من الساكن
فالمحرك هو بعينه المسكن والمتحرك بعينه هو الساكن ومن كان طاهر النفس صافي
القريحة صايب النظر قصد الجواب وتحظ الحق بدون ما التام ها هنا من البيان
ولم يحوج نفسه الى شك مؤد الى وحشة فالحق انس كل عقل والباطل وحشة كل نفس

مقابسة اخرى

سمعت اباسليمان يقول لو لم يكن في النوم من الحكمة الا انه يشاهد على المعاد لكفى دع ما
فيه من راحة الاعضاء وسكون الجرم واستجلاب القوة اليها بعد العيا والكد ولو
كان النوم حالا مصمتة لا شعور لصاحبها بها من اولها الى اخرها لكانت الوحشة
داخلة في الشك قايما والتهمة واقعة ولكنها حال يتزود الانسان منها امورا غريبة
واحوالا عجيبة ويتلقف منها عسا كثيرا ويستقبل منها عيانا ظاهرا فهل هذا
الوهم من اليقين الاعلى ماسلف القول فيه من ثبات النفس على حال واحد لانا
والنوم شبيه بالموت فاذن لا تموت لان الموت شبيه بالنوم فالحالان جميعا
قد زلتا عنها وحطتا دونها وفاتحة هذه المقابسة مدخولة ولكن الشيخ كذا
قال والاعتراض عليه مع علو رتبته في الحكمة وجميل ظننا به
في الاجابة والاصابة ليس من حقه علينا ولا مما يجمل في الحال التي تجمعنا اعني انه كان
الاولى ان يقول لو لم يكن في النوم من الحكمة الا انه راحة لابداننا وجمام لارواحنا
وتخفيف عنا اثقال ما عملنا في اليقظة بضروب التصرف واصناف الحركات
لكفى دع ما فيه من الشاهد على المعاد الذي عنه نبحث مجتهدين وعليه نكون
مضطرين ومن اجله نفث ما في صدورنا متروحين وما احق اكرمك الله هذه
الغاية بالسعي اليها والتشمير لها وبذل كل موجود ومدخور دونها والاستعانة
بكل صاحب وقريب فيها واستخلاص الروية في تحصيل حقيقتها ورفض الراحة
والدعة عند فرصة تلوح من ناحيتها وبالحق وجب هذا الاجتهاد والاحتشاد
وهذا الفرق وهذا التحفظ والتيقظ وهذا التنادي والتحارس وهذا التنادي
والتنافس وهذا الغدو والرواح وهذا التثبت والسياح لان الانسان في هذا
العالم وان بلغ المنتهى في اما في نفسه من كل علم كالهندسة والحساب والنجوم

والطب

والطب وساير اجزاء الفلسفة وكذلك ان اشرف على غاية كل علم يتعلق بالاديان والاراء والمقالات والنحل فان آخر مطالبه ان يعلم مفاده ويعرف منقلبه وكذلك ايضا اذا بلغ في الدنيا كل حال علية وكل دولة سنية من المال والثروة واليسار والعز والامر والنهي والايادي عن اصناف البرية ونيل كل شهوة ولذة وبلوغ كل ارادة وامنية فان آخر ما يقترحه ان يقف على ما يتحول اليه ويصير من ههنا به ومفكو كا منه فقد صار النظر في هذه الخاصة والخالصة من اشرف ما في قوة الانسان واعلاما في همته واعظم فوائده ولغلبة هذا المطلوب على جميع الخلائق حاموا حومه وارادوا امراده ووردوا اشرايعه وسلكوا اشوارعه وعلوا روابيه وخاضوا سوابيه وروابيه حتى اتفقوا على اثبات هذه الغاية لشدة حاجتهم اليها وتوقد حسرتهم عليها هذا مع اختلافهم في تحقيقها على ما ينبغي لها حتى هتف قوم بما القي على السنة الانبياء وهينم قوم بما راوه من التناسخ في الادوار وتخافت قوم آخرون باموز تهجها معوز والاطناب في احصائها متعب فاستخلص اكرمك الله نيتك وعزيمتك في البحث عن هذه الغاية مع الرفق الذي كل من لا بسه ويصير صلته الى ما طلب منه فان المكث تحت هذا السقف على هذه الظهر يسير والتنقل وشيك والحاجة الى العتاد ماسة والعايق مع هذا كله عظيم والتناصر مرفوض ولولا لطف الله الذي به تماسكت السموات والارض وانتظم كل ما بعد بالحس والعقل لكان اليأس يغلب ويستولي والقنوط يستحكم ويستعلي

مقابسة اخرى

٥٦

سمعت النوشجاني يقول وقد جرى حديث الصديق وحكي في عرض الحد الذي للفيلسوف وهو الصديق آخر هو انت ويقال الصديق هو انت الا انه بالشخص غيرك فقال الحد صحيح ولكن المحدود غير موجود فتعجبنا منه فلما راى ما اعترانا قال تايدوا وتلبثوا فليس للتسرع بالانكار من اخلاق بغاة الخير وسجايا طالبي الحق ان الحد الذي قلتم حاكين عن الحكيم صنع من ناحية العقل والمحدود دفرنه في عالم الحس فتناصفنا هناك بالدلالة عليه لم يكن ان يوجدها هنا بالاشارة اليه وذلك ان الوحدة التي في العقل تصور كل شئ بصورته التي لا كثرة فيها ولا اختلاف ولا تعاند ولا محادة حتى اذا غلبت الكثرة وغمر التضاعف وانقسمت الاشياء الى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض جاء الاختلاف والتعاند اما ظاهرين واما خفيين وقد صح ان الانسان ذو طبيعة ومزاج وشكل واغراض متفاوتة كثيرة فاذا ما صادف آخر وهو ايضا ذو طبيعة اخرى وخواص اخر اما زايدة على ما للصاحب واما ناقصة عنه عرض حينئذ التفاوت والاختلاف بالواجب لا محالة فمتى يكون هذا الانسان على ما وصفنا هذا الانسان والحال على ما وقفت عليه وبانت لك حقيقته وايهما ينبغي ان يتبع صاحبه وياخذ عنه ويقتدي به وياخذ بيده وينطق بلسانه ويهتم بقلبه ويتصرف على ارادته وكلاهما على رتبة واحدة في الحد الذي

وصفت في الصديق فان اوجبت على احدهما طاعة الاخر والاقتداء به فهذا خلاف الصداقة
التي تقدم حالها لان هذه الحال بالعالم والمتعلم اشبه بالتابع والمتبوع اشكل قلت
لم فعل هذا ما فايدة هذا الحد ولم قال الفيلسوف شيئا لا حقيقة له ولا اثر ولا يوجد
في الشاهد اصله فقال قد قصد بهذا الحد المبالغة في الحث على توخي الصديق
لصديقه حالا لا يكاد يفصل بينهما في ارادة وايثار وقصد ومحبة وكراهية ورضا
فان هذا الحد انما خطا فقه العلي يسلك اليه بالهمة الشريفة والعزيمة التامة والجد
البليغ والاجتهاد المستخرج للوسع فيكون ذاك داعية الى الغاية التي كلما قرب
منها كانت الحال اعني الصداقة الى الحقيقة اقرب وعليها اشمل وشرايطها اجمع
وعما يخالف هذه الصفات ابعد ثم قال وكيف يصح هذا الحد في الشاهد والحس
والانسان اذا كان وحده لا يلايم نفسه ولا يوافق ابدا رايه ولعله يترجح و
ينكفي في كل يوم بل في كل ساعة مرارا كثيرة مثل ابي براقش كل لون لونه يتخيل
وقال ايضا ان الانسان وان كان واحدا بوجه فانه كثير بوجه اخر
فالكثرة التي حالت بينه وبين صديقه في جمهور احواله فلولا التفرق الذي
فيه والكثرة التي تنوعه ما كنت تجد انسانا الا على هيئة واحدة وشكل واحد
اعني انك كنت تجده ابدا اما طلق الوجه متبسم الثغر سهل الخلق ناشي الخلق
جوادا بالمال سهل المأتي قريب الماخذ طرّاحا للخلاف واما على خلاف ذلك
كله عابس الوجه منغلق الثغر شرس الخلق عديم البشر بخيلا بالمال عسر
المرام بعيد المنال مولعا بالخلاف او فيما بين هذه الاضداد بالزيادة والنقصان
والانحراف والاعتدال فلما وجدته على احوال مختلفة واشكال مفترقة واهوية
لا تتلاءم ولا تتلاحم علمت انه اذا صادف من هذا بعينه وطينته وعلى
هذا دابه واليه حنينه ونزوعه وفيه غروبه وطلوعه كان المعنى الذي
انبانا عليه الحد عنهما ابعد وهما عنه انفر واشرد وان ذلك الجدل صدر عن
قضايا العقول وعرصة النحو حيث لا تزاحم الاشياء الا بالمشاكلة ولا بالمنابذة
فلذلك ما كان حلوا في السمع مقبولا كريها عند العمل مهجورا وهكذا حكم
ما يوضع بالعقل ويحدّ به اذا كان لا يكمل ذلك الا بالمباشرة الحسية و
والكلف البشرية والعادة الانسية ولكن الزماع والصبر والاجتهاد والاعتياد
والرياضة والدربة والتسبب والتعود مطايا مبلغة او مقدمة واسباب
محققة او مقومة ولولا هذه الفضائل التي تسلك اليها هذا السبيل لما
وجد احد في صدره برد اليقين ولا طمانينة الحق ولا ظفر بسرور النفس ولا
عرف روح العقل ولا احس بسكون الطباع ولا مطمع في اصابة المطلوب
ولكان الياس اغلب من الرجا والقنوط ارسخ من الامل والعدم انس من
الوجد وليس الامر كذلك بل النعمة سابغة والدواعي محركة والاستطاعة حاضرة والعناية
معرضة والرجاء مطمع والمراد مزمع والنداء عال والنجا متوال والله موفق

ولير ٨/٧

وليس يبقى حافظك الا الله الا السفولة والكسل وحب الهوينا والعجز ومتى تدرج فى نفى هذه
الرذائل المكروهة والارادات الذميمة بالزهد فى الدنيا ورفض الشهوات ومخالطة اهل
الخير ومجانبة خلطاء السوء عاد البعيد قريبا والعسير منقادا والممتنع مستجيبا
والعاصى طايعا قيل له ان الحد قد حوى هذا كله لانه قيل هو انت الا انه غيرك بالشخص
فبالموافقة تكون احد الصديقين الاخر وبالمخالفة يكون الشخص اخر فقال ليس بجايز ان
تكون فى الحد تناقض ومتى استجيز هذا جاء الفساد الذى لا يحمل على احد ان كان المراد به
بالشخص غيره كانه يوجد سواك وتوجد سواه فهذا ما لا مرية فيه ولا شبهة على احد منه والعدد
ايضا كذلك وان كان المراد به يوافقك ويجرى على هواك وارادتك فقد قلنا ان هذا
الوصف يدخله ذلك التعاند الذى سلف استبعاده واستكشافه من جهة الطباع
والطباع والعادة والعادة والمراد والمراد والهوى والهوى والشكل والشكل فاذا الحد بعد
ملحوظا بشرح العقل فى عالمه النقى البهى المشرق المو تلق الخالص النير البعث لا اذا اقصد به وجدانه
فى ساحة الحس الكدر المظلم السيال المتموج المضمحل المستحيل ولهذا المعنى كان الوصف ابدا
زايدا على الموصوف والقول فاضلا عن المقول عليه فى امور هذه الدار وتفصيل احوال سكانها
فى جميع ما ينقلبون فيه ويصرفون عليه قيل له قد حصلنا جميع ما قلته ووجدنا فيه
زيادة كثيرة لمعرفته افدنا الان الفرق بين الصداقة والالفة فقال قد يالف الانسان
ثوبا وزيا وطعاما وهديا ومذهبا ومكانا ولا يصادق شيئا منها والصداقة اذا
اخذتها من جانب اشتقاق لفظها كانت من الصدق والصدق ميزان النفس وصورة
العقل وكمال الجملة وزينة التفصيل واذا الف انسان انسانا فقد اجراه مجرى جميع
ما سميناه واذا صادقه فقد رفع شانه وعلا مكانه وميز قدره وافرد حاله فيما لا
يصدق اذا حدث ولا ينصف اذا عومل قيل فعلى هذا يتم هذه المقابسة التى
حركت منا سواكن واثارت علينا كوامن فقال اعلموا ما بدا لكم من الخير والحكم
خلسة والفوايد فرصة وليس كل وقت يوافق نشاط السايل فى سواله رغبة المسئول
فى اجابته ولا فى كل حال يمكن للانسان يثقف ما يقول ويقوم ما يعمل ويحقق ما ينوى
قبل وبعد وانى احدثكم عن الصداقة شيئا حسنا قرات فى اخبار الملك الحكيم
الاسكندر انه كتب الى معلمه ارسطوطاليس يصف له ما راى فى مسيره الى الهند من الامور
العجيبة والاحوال الهائلة فكان فيما كتب له ايها الحكيم انا انتهينا الى خليج من البحر
من ورائه مدينة عظيمة من مداين الهند ورايناه فى اللجة من ذلك الخليج شيئا
ناشزا بارزا كهيئة الجزيرة فسعى منه صديقى فيلون وقال بل اعبر انا اولا
فان كان هناك مكروه وقع فى دونك فان هلك فيلون وجد الاسكندر
منه خلفا وان فقد الاسكندر لا فقد لم يكن على وجه الارض خلف فعبر فيلون
وعدة من خلانى وخلصانى فاذا ذلك الذى رايناه فى البحر دابة عظيمة من دوابه
فلما دنا اصحابى منها غاصت فى البحر فاضطرب الماء وغشى الموج سفاين اصحابى
فاغرقها فلما شاهدت ذلك اشتد جزعى على صديقى فيلون ومن غرق معه من

خلالي وانصرفت عن ذلك بقلب مصدوع وطرف مولع بالدموع فسئل عند هذه الحكاية
عن مسائل من مشكل الصداقة ابو حيان فاجاب عنها غير متكلف ولا متعسف بعد تفاد
ظهر واستعفاء قدم واخر وقال كل مسئلة من هذه تستوعب فكر النفس وتفرق
بال الانسان وتاخذ بنفسه في اقطار العالم وتضله في قفار البحث وما احب ان نسجل على بكل
ما يسمع مني فرشاي قصير وورودي ثمد وحظي نزر فقيل له على ذلك خبرنا ما العشق
فقال تشوق الى كمال ما بحركة دالة على صبوة ذي شكل الى شكله قيل له فما المحبة قال
هي منوال العشق الا انها محاولة الاتصال الى الاتصال اقصا برفع التمييز رفعا ويقطع التحير
قطعا وتحدث الكلف وتورث التلف قيل فما الكلف قال كانه اللزوم للشيء قيل له
فما الشغف قال قريب من الكلف وهو اشد ارتفاعا في ملازمته من الاول على انا ان انصفنا
لم نقل في هذه الاسماء شيئا لان حدودها وحقايقها لم تنته الينا صحيحة تامة غير
مخرومة ولا مثلومة وانما نصفها احتباسا بها وبعض عذرنا لا اطلاعا على جميع غوامضها
وعوافيها وعلى جميع ما دخل فيها وفي غمار احوالها فلتكن الحال معروفة عند المعيب
والعايب اذا عثر على ذلك ولا يقدر منها احد من البشر وان لطف عقله ودقت حاشية
كلامه وفهودي سماع لفظه يسمع كلامه وتزين في بديع خطابته ولا غضاضة على من لم اذا
قصر قصر من جهة يشاركه بنو جنسه قيل له فما الصداقة لغة وهي ام هذه المقابسة
فقال صحة الظاهر بالموافقة وسلامة الباطن من المخالفة واستقرارها على حد المواصلة
بالمناصفة والمساعفة والايثار مع الاهتمام بكل دقيقة وجليلة والاحتياط في كل ما حرس
اسباب القوى والزلفة واطراح كل ما اشار الى المؤونة والكلفة وقيل له ان رايت
زدت في المحبة كلاما فقال المحبة اريحية منتفشة من النفس نحو المحبوب لانها تغذوا
الروح وتضني البدن لانها تنقل القوى كلها الى المحبوب بالتحلي هيئته والتمني بحقيقته
بالكمال الذي يشهد فيه فالشوق يتوفر عليه والشوق شاغل عن كل ما عدا المشتاق اليه وهو
قوة تسافر من هذا الى هذا زادها الاطراق والتفكر والوجوم والسهر والتتبع والتحير
قيل فما المعرفة قال ان كانت ضرورة فهي نتيجة الفطرة وان كانت استدلالا فهي ثمرة الفطنة
ولا بد فيها من البحث الطويل والعريض والسماء الواسع الكبير لان النفس الناطقة لا
تعطيك مكنون ما فيها الا بعد تصفحك كل ما هو دونها من اجلها قيل فما العلم قال
قال بعض الاوائل هو الراي الواقع على كنه حقايق الاشياء وقوعا ثابتا لا ينتقل عنه
قيل له قد استفدناه فيما يحكى وانما نرغب اليك فيما حاكم فضلك واستنبطه
فكرك وجاد به عقلك وانتهى اليه فضلك فقال العلم وجدان النفس مطلوبها
وان اعترضت الرتب على الانسان في امره وذلك انها اذا وجدت مطلوبها توحدت
به واتحدت فيه لها وهذه صورة عندنا وشك الانسان بعد ذلك بالراي الضعيف
والظن السخيف من ناحية الطبيعة والعادة والان وما جرى مجراهما لا يتحيف محصولها
ولا يسلبها ما صار بالواجب لها قال والعلم انفعال ما ولكن باستكمال يودي الى النفس
سرورها وحبورها اللذان هما خاصان لها والمعرفة تنفذ في الاشباح المماثلة

الاجسام

الاحساس لقابلة والعلم ينفذ في الارواح القابلة للعقول وقد يتعادلان عند العامة كثيرا
لدقة الفرق وغموض الفصل وذلك ان العامة نطلق كلامها تحريفا وتخويفا نتنزل عن كنه
لا لفهما حضيض الامور بما تراه العين وتسمعه الاذن ومن وراء البصر والمسموع ومعادن
الحكمة الالهية وبحار الاسرار الملكوتية ومصادر نفس الانفس الزكية وموارد طمانينة الارواح
الطيبة ومعارج رواة العقول الصافية قيل فالتوحيد قال اعتراف النفس بالواحد لوجدانها
اياه واحدا من حيث هو واحد لا من حيث قيل انه واحد وهذا هو الحد بين توحيد الجمهور بالتقليد
وبين توحيد الخاصة بالتحقيق في ما اعتراف اللسان فهو ثابت عن اعتراف النفس اذا كانت
هذه النيابة على حد الكمال ولم يكن تلقينا من عامة الناس ثم قال وليس معنى قولنا وحد فلانا
انه قال هو واحد هذا مفهوم العامة لا معقول الخاصة بل معنى قولنا وحد اى عرفه واحدا وعلم
واحدا واثبت واحدا ووجد واحدا الا لانه نفى عنه الثاني والثالث فصاعدا وكيف ذلك
ولا ثاني له يبقى ولكن لانه واحد وحد بل هو وحده وواحد لا على سبيل نسق في عادة اصحاب اللفظ
ولا على تعقيب يقتضيه الف اكثر الخلق بل على لحظ ذات لا شوب فيها وتجريد انية لا نعت
لها واشارة الى هوية لا عبارة عنها ثم قال وهذا موضع يزيغ عنه العقل الانسى ويوسوس منه
الانسان العنصري وذلك لان العقل يجد العلة الاولى وجدانا على اتم صورة واشرف نعت
وابلغ قول فيهش اليه ويتهالك عليه قابلا للفيض ومقتبسا من ذاته وسابحا في جوده و
متشبها بحقيقته ومناسبا بغتة يتحلى به من كان به عاقلا ومن كان به كاملا عليها دونه
وعزوفا عما سواه فلذلك يظن الانسان اذا سما عقله الى هذه الافاق العلية ورد نا نحو هذه
الغايات البعيدة انه خولط وجن وانه وسوس وهذا عار يحل على بوبوة العين وناظر الحدقة
وجيب هذه الحدائق المونقة والظلال الرتجة والثمرات الحلوة والنعمة الدائمة و
السعادة الحاصلة والامنية الشاملة قيل نزل قليلا عن هذه الربوة فانا قد اخذنا
عن درجاتنا ومقاماتنا الى ماهينا لمعرفة هذه الدقائق والتوغل في هذه الاعماق
ما الفتوة قال طهارة الحدة والطراوة في كل حال مباشرة لا لها منتهى فقدت جاءت الحلوة
والرثاثة ومن ذلك سمى الفتى فتى والفتى فتيا لان الكرم والمجد والجود والعفة والنجدة
وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال الفضل والخير غضة في كل زمان طرية في كل مكان
كان الطاهر بها والمطهر لها والمؤثر لاحكامها والمجدد لرسومها فتى وصاحب فتوة قيل
له فالمروة فانها يتبع الفتوة فقال هي ايضا من خواص ما للانسان يكون عليه محمودا وبه
ممدوحا وهي اعنى المروة اشد لصوقا بباطن الانسان واما الفتوة فهي اشد ظهورا من الانسان
فكان الاول الخص والثانية اعم اى لا فتوة لمن لا مروة له وقد يكون ذو مروة ولا فتوة
له فاما اذا اجتمعا فقد اخذ الحبل بطرفيه وملك الامر بحذافيره قيل له ان الحسن بن وهب
قال غزل الصداقة ادق من غزل العلاقة فما وجه هذا القول قال صدق هذه نفثة
فاضل قد احسن كمال الصداقة لانها مؤثرة بالعقل ومجراه على احكامه ومحمولة على رسومه
فاما العلاقة فهي من قبيل الحس والطبيعة عليها اغلب وآثارها فيها ابين وفي الجملة ينبغي
ان يعلم ان ذا الطبيعة مشاكل لذي الطبيعة وكذلك ذو النفس مشاكل لذي النفس

وكذلك ذو العقل مشاكل لكي العقل وهذه التفرقة لم تقع في جهة الطبيعة الاولى لانها واحدة سارية في الجميع ولكنها وقعت من جهة المواد والقوابل بالزايد والناقص وهكذا الحال في النفس والعقل لان شانهما اعلا ومحلهما اسنى و اسما وذلك أن الطبيعة انما تنتهي الشيء اليسير مما تجده وتحصله من ناحية النفس والعقل والطبيعة نفس في الاصل والنفس عقل في الاول والعقل هو المبداء وكل هذا واحد اذا لحظت القوة القائمة والجود المنبجس والواحد كل اذا لحظت الجود المحض ومتى خلص لنظر من شوائبه وصفا البحث من عواقبه وارتفع الحاجز الذي قصد وانتفى العارض الذي تعرض وجدت حقيقة هذه الحال من غير تجوز ولا اختلاف فالهوى من عوارض الطبيعة والحب من علائق النفس والعشق من محاسن العقل وكل واحد من هؤلاء الذين سمينا هو صاحبه في موضعه وحكمه بحكمه في مكانه ومتى اقتبس الفاضل الحكيم هذه الاوائل وساق اليها هذه التوالي رقا من الادنى الى الاشرف وانتسب الى الاقوى دون الاضعف وهي كالطرق المذللة والسلاليم الموصلة بحلالتهي وتنسب بغيره حتى اذا نيل الفوز بمعاينة الغاية التي هي الفرض الاول والمراد الافضل ادرج ما علا ذلك كله ادراجا وطوى ماسواه طيا وهذه كالرؤيا لا تاويل لها الا رياضة الانسان طبيعته حتى لا يتم الا بما ينبغي ولا تاتي الا ما يجب ولا يقول الا ما يحق حسبه لا يتطاول الا الى ما ينحط عنه ولا يتشرف ما يزدهيه ولن يتم له ذلك اولا واخرا الا بمواصلة العقل وصحبته والعمل برسمه والتسرع الى قبول نصحه والعقل وان لم يكن باسره عنده فعم جزء ينزع لشرفه الى اصله يضيئهم بانوار السيرة الفاضلة والاخلاق الحميدة ويكف هوائج الطبيعة ويحسم مواد العادة الرديئة ويحث على استعدادها لا يستغنى عنه في العاقبة ويوزع العدل الذي هو صورته على الاحوال الراسخة والطارية ولن يتم هذا كله الا هذا الانسان دون ان يكون مهيأ له بالا معرضا له في الفزع ثم قال ولا تمت فيك الا ما احياه الله لك ولا تزعج على نفسك ما كفه الله عنك وخذ باداب اهل الحكمة نفسك واغذ بها روحك واستر عليها عادتك واجعل الخير كله ارداتك ولا تكترث لسيلان طينتك وذوي عودك وتمادي اخلاطك وتزايل وصالك وارتداد نفسك ومفارقة الفك واستحالة عنصرك وفساد مزاجك ودوام اختلاجك و تقدر تدبيرك في علملك فانك باق بحقيقتك دائم بجوهرك موجود بذاتك واحد بانيتك كامل في جملتك سعيد في تفصلك عجيب في تمثرك ظريف في خبرك بديع في شانك صلة الدهر وعنوان الغيب ومحجوب الشاهد وتمام العين ونظام السلك رضا لكل طالب ورضي كل واحد ونائي كل وحشة ومحضور كل انس ورقيب كل حاضر ونجي كل غائب هذا بعض حديثك وجزء من شانك وبعض ما يتراءى بعينك وتتناجى في اذنك ويتسرب في فؤادك ويغذو روحك ويحجب عنك ورئك ويسيغ فيك طرفك ويربيك فيك ويحول عليك ويعرضك لك ويكشفك لك ويعرفك اياك ويحدثك بك ويدنيك منك ويقربك اليك ويحضرك بين يديك ويعيشك ويعشقك ويجودك ويزودك ويحك في روحك ويحيطك ويحيط بك ويخاطلك فيا لها غبطة ويا لها سعادة لو كان للسامع فطنة بل عزمه بل تصديق لو فيق لها البشر اما سرك في التالي حسن حصلت في الاول من البشر انا يسرك ان تصفو من هذا الكدر وتلقى في هذا القشر والقذر وتصير في زمرة الملاء الاكبر

حيث لا بلاء ولا ذوب ولا شوب ولا غير حيث لا يصل اليك البطلان ولا يتسلط عليك الاحزان
حيث تبدو عينك في بهاء شعار ذي معدن الامن والقرار بعد استيفاء مدة هذا الليل والنهار
حيث لا ينطق بلسان ينالد عي ولا حصر ولا يتم بنفس يعتريها طيش وضجر ولا استمع باذان يلجها اذى
ولا ينظر بعين يغشاها قذى حيث يستهلك الالهية البشرية وتستغرق الربوبية العبودية
حيث لا ينعقد بطين ولا ينحل بماء ولا ينقلب بهواء ولا يحرق بنار ولا يكمل بمزاج ولا تعتدل باخلاط
وبالجملة حيث لا سلطان للطبيعة عليك ولا سريان لهواها فيك ولا تخطيط من رسومها
واشكالها عندك حيث لا تظن فتخطى ولا تتمنى فتحسر ولا تامل فتخاف ولا تحرك
فتسكن ولا تسكن فتتحرك حال بائنة بائنة عما يعتاد من هذا البلد الذي انت فيه غريب
والى وطنك مشتاق ان سميتها سكونا فذلك سكون هدو وطمانينة وامن وسكينة وان
سميتها حركة فهي حركة تشويق وتشمر واستمداد واستلذاذ لا كارادتك التي الفتها وعادتك
التي عرفتها وجدالتك التي اسلفتها فلا يسحرنك الاسماء والكنى هذه الاشكال
ولا تسهونك هذا الرتبة الذي لا يلحظ وترى فوراء حسك نفس ووراء نفسك
عقل وفي وراء العقل انت بما انت انت لا بما به انت وغيرك ولا بما انت به غيرك وانت لكن
بما انت به كنت مرة انت واذا حللت هذا الدار لم تكن هناك لان الكون يعقبه فساد
ولا فساد هناك فاذن لا كون ولا فساد ومن الكون والفساد رفوك ومن الشئ وضده علوك
وبالشئ الذي لا اسم له عندنا حلوك يا هذا انت خلاصة ذلك العالم في هذا العالم
ولكن علاك من الغربة هنا شحوب ونالك عنا وكد ودروب ومسك كلال وتعب ولغوب
فانكرت نفسك وانكرك الناظر اليك لانك ثبت فيك ما غيرك ولهج بك من كذبك
وغشك وصحبك من استعزك وعزك وملكك ما عاقك وصدك فلما ضللت الطريق
لزمت مكانك وعكفت على ما يعللك والفت ذلك المالف الوضيع فلما اراد فطامك ظلت
تجزع وتفزع وتستغيث وتستصرخ وانت الجاني على نفسك ثم يصرخك وانت الموبق
لنفسك ثم ينقذك هيهات لا رجعة للطبيعة اليك ولا عطفة للنفس عليك ولا اثر
عند العقل منك ولا نسبة لما حل عن هذه كلها فيك شقيت فبدت ولو سعدت بقيت
ومن تمام مصابك انه لا مفجوع به غيرك ولا باكي لك سواك فعلى نفسك نح ان كنت
لا بد نوح فلما غمرنا هذا الشيخ بهذا الفن وطرحنا في هذا الوادي سكت سكتة اوجب
علينا حسن الادب للتفرق عنه فما مرت ايام حتى نظمنا ذلك المجلس وضمنا مثل ذلك الانس
فقال له بعض صحابنا واظنه ابا الخير اليهودي ان اذنت لنا في تمام الذي من تلك الجمة العذبة
فانا صدرنا عنها وبنا برح ومن وهب الله له ما وهب لك خليق بالجود وعلى المستحق ومن
عرف الله ما عرفك حرى بالتلطف في المسئلة وانت بحر الله في الخلق تقذف بالجواهر
وشجرة العقل في العالم يخرج ضروب الثمر في كل حين واوان فلا زلت مكنوفا بالمعرفة
مؤيدا بالنصرة جوادا بالعطية باذا بالرفد محببا الى القلوب حاليا بالعيون ممدحا
بالالسنة مصحوبا بالتوفيق مذكورا بالثناء والغايات متنافسا عليه بالطارف والتالد
فقال لولا اني اعلم ان عشق الحكمة حرككم هذه الكلمات الغر وهذه الفقر النقر التي تروق حسنا

على الذي لا تثنيت عليكم ورددت نفاسكم اليكم شفقة على مروءاتكم من عادة المتملقين وصيانة
لاعراضكم عن دنس المارقين فحولوا الآن فيما اجبتم فما يحل بالحق على اهله الاشقى ولا ينفس
بالصواب على طالبه الادنى ودى فقيل له فما العقل فقال العقل خليفة العلة الاولى عندك يناجيك
عنه ويناغيك به ويبلغ اليك منه ويدلك على قصده والسكون في حرمه ويدعوك الى الموصلة
والتوحيد به والاعتزاء اليه والاعتزاز به وهذا كله بتضح لا غش فيه ورفق لا عنف معه وبيان
لما يخلط به تلجلج وتفهم لا تطف به تخلج قيل له فقد قيل ان العقل ماخوذ من العقال فقال
هذا كلام خلف ومعناه دنس ودعوى منها فقر انما يدل الاشتقاق من الكلمة على جهة واحدة
والمطلوب المتنازع لانه ماخوذ من تركيب الحروف وتاليف اللفظ وصورة المسموع الا ترانا اذا
نطقنا بلغة اخرى بالرومية والهندية بمعنى العقل لكنا نريد به معنى العقال لا والله بل هذا
المعنى موجود ايضًا في صفاته ومذكورا ايضا في عرض ما ينعت به لان العقل يعقل اى يمنع
ويحبس وهو ايضا ينبح ويطلق وينسرح ويفرح ولكن في حال دون حال وامر دون امر و
مكان دون مكان وزمان دون زمان بل بالعقل اذا دنوت اليه وهو في يفاع القدس
ومعنى الاله يشعت انه صورة احدية ابدية سرمدية مشاكهة للمبداء الاول مشاكلة يكاد
بها كانه هو فكل من نال من هذه الصورة وهذا الجوهر وهذه العين نصيبا وحصة مزاجه
المعتدل والمنحرف وطبيعته المواتية والابية وطينته الندية واليابسة وقوته الفاعلة
والمنفعلة ونفسه الشحيحة والجامحة وادابه الحسنة والسيئة وعاداته الكريمة واللئيمة
كان ذلك مطية سعادته وشقاوته ومبلغا الى صحة بقائه وفنائه وبابا الى تمامه ونقصه
وطريقا الى استقلاله وشذوذه وكلا ائتلف له بعض مضموم الى بعض مجموعا انتظم من
مفرقه وخصوصا صفاله من عمومه ومركبا عاد الى بسيطه وبددا صار الى نظامه ومقبوضا قدر
على تمامه وباغيا تخلص من نشدانه بوجدانه ومهجورا وصل الى حبيبه ومفيدا اطلق من
قيده ومنفيا اعترف بنسبه وذليلا البس ثوب عزه وضالا هدى الى رشده ونعيمه ثم
قال والكلام في العقل والعاقل والمعقول واسع ولسنا نقدر على اكثر من هذا الايضاح
في هذا الوقت مع تقسيم البال وافتئات الوقت قيل له فما الروح قال قوة منبثة في
الجسم بها قوامه في الحس والحركة والسكون والطمانينة ومبداها من امتلاء الاسطقسات
وموادها في جميع ملائمها ووافقها من ضروب الاغذية النبات وغير النبات وهي تابعة
في الاصل لمزاج المركبات وقد ظنت العامة وكثير من اشباه الخاصة ان النفس هي الروح وانه
لا فرق بينهما الا في اللفظ والتسمية وهذا ظن مردود لان النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها
الى ما تقوم به وما هكذا الروح فانها محتاجة الى مواد البدن والالة وبها يوجد ويصح وبها
يبطل ببطلان البدن ولو اردنا استقصاء الفرق من هذين احتجنا الى الحد بن المعروفين
مع الشرح الطويل وهذا القدر كاف في جملة هذه المسائل قيل له فما الراى قال شئ
من تلقيح الظن والتوهم بشركة العقل والتجربة قيل فما السعادة قال نيل النفس طلبتها قيل
فما طلبتها قال عودها الى معادها بريئة من كل دنس وكذب خالصة من كل عارض وشوب قيل
فما تفسير عودها قال الكلمة مشكلة والاشارة دقيقة قال يجب ان يقال على التقريب عودها انما

هو

هو استعمالها وبلوغها غايتها التى كانت قبلتها ومقصدها قيل فما الجود قال بذل ما حواه الملك وما حوته النفس من الحكمة بصفاء من المن خالصة من الكدر قيل له فما الظن قال قوة وهم لا دعامة له من العقل ولا اياد له من العيان قيل له فما الوعد قال قول يحاسر به قلب الموعد بانتظار الخير قيل له فما الوعيد قال كلام ينفر به عن توقع المكروه وحلوله قيل له فما الحكمة قال القيام بحقائق الاعتقاد فى العلم والتناهى فى الاجتهاد ببذل الوسع فى صلاح العمل قيل فما العالم قال صنم مزين قال افقديم هو ام محدث فقال محدث ولكن فى هيئة قديم وقديم ولكن فى معرض محدث فاما القدم له فيحق المماثلة للعلة الاولى والتوشيح العالم عن الجود الدائم واما الحدث فيحق لعيان الذى يشهد من ناحية المعلول المعلول الثانى قيل فما الدنيا قال لعب ولهو وغفلة وسهو وهى فى غيب ظاهر عيان ومصحوب حسن ومفارق لحقيقة عقل قيل ثم ماذا قال شاهد كذوب وزخرف خلوب قيل ثم ماذا قال موجود ولكنه معدوم وحقيقة ولكنه باطل ويقظة ولكنها حلم وكون ولكنه فى طى اضمحلال واضمحلال ولكنه فى طى كون ومتصرم البشير الى الدوام وغاش فى جلباب نصيح وعدو فى ثياب صديق قيل فما الانسان قال شخص بالطينة ذايب بالروح جوهر بالنفس اله بالعقل كل بالوحدة واحد فى الكثرة فان بالحس باق بالنفس ميت بالانتقال حى بالاستكمال ناقص بالحاجة تام بالطلب وحقير فى المنظر خطير فى المخبر لب العالم فيه من كل شئ شئ وله بكل شئ تعلق صحيح بالنسب الى من نقله من العدم قوى النسب لمن يستفيد عن امم اخبار الانسان كثيرة واسراره عجيبة من عرفه فقد عرف سلالة العالم ومصاصته وقد حوى جوهره شبها من كل ما يعرف ويرى فهو مثال لكل غايب وبيان لكل شاهد هيوب عجيب الشان شريف البرهان غريب الخبر والعيان قيل له فما الشريعة قال هيئة فى اخر الذروة البشرية تصدر عن القوة الالهية وينشيها من النفس لها من النفس فواتح طبيعية واوائل حسية قيل له انما صدر من العلو اشرف ام ما نشأ عن السفل فقال فاخر القوة الصادرة من هناك اشرف وغاية الناهية من ها هنا اشرف قال وبما يوضح هذا ان تلك ترسخ فى الزمان بعد الزمان لانها فى غايتها تقوى وتصح وتظهر وتثبت وتتمكن وتنبت و سعادة الشريعة عملية وفيها افنا الحكمة وسعادة الفلسفة عملية وفيها حقايق العمل والعلم الالهى والعمل نعت بشرى وتلك استصلاح القلوب النافرة واستهاء النفوس لشارة الالهية وهذه روح للنفوس المكروبة وجلاء للصدور والصدر يتروار تقاء الى المعارف العلية بالسير المحمودة المرضية وتلك تعطيك جملة مقنعة وهذه تعطيك مفصلة مونقة ومتى اراد شرعى ان يعرف الطبيعة والنفس والعقل والاول واثارها واسرارها وعيوبها ودرايعها وما فى اعماقها قد القى اليه وقصر باله عليه ونيطت عروقه وتحريبنوعه منه لم يجد سبيلا الحرف منها الا برمز غير شاف وعلامة غير بالغة ودعوى غير مثبتة ومتى رام فيلسوف ان يضع ناموسا الهيا محلا بالكلمات الصحيحة مؤيدا فالعقول السليمة مجموعا فيه مصالح البرية قدر على ذلك وقد تم هذا فى قديم الدهر عند مس الحاجة اليه ثم درس على الايام كما اثر ساير ما ياتى عليه الزمان وكان جميع ما تقفناه ولقناه عن الشيوخ فى مجالس مختلفة مع جماعة متعاونة فلذلك ما استوسق هذا القدر الذى ملكته هذه المقابسة وقد بقى

شيء يسير وانا احله بتمامه ان شاء الله تعالى قيل فما الموجود قال الذي فوقه ما ينعت به ولا دونه ما يحط اليه لانه لو كان فوقه غيره لكان ايضاً موجوداً ولو كان دونه لكان ايضاً موجوداً فعلى هذا كما تراه للعين او ثبت للحس او انتصب للنفس او تحقق بالعقل من غير فرض ولا توهم ولا وضع فهو موجود اما بالقوة واما بالفعل قيل له فما الغنى قال صورة العقل مشهود بالحس لمتناهي مطلوب بكل غاية محفوظ بكل رعاية موثر بكل ايثار مختار بكل اختيار غاية كل طالب ويقين كل شاك وسكون كل قلق وراحة كل متحير بسيط بالعقل مركب بالحس مظنون بالظن موهوم بالوهم نظام كل موجود وقوام كل محدود وتمام كل مشهود ثم قال ومن عجايبه ان من حاول اظهار باطل لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه بوجه ولا بسبب حتى يشوبه به او بشيء منه لا يقبل وهو صرف ولا ينقاد وهو بحت هذا يدل على ان هذا العالم الذي هو في هيئة باطل لكونه وفساده ومفتقراً الى ذلك العالم الذي هو في حقيقته حق لصحته وتمامه واستقامته والتيامه ولانه لا طريق للكون والفساد اليه هذا اذا كان المبطل قاصداً للباطل باختياره وحوله وقد يكون الانسان على غير هذا الراي بان يقصد الحق المحض والصواب المجرد فلا يبلغ ايضا غاية مراده الا بشيء يخلص اليه من غير ان يستصحبه او يزيده او يرومه وهذا لان الناظر في الحق لطالب الحق ممزوج مركب ومشوب مخلط لا يحمل له شيء من حظيرة العقل الا بشيء يلتبس به من ناحية الحس وهو في الاصل متهيئ لقبول ذلك لان معجون طينته ومركب نصابه واول سوسه هكذا وقع وعليه استمر ولهذا يعينه بالتكثر عليه اسهل من التوحد والتوحد عليه اعسر من التكثر ومن له بالبراءة من هذه الحال وتقديس نفسه من هذا الدنس وهو ذو انفس ثلاث ناطقة هو بها اقل وبهيمية هو بها اكثر وسبعية هو بها اظهر وهذا الاعتبار يقتضي ان يكون بالاكثر اكثر وبالاقل اقل وانما اتفق بالعرض ان يكون هذا الانسان واحداً في الغاية طلبت له صورة الوحدة من الثلاثة وهذه الصورة تلتيم من الثلاثة واستحال ان يكون مركباً بالنفس الواحدة اعني الناطقة لانها لا تقبل التركيب ولهذا تجد الاجرام العلوية بواطن لانها عادمة للمزاج والتركيب والشوق فلما كان الانسان متقوماً من جزء ناطق وجزء حي وجزء مايت وكان الناطق يفهم ويرتب ويهذب وبالحي يحس ويتحرك ويسكن وبالمايت ينتهي ويفسد ويبطل كان جميع ما يحيط به عقلاً او يدركه حساً او يفرضه مدخولاً ناقصاً متخفياً متلوماً حتى اذا قوى الجزء الناطق الالهي واقتنا خصايصه وملك ما هو اللايق به من العلم الحق والعمل الحق حينئذ اهمل الجزئين اعني ما هو متحرك حساس وما هو ميت باطل وان شئت ما هو بهيمي وبه يسعى خلص الى افق العلي ومكان البهو خلوصاً بريحه من كل ما عاق التركيب والتقليب والاستحالة والاستبادة والعفا والدثور بلغ معانه الذي كان معرضاً للخلق به والمصير اليه فالحق المعتقد والخير المؤثر والصواب المتحلي والجوهر المعتاد والزهد المقدم ورفض ساير ما عاند الفضائل وحجب عنها وحال دونها فلا زال هناك باقيا بقاء لا اخر له وكيف يكون له اخر وانقطاع وحيلولة وارتجاع وقد استفاد ذلك البقاء من الحق الاول والموجود الذي ليس قبله موجود

بالنسبة

بالتشبه والاقتداء والمماثلة والاهتداء والتعمم والارتداء هذا مالا يجوز ان يظن بحس او بعقل وانت توافي الشاهد ملكا حكيما صار مآثهما ساميا جليلا يرغب كل احد من خدمه وخاصته ورعيته واوليائه في خدمته وحضور مجلسه في التشبه وباخلاقه وهمهم طلبا للكرامة منه والحظوة عنده وعلما بان القرب منه والدنو اليه مصرفة للآفات عنه مجلبه للعزة مدعاة للاماني عنده وان الاطماع تنقطع عنه والجاه والقدرة يعظمان به والعزة والمجد يسعان عليه وترى كل واحد من الخاص والعام يبذل وسعه ويفنى جهده ويسلو عما يمكنه بهمته لينال تلك الحال وتلك المنزلة وتلك السعادة وملك الغبطة فاذا كان هذا في المثال الحسي على ما يجده من غير شك ولا مرية فما قولك في الحقيقة العالية والغاية الالهية والنهاية الاصلية يا هذا ان الامر لعظيم وان الشان لخطير وان المطلوب لعزيز وما هو الا ان تصمد نحو السعادة بتطهير الاخلاق وتجريد العادة واصلاح السيرة وتقديم الجد في الراي وقصد العزم بالحزم وتوخي العمل بما المرجوع في العاجل بالثقة وفي الاجل بالحقيقة مع الاشفاق على تضييع الزمان وتصرم العمر وتقطع انفاس الحياة حتى تلقط المشتري والزهرة بيدك وتخرق كل حجاب وهما بجوهرك وتصير فوقهما بحقيقتك وتنال حينئذ ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا سنح على بال احد من الانس فليكن حا طكم مثلكم الى الحكمة ميل من يتخذها مطية لدرك الامل فانه ستجدها كنزا نافعا في اخر العمل لا ميل من عادل لها وليسع بذكرها ويعرضها في اسواق الجهال وينادي عليها بين السفهاء والانذال ويرضي بعرض الدنيا خلفا وبدلا عنها فكلما كان هذا دابه فقد انغمس في بحر الشقا وسقط في مثوى البلا والفنا لا يرتجى لدائه برء ولا لعلته شفاء ولا لصرعته انتعاش ولا لاسره فكاك اخذ الله بنواصينا ونواصيكم الى ما اعده للاخيار الابرار وتحولوا عن هذه الدار بحسن الاختيار لا بقبح الاضطرار والسلام تمت المقابسات ولواهب العقل الحمد سرمدا وصلوته وسلامه وتحياته واكرامه على سيدنا محمد النبي المبعوث الى الخلق كافة والا اله الا الله ولا معبود سواه
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصايا الذهبية لفيثاغورس

قال فيثاغورس الفيلسوف اول ما اوصيك به تبجيل الذين لا يحلّهم
الموت من الله واوليائه واكرامه بما يوجبه الشريعة وتوقي اليمين واوصيك بامثال ذلك
للالاهيين الناظرين في مذاهبهم واوصيك بتبجيل عمار الارض بفعل ما يوجبه الشريعة
في اكرامهم كاكرام سلفك واقربائك وتوقي اليمين وان تتخذ من جميع الناس فضلهم صديقا
يكون صديقا في الفضيلة وان تلين له جانبك في الكلام والفعال ما اداه ذلك الى المنفعة
ولا تستفيد صديقا لهفوة ولا تهجر صديقا لهفوة منه ما امكنك على الامكان قريب
من الضرورة وتجود ضبط نفسك في امر بطنك وفرجك ونومك وغضبك واحذر
ان تركب قبيحا من الامور بوجه ولا في وقت من الاوقات على خلوة ولا مع غيرك وليكن
استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد والزم نفسك الانصاف
في كلامك وفعالك ولا تحملها على ارتكاب امر من الامور بلا تمييز واعلم ان
الموت حال بجميع الناس لا محالة وليكن قصدك في المال اكتسابه في حال واتلافه
في اخرى وما ابتليت به من الاشياء المؤذية بالاسباب السماوية فاصبر على ما ينوبك
منها من غير ان تضجر بك ان تروم مداومتها وانها بقدر طاقتك واعلم ان ما ينوب
من الاخيار من الناس من هذه الاشياء ليس بكثير واذا سمعت من انسان كلاما
جيدا او رديا فلا تستعظمه ولا تحمل نفسك على الامتناع من استماعه واذا
سمعت كذبا فهوّن على نفسك الصبر عليه ولا تفعل ما ليس بجميل وروّ قبل الفعل
كي لا تعاب في فعلك واحذر ان تفعل او تقول ما تستجهل منك واقتصر منهما
على ما لا يعود ضرره عليك ولا تفعلنّ فعلا وانت جاهل به واطلب الواجب منه
ولا تهمل امر بدنك في حفظ صحته وليكن غاية عنايتك بالقصد في الطعام والشراب
والرياضة الى ما لا يضرك بحال وعود نفسك ان يكون تدبيرك نقيا غير مضطرب
وكن دزينا واحذر ان تفعل ما يجلب الحسد عليك ولا تكوننّ متلافا بمنزلة من لا خبرة
له بمقدار ما في يديه ولا تكوننّ ايضا شحيحا فيخرج عن الحرية فالافضل في الامور كلها
القصد فيها واستعمال الفكر قبل العمل ولا تتأذنّ النوم عينيك قبل ان تتصفح كل
واحد من الافعال التي فعلتها في نهارك اجمع وابتد في ذلك من اولها واحدا تتفقده
الى اخرها لتقف على الموضع الذي زللت فيه عما ينبغي وعلى ما لم تفعله مما كان يجب
ان تفعله وعلى ما فعلته مما كان واجبا ومتى كنت اتيت مكروها فليذعرك

ومتى كنت قد اتيت جميلا فليهمك رفي هذه الاشياء فليكن اجتهادك و د ؤ وبك والها
فاصرف محبتك فانها ترقيك الى الفضيلة الالهية اى والذى وهب لانفسنا الينبوع
ذا الاربع من الطبيعة ومتى التمست فعلا من الافعال فابك بالابتهال الى ربك
فى النجح فيه فانك اذا لزمت هذه الوصايا وقفت على كنه ما يجرى عليه الامر فى الله
وفى اوليائه معشر الناس ما فيه زايل فى الواحد بعد الواحد وما منه ثابت و
علمت ما قدر من مجرى الطبيعة فى كل شئ على مثال واحد كما لا يرجوا مالا يرجوا فلا
يذهب عليك امر من الامور وعلمت ان الناس بشقاء جدهم الذى اختاروه
وبارائهم فى حد من يرى له اذا كانوا مشرفين على الخيرات وهم يقدرون عليها ولا ينقذون
انفسهم مما بلوا به فان الشاذ من الناس يتهيأ له استنقاد نفسه من الشرور وان
ما بلوا به من ذلك هو الذى يقدح فى اذهانهم فهم ينقلبون بمنزلة ما يدحرج من
الاوقات المختلفة الى الاحوال المختلفة فيقعون فى شرور لا احصاء لها وذلك ان المرء الغر
تريد عينه يبكى وهو لا يشعر وينبغى ان لا تساعد من يهرب منه باظهار الاستجداد الربانها
الاب الواهب للحياة حقا اقول انك لقادر على ان تدفع عنهم بلايا كثيرة واظهرت
لهم السكينة التى جعلتها فيهم لكنك انت ايها الانسان ينبغى ان تشجع فانه اذا كان فى الانسان
جنس الهية فالطبيعة الالهية تقوده الى الوقوف على كل واحد من الاشياء التى
ان نلت منها حظا من الحظوظ لزمت ما اشير به عليك وشفيت نفسك
من هذه الصفات ونجوت سالما لكن امتنع من الاطعمة التى ذكرناها
واجعل امتحانك لها تزكية النعمة اخاسرها واختر لواحد واحد
مما تقف عليه من ذلك واجعل القسيم المشرف على الله بك
التمييز الصحيح فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن
حتى تصير محلا فى الجو تكون حينئذ سايحا غير عائد
الى الانسية ولا قابل للموت تمت الوصايا
الذهبية لفيثاغورس والحمد والحمد لله
دائما وفرغ هذا الكتاب المستطاب
على يد اقل العباد ميرزا حسين
الشيرازى فى خامس شهر رمضان
المبارك سنة ١٣٠٦ والصلاة
والسلام على سيدنا و
نبينا محمد وآله الطيبين
الطاهرين و
صححه
جمعيز

فهرست المقابسات

فهرست المقابسات

رسالة تسمى الوصايا الذهبية
لفيثاغورس الفيلسوف

